

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

د. إبراهيم السامرائي

الإبداع والمحاكاة

في حكاية كتاب "العين"

دار الفکر
للكتب

الدكتور ابراهيم السامرائي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الإبداع والمحاكاة في حكاية كتاب " العين "



دار الكرم للنشر والتوزيع

* الابداع والمحاكاة في حكاية كتاب " العين "

* د. ابراهيم السامرائي

* الطبعة الأولى. عمان ٢٠٠١

* رقم الاجازة: ١٦٦٥ / ١١ / ٢٠٠٠

* رقم الابداع: ٢٩٩٣ / ١١ / ٢٠٠٠

* رقم التصنيف: ٨١٠, ٩

* الغلاف : يوسف صرايرة

* الصف والتنسيق : روعة البزم ومروة الخواجا

* تدقيق المادة : المؤلف

جميع الحقوق محفوظة لدار الكرمل

رفع
عبد الرحمن الحمري
أسكنه الله الفردوس

مقدمة وكلمة أولى

هذا كتاب رأيت أن يكون غير كبير وذلك لأن مادته موجزة، وأنا أعرض فيه لأولية صنعة المعجم القديم وأحصرها في "كتاب العين" وما كان فيه وما قيل فيه. وكنت قد قلتُ بعض هذا في مقدمتي لكتاب العين الذي نشرته مع صاحبي لي هو الدكتور مهدي المخزومي ولم يكن لي، وأنا في أول نشرة للكتاب مستجيباً مع صاحبي لطلب وزارة الإعلام العراقية أن أبسط القول فيما قيل في الكتاب من مؤيد مستفيد منه، وناقد يتحرى الصواب والخطأ.

قلت: لقد استجبت أنا وصاحبي لرغبة وزارة الإعلام، وهي تحفي بالخليل بن أحمد، فلم يكن لي إلا أن أكون مع المحتفين، فلا أعرض لما ينال من هذه المناسبة. ثم بدا لي أن أعود في كتابي هذا لما لم أذكره في نشرتنا تلك.

ولم أرد أن أعود إلى ما كان لي من "جذاذات" تتصل بكتاب العين، وقد رأيت أن أحداً من أهل العلم هنا وهناك قد شارك في هذا الأمر، فليس لي أن أزيد على ما قيل إلا اليسير. غير أنني دُفعت إلى أن أستأنف المسيرة فأكون مع الصفوة المخلصين، وأذهب في مسيرتي لأشير إلى صاحبي الذي شارك في تحقيق "العين" وهو المخزومي الذي أبى على نفسه إلا أن يسرف الشرّ فيعمد إلى ادعاء كذب فيقدم كتاب العين زاعماً أنه حققه وحده.

لقد علمت من الأستاذ خليل حبيب صايغ أن ابن الخزومي حمل كتاب العين إلى بيروت طالباً من مكتبة لبنان نشره، وهو بتحقيق والده، جزاه الله على ما بدر منه.

ولم يكن من صاحب هذه المكتبة إلا الحق فقد طلبت إليه أن يأتي بتنازل من وزارة الإعلام العراقية صاحبة النشرة الأولى ومني أنا الذي شاركته في تحقيق كل كلمة في الكتاب.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الأبداع والمحاكاة في
صناعة المعجم القديم

قلت: "الإبداع والمحاكاة" لأن "المبدع" هو "صاحب الفن" والأصالة، وأما "صاحب المحاكاة" فهو "المقلد"، وقد أقول: إنه (الفنان) وأنا هنا أقول للقارئ: إن "الحمار" في العربية دعي "الفنان" لما له من ضروب العدو.

لقد ذهبت إلى هذا لأشير إلى أني رأيتُ في كتاب نقدٍ فرنسيٍّ شيئاً مثل هذا، فقد كان لصاحب الكتاب قوله: إن صاحب الفنِّ الأوَّل هو المبدع، وأما الثاني المقلِّد فحمار، وضرب مثلاً فقال: إنَّ أوَّل مَنْ شبه خدَّ الحسناء بالورد صاحب إبداع وفنٍّ، وأما الثاني الذي جاء بمثل هذا فحمار.

لقد قدِّمْتُ هذه الكلمات لأشير إلى أوَّل معجم في العربية هو كتاب العين للخليل بن أحمد وأقول: لقد استحق الخليل هذه الصنعة أن يندرج في عداد العظماء في تاريخ الإنسانية. وليس لي هنا أن أشير إلى ما عرض للكتاب من عَظَمَ وزيادة وغير هذا مما سأعرض له في كتابي هذا.

غير أني أجد أن "كتاب العين" كان دليلاً لابن دريد في "الجمهرة" فهو يفيد منه في مادته ومنهجه، وكأنه ارتضاه و غَضَّ طرفه على ما كان به من عوار.

لقد قال السيوطي في "المزهر" ^(١) ٩٢/١

"ومن مشاهير كتب اللغة التي نُسِجَت على منوال العين كتاب "الجمهرة" لأبي بكر بن دريد قال في "خطبته" ^(٢):

"قد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد القُرهودي - رضوان الله عليه - كتاب العين، فأُتبع مَنْ تَصَدَّى لغايته، و غَنَى مَنْ سَمِيَ إلى نهايته، فالمنصف له بالعُلب معترف، و المعاند متكلف، وكلُّ مَنْ بعده له تَبِع، أَقَرَّ بِذَلِكَ أَمْ جَحَد، و لكنّه - رحمه الله - أَلَّف كتابه مُشْكِلًا لثُقُوب فهمه، و ذكاء فطنته، و حِدَّة أذهان أهل دهره.

وأملينا هذا الكتاب والنقص في الناس فإش، والعجز لهم شامل، إلا خصائص كدراري النجوم

(١) لقد عرض السيوطي لهذا وهو في لصق فصله على كتاب العين، وقد رأيت أن أبسطه هنا كما أبسط ما قاله علماء اللغة في "الجمهرة".

(٢) أقول: ان " الخطبة " في مصطلح أهل العلم من الأوائل ما ندعوه في عصرنا " تمهيداً " أو " مقدمة " . و الذي اخترنا في عصرنا أقدمناه بما هو introduction .

في أطراف الأفق، فسَهَّلنا وَغَرَّه، و وَطَّأنا شَأْرَه^(١)، وأَجَرَّيناه على تأليف الحروف المعجمة، إذ كانت بالقلوب أعلَقَ، وفي الأسباع أنْفَذَ، وكان علْمُ العامَّةِ بها كعلم الخاصَّة. وألغينا المستنكرَ الوحشيَّ واستعملنا المعروف، وسَمَّيناه كتاب "الجمهرة" لأنَّا اخترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشيَّ المستنكرَ^(٢).

وعرض أبو الفتح عثمان بن جني في "الخصائص"^(٣) فقال: "وأما كتاب "الجمهرة" ففيه أيضاً من اضطراب التصنيف، وفساد التصريف ممَّا أعْدِرُ واضِعَه فيه لبُعده عن معرفة هذا الأمر، ولَمَّا كَتَبْتُهُ وُقِعْتُ في متونه وحواشيه جميعاً من التنبيه على هذه المواضع ما استحييت من كثرته، ثم إنَّه لما طال عليَّ أو مأتً إلى بعضه وضربت البتَّة عن بعضه".

أقول: وقد علّق السيوطي إلى ما كان من قول وابن جني فقال:

قلت: مقصوده الفساد من حيثه أبنية التصريف، وذكر المواد في غير محالها كما تقدّم في "العين"، ولهذا قال: أعْدِرُ واضِعَه لبُعده عن معرفة هذا الأمر"، يعني أنَّ ابن دُرَيْد قصير الباع في اللغة. وكان ابن جني في التصريف إماماً لا يُشَقُّ غبارُه، فلذا قال ذلك.

أقول: وقد تكلّم في "الجمهرة" آخرون فزعموا أنه سَطَأ فيه على "كتاب العين" للخليل ابن أحمد، ومن هؤلاء أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عَرَفَة العَتَكِي الأزديّ المعروف بـ "نِفْطَوِيَه" فقد جاء في سيرته أنه قال في ابن دريد:

ابن دُرَيْدٍ بَقَرَه	وفيه لُومٌ وشره
قد ادَّعى بجهله	وضع كتاب "الجمهرة"
وهو كتاب "العين"	إلا أنه قد غيَّره ^(٤)

(١) الشأز: الشديد الصعب، وأصله من الأرض: الغليظ الصعب.

(٢) جاء هذا وغيره في "خطبة" "الجمهرة" من مطبوعات الدكن بحيدرآباد.

(٣) الخصائص عن كتاب "المزهر" للسيوطي.

(٤) أقول: وقد ردّ ابن دُرَيْد على هذا فقال:

أفّ على النحور وأربابه	قد صار من أربابه نِفْطَوِيَه
أخبره الله بنصف اسمه	وصيّر الباقي صُراخاً عليه
لو أنزل الوحي على "نِفْطَوِيَه"	لكان ذلك الوحي سُخْطاً عليه

جاءت هذه الأبيات في سيرة نفطويه وابن دريد في كثير من مصادر النحويين واللغويين.

وعرض السيوطي لرأي الأزهري في "الجمهرة" فقال:

"وَمَنْ أَلَفَ الْكُتُبَ فِي زَمَانِنَا فَرُمِيَ بِافْتِعَالِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَوَلِيدِ الْأَلْفَاظِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ، وَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَرَفَةَ فَلَمْ يَعْجَبْ بِهِ وَلَمْ يُوثِّقْهُ فِي رَوَايَتِهِ".

ولم يرَضِ السيوطي من نَيْلِ نفطوية لابن دُرَيْدٍ فقال:

"مَعَاذَ اللَّهِ، هُوَ بَرِيٌّ مَّا رُمِيَ بِهِ، وَمَنْ طَالَعَ "الْجُمُهِرَةَ" رَأَى تَحَرُّيَهُ فِي رَوَايَتِهِ.....

وأعود للأزهري فأراه قد أكثر في "التهذيب" مما وَرَدَ في "العين" وهو ينسبه إلى الليث بن المظفر لأنه جعله الذي صَنَّفَ العين، ولم يكن للخليل إلا ما رسمه له.

أقول: وإذا اندرج الأزهري في زمرة من نالوا من "كتاب العين" فإنه قد أفاد منه في "التهذيب" فوائد يلمسها الدارسون في كثيرٍ من المواد.

على أني لا أغفل المنهج الذي اتبعه الأزهري متقيلاً طريقة الخليل في كتاب العين.

ولقد ذهبت إلى هذه السعة لأشير إلى أن صنعة الخليل التي سبسط الكلام فيها كانت ذات قيمة تاريخية كبيرة.

رَفْعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الرَّحْمَنِيُّ
السُّلَيْمِيُّ (الْمَدِينَةُ الْعِلْمِيَّةُ)
في مدخل الكتاب

أقول: لا بد أن أعرض لحكاية ما وُسم بـ "كتاب العين"، وللكلام على هذا الكتاب حكاية يقف عليها من يشقى بهذا الأمر. وإني لأبدأ الكلام مما وصل إلينا من هذا الكتاب في مخطوطات ثلاث اثنتان منها تم إخراجها في منتصف القرن الحادي عشر الهجري، والثالثة كانت مما انتجه الشيخ محمد السماوي في سنة ١٣٥٠ هـ^(١).

لم يكن لنا أن نعمل كما يقتضي التحقيق ونحن لا نملك غير هذه الأصول المتأخرة، ولم تجتهد وزارة الإعلام في بغداد، وهي القائمة على هذه النشرة، في الحصول على أصول أخرى أقدم من هذه التي أشرت إليها. لقد أقدمت الوزارة على نشر "العين" إكباراً للخليل بن أحمد واحتفاءً به. وقد كان لي أن تحررت أخبار العين وما صحب هذا الكتاب الذي عُرف به الخليل وبدالي من أمره ما يدفعني إلى أن أكون مع نفر القديم من أهل العربية الذين أنكروا الكتاب والذين شككوا في نسبته إلى الخليل، والذين وجدوا فيه نقصاً في المواد وأولئك الذين أخذوا على صاحبه مأخذ لغوية وتاريخية. على أن الكتاب لم يخلُ من مادة كثيرة نسبها غير واحد من المتقدمين إلى الخليل. لقد أثبت أبو منصور الأزهري الكثير من مواد العين قائلاً: ورَوَى الليث، والليث هذا ابن المظفر بن نصر بن سيار الذي جلس للخليل وروى عنه، وقد تم ذلك في خراسان. وأعود إلى عملنا أنا وصاحبي في هذه الصنعة؛ للدكتور المخزومي فأجد صاحبي ممن لم يتوقف في نسبة الكتاب إلى الخليل، فهو مأخوذ بالكتاب وكأنه لم يكثر بما قال أهل العلم من الأوائل فيه. إنه صحب الخليل في دروسه لنيل مرتبة الماجستير، فكان له أن أثبت شيئاً في رأي الخليل لم نعرفه لدى الذين ترجموا للخليل، وسأتي على هذا خلال درسي^(٢).

أقول: لقد تم لنا نحن الاثنين صنعة نشر الكتاب في أجزائه كلها. غير أنني فوجئت بعد ذهابي إلى

(١) لقد أشار كارل بروكلمان كما أشار المنجد إلى وجود نسخ أخرى من كتاب العين، ولكنها لم يزيدا فائدة على إشارتها هذه.

(٢) لقد أقدم الأب أنستاس ماري الكرمل على نشر "العين"، ولم يكن من ذلك غير فصلة طبعت بمطبعة دار الأيتام في بغداد، ثم توقف بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى. كما قام الدكتور عبد الله درويش بهذا وطبع جزءاً ببغداد.

الأردن سنة ١٩٨٢ أن صاحبي هذا الذي عرفته زماناً طويلاً و تحذته صديقاً، أنه أشاع أني تركته ولم أكمل ما كان علي من التحقيق. وأقسم أنه لم يسع إلى الصدق فابتعد عن الحق وكان منه ما كان. لقد أخبرت وزارة الإعلام بما كان منه، ولكن ما العمل؟ وإني لأعتمد على الغياري من أصحابي الذين خبروا في ميلي إلى الجّد، وإن صاحبي غفر الله له - قد جار في سلوكه معي. وقلت بعد كل هذا: أن أعود إلى عمل جديد آتي فيه على "حكاية كتاب العين"، والله الموفق.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الباب الأول

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الباب الأول

حكاية "كتاب العين" (١)

أقول: لم يكن لي، وأنا أشارك في تحقيق كتاب العين أن أبسط شيئاً بعيداً عن الإكبار " الذي ذهبت إليه وزارة الإعلام في بغداد، وهي التي نشطت إلى تحقيقه فكلفتنا أنا وصاحبي بهذه الصنعة. ولم يكن لصاحبي المخزومي الذي استقبل الأمر استقبالا حسناً أن يذهب إلى غير هذا، بل إنه كان متحفزاً إلى هذا العمل لما كان له من توجه حسن وهو يكتب رسالة لنيل درجة الماجستير في القاهرة في "الخليل بن أحمد" (٢).

قلت: لقد ذهبت إلى الأمر مشاركاً وتركت ما لدي عن كتاب العين مما قرأته في "المزهر" للسيوطي الذي استوفى حكاية هذا الكتاب، وما كان للمعنيين في الدرس اللغوي في القرن الثالث الهجري من موقف، وما عبروا عنه، وسأني على هذا. وأذكر أنني قرأت ما جاء في "الفهرست" (٣) لابن النديم فيها قال:

"قرأت بخط أبي الفتح بن جني النحوي صاحب بني الفرات، وكان صدوقاً منقراً بحتاً - قال أبو بكر بن دريد: وقع بالبصرة "كتاب العين" سنة ثمان وأربعين ومئتين قدم به وراق من خراسان، وكان في ثمانية وأربعين جزءاً فباعه بخمسين ديناراً، وكنا نسمع بهذا الكتاب أنه بخراسان في مكاتب الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق".

أقول: كأن أمر كتاب العين ظل مجهولاً بعد وفاة الخليل زمناً طويلاً، فلم يكن غريباً أن ينكره تلامذة الخليل ومنهم النضر بن شميل ومؤرج السدوسي ونصر بن علي وأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط وغيرهم.

(١) قلت: "حكاية كتاب العين" الذي كنت مشاركاً صاحبي الأستاذ مهدي المخزومي في إخراجه وقد طلبت وزارة الإعلام العراقية أن تخرجه إكباراً للخليل بن أحمد. وقد جعلت ما أبسطه الآن في هذا الذي وسمته بـ "حكاية الكتاب" مما لم أشر إليه في "مقدمتي" للكتاب المنشور، الباب الأول من كتابي هذا الذي درسته بـ "حكاية كتاب العين". وفي هذا الباب عرضت لتاريخ الكتاب وما قيل فيه، ثم أتحوّل في الباب الثاني إلى مادة الكتاب.

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي، رسالة لنيل درجة الماجستير نشر ببغداد (مطبعة الزهراء).

(٣) ابن النديم، الفهرست ص ٤٨.

وكان الذي حفظه وأخذه عن الخليل، كما هو في المصادر، الليث بن المظفر بن نصر بن سيار، أقول: ولم يذكر الأزهرى في "التهذيب" مما هو من كتاب العين إلا ما نسبته إلى الليث بن المظفر فقد أثبت الأزهرى في عامة كتابه قوله: قال الليث أو نحو هذا. والليث^(١) هذا ابن المظفر بن نصر سيار، وجده نصر بن سيار والى للامويين على خراسان. وكان الليث قد عرف الخليل في خراسان ولزمه فأخذ عنه هذا الذي نجده في "التهذيب" وغيره. ولا أدري أكان الذي أفاد ابن دريد من حكاية كتاب العين هذا الذي وجدته في الأصول المحفوظة لنشرتنا المحققة أم كانت هذه الأصول المحفوظة قد زيد فيها فصار لنا فيها ما لا يمكن أن يكون من كلام الخليل أو مما أخذه الليث عنه؟

لقد كان لي بسبب من ترددي، وأنا أنظر في هذه الأصول المتأخرة، أن جعلت درسي هذا في قسمين: الأول ما يتصل برأى اللغويين الذين عرفوا الكتاب في البصرة حين وروده عليهم سنة ٢٤٨ هـ، والثاني ما كان لي وأنا أنظر ما في مواد الكتاب.

وأعود إلى الليث فأجد في "معجم الأدباء"^(٢): أن أباه المظفر بن نصر قد سار ابنه الليث إلى البادية فمكث فيها قريباً من عشر سنين أو أكثر، ففيها تأدب ثم رجع^(٣).

أقول: إذا كان لي أن أثبت هنا أن الليث كان من أصحاب الخليل الذين أخذوا عنه شأن النظر بن شميل ومؤرج السدوسي وجلي بن نصر الجهضمي وغيرهم، فلم يختص بـ "حكاية العين" وروايته دون سواه؟ ولم لم يلمح أولئك الرجال الذين أخذوا عن الخليل ولم قد عرف وحده برواية "العين"؟

وكأنني أيقنت أن جملة أولئك لم يعرفوا الليث بن المظفر بينهم أخذاً عن شيخهم أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد. وليس لي أن أستيقن أمر رحلته إلى خراسان التي أقام فيها عاماً وبعض عام. وما أظنه رجع بعد ذلك إلى البصرة التي شهدت وفاته بعد قليل، وليس لي أن أتقبل أن الخليل كان قد

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٦٤، وفيه: أن المأمون جهد به أن يؤليه القضاء فلم يقبل.

(٢) معجم الأدباء ١٧/٥٠-٥١

(٣) أقول: وفي "تهذيب اللغة" ٢٨/١: أن إسحاق بن إبراهيم (ابن راهويه) قال عن الليث: "إنه رجل صالح" وابن راهويه عالم خراسان في عصره. وقد ذكر ابن النديم أنه "من الفقهاء والزهاء". ومن المفيد أن أثبت هنا ما قاله ابن المعتز في "الطبقات" ص: ٩٧ "من أكتب الناس في زمانه، وكان بارع الأدب بصيراً بالنحو والشعر والغريب، وكان يكتب للبرامكة، ويطير معهم في دولتهم بجناحين، وكانوا به معجبين".

وصل إلى خراسان يصحبه تلميذه الليث. وهل يكون لي أن أقبل ما جاء لدى ابن النديم^(١) من حكاية الكتاب برواية أحمد بن منصور الزاج الذي سمعه منه في مدينة "مرو"، وهذا تلميذ الليث، وقد وصل الكتاب عن هذا "الزاج" إلى علي بن مهدي الكسروي الأصفهاني، وعن هذا ابن درستويه!!

وهل لي أن أرى الخليل قد احتفظ بجملة ما نراه في كتاب العين ثم أو صله إلى صاحبه وتلميذه الليث في خراسان التي ما أراه سعد فيها، وهل كان له أن يخص الليث بفوائده الكثيرة ولم يبق في مقامه غير ما أفدناه من حقبة قصيرة؟ ولم يكن شيء من هذا لدى العلماء أهل العربية ومنهم النضر بن شميل الذي حدث عن الخليل فقال فيه وفي علمه ما نعرفه في كتب الرجال^(٢)؟ وليس لي أن أثبت هنا ما ورد في كتاب العين^(٣) من أن الليث عرف البصرة، وأنه كان فيها كيميا أشار إليه في ذهابه حاجاً^(٤).

ومن المسائل المشككة في صلة الليث بالخليل، ذلك أن أصحاب الخليل من تلامذته وغيرهم لم يعرفوا الكتاب ولم يشيروا إلى شيء منه. وأن هؤلاء وقفوا على الكتاب حين ورد إلى العراق فأنكروه. وأنهم رأوا أحمد بن منصور راوياً له كما مرّ بنا، وأن هذا الملقّب بالزاج قد أو صله إلى علي بن مهدي الكسروي وعن هذا جاء ابن درستويه، ثم جاء قول الليث كما أثبتته ابن النديم في الفهرست كما أشرنا، قال:

(١) الفهرست ص ٤٨.

أقول: وقد أثبت هذا ياقوت في معجم الأدباء ٥١/١٧

(٢) قال النضر بن شميل، وهو من عرف الخليل وأخذ عنه، ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد. جاء هذا في ترجمة الخليل في نزهة الألباء ص ٤٧

أقول: وأنا أفيد من هذا وأتنيه لأردّ ما ذكر المخزومي في كتابه عن "الخليل بن أحمد" من أنه كان يتشبع على مذهب الإمام جعفر بن محمد. وسيكون لي تعليق آخر في غير هذا المكان عن رأي الخليل وعقيدته أيّن فيه كيف كان هذا من المخزومي. ولي هنا أن أشير إلى ما كان من السيد محسن الأمين في كتابه "أعيان الشيعة" الذي أدرج فيه الخليل بن أحمد في "موسوعته"، ولا أدري كيف كان منه هذا على سبيل التكثر، وكأنه غير بعيد عن نهج صاحب "شعراء النصرانية".

(٣) الفهرست ص ٤٨ وهو ما أثبتته ياقوت في معجم الأدباء ٥٢/١٧

(٤) وقد أشير إلى هذا في كتاب العين ١٨٣/٣، وانظر: تهذيب اللغة ٤/٤٢٢

كنت أصير إلى الخليل بن أحمد فقال لي يوماً: لو أن إنساناً قصد وألف حروف: أ ب ت ث على ما أمثله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب، وتهياً له أصل لا يخرج عنه شيء.

قال الليث: فقلت له: وكيف يكون ذلك؟ قال: يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، فإنه ليس يعرف للعرب كلاماً أكثر منه.

قال الليث: فجعلت أستفهمه ويصف، فاختلفت إليه في هذا المعنى أياماً. ثم اعتلّ، وحبججُ فما زلت مشفقاً عليه وخشيت أن يموت في علته فيبطل ما كان يشرحه لي، فرجعت من الحج وصرْتُ إليه، فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما في صدر هذا الكتاب. فكان يملئ عليّ حليّ ما يحفظ، وما شكّ فيه يقول لي: سل عنه فإذا صحّ فإثبته، إلى أن عملتُ الكتاب.

أقول: ليس لي أن أقبل هذا الذي ذكر من كلام الليث، وكأنه لا يوحى لقارئه بالثقة. إنه أشار إلى أن الخليل صاحب الفكرة، وأنه أوصلها وشرحها لتلميذه، وأن هذا قد اجتهد في إثباتها وتحقيقها. و أن جملة ما جاء في هذا الخبر دفع القائلين إلى نسبة الكتاب للتلميذ وهو الليث ثم إنّ مما يؤيد هذا أن أصحاب الخليل لم يشبروا إلى شيء منه على صحبتهم الطويلة للخليل، وهي صحبة تتجاوز الحقبة التي قضاهما في خراسان وفيها كانت الفكرة التي تحققت بعد ذهاب الليث لأداء فريضة الحج وعودته إلى خراسان التي وجد ما كان من أمر الكتاب. ويكون لي أن أشقى لمعرفة صلة الليث بالخليل^(١) فأقول:

أن الليث خراسانيّ في مولده ونشأته ولم يكن له صلة بالعراق كما أثبت من ترجم له في كتب طبقات النحويين واللغويين. غير أننا نجد في كتاب العين أنه عرف البصرة، وكان قد عرف الديار العراقية في ذهابه إلى الحج^(٢)، فهل لنا أن نفترض أنه لقيه ورافقه حين كان يذهب حاجاً؟ لقد عرفنا أنّ الخليل كان يحجّ سنّةً، ويغزو سنّةً، إلى أن مات^(٣).

وهل لنا أن نتصور أن الخليل قد وافته فكرة "العين" التي أفضى بها لتلميذه في هذه

(١) كتاب العين ١٨٣/٣، وقد أشار الأزهرى في "التهذيب" إلى هذا ٤٢٢/٤

(٢) معجم الأدباء ٥٢/١٧

(٣) المرزباني، نور القبس ٥٦.

الحقبة " القصيرة " التي عرف فيها الليث في خراسان وفي الحجّ؟ وكيف لم يكن شيء قليل أو كثير من مادة " العين " لدى تلامذته الآخرين الذين عرفهم ولزموه؟

وهل لي أن أقول ان الليث قد صنع " العين " مفيداً من الفكرة العابرة التي وضع أساسها الخليل؟ وكأني لا أتوقف فيما ذكر من صنعة الخليل وعلمه كما أثبت ابن المعتز في " طبقات الشعراء " وكان هذا ما أشرنا إليه. ولا أتوقف فأنفي عن الليث هذا بحجة ما ذكره اسحاق بن ابراهيم بن راهويه من صلاحه وعلمه، وما أثبتته ابن النديم فيه أيضاً، وكنا قد أثبتنا هذا كله في حاشية من هذا الموجز.

وليس لي أن أتقبل ما أورده ابن المعتز في " الطبقات " الذي جاء فيه : ان الخليل بن أحمد ارتحل إليه أي إلى الليث فعاشه [الليث] ووجده بحراً فأجزل له وأغنائه. وأحبّ الخليل أن يهدي إليه هدية تليق به، فجهده نفسه في تصنيف كتاب العين ... فوصله الليث بمئة ألف درهم...^(١) أقول: أعدت قراءة ما أثبتته ابن المعتز فلم تطمئن نفسي إليه، وكأني شعرت أنّه اجتهد فيه فلنّقه. وكيف اطمئن وقد عرفت أن الخليل عاش زاهداً في عيشه، وأن سليمان بن علي الهاشمي صاحب البصرة قد استدعاه وطلب إليه بطرف وكساء ومال وفاكهة، فقبل الفاكهة وصرف ما سوى ذلك، وكتب إليه أبياتاً أوّلها:

أبلغ سليمان أي عنه في سعة وفي غنى غير أي لست ذا مال^(٥)

وأقول: وكيف اطمئن إلى ما أثبتته ابن المعتز في " الطبقات " وهو الذي سقته أنفأ، رأي ما قاله النضر بن شميل وهو من خاصة أصحابه و تلامذته في ترجمة الخليل التي أثبتتها القفطي في " إنباه الرواة " وهو: " أقام الخليل في خُصّ من أخصاص البصرة لا يقدر على فلس، وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال " .^(٣)

ثم أتحوّل إلى آخر من تلامذته وهو علي بن نصر الجهضمي الذي قال:

" كان الخليل بن أحمد من أزهّد الناس وأعلاهم نفساً، ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرّضون له

(١) طبقات ابن المعتز ص ٩٧ .

(٢) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٤٧ .

(٣) إنباه الرواة ٣٤٥/١

لينال منهم ولم يكن يفعل. وكان يعيش من بستان له خلفه عليه أبوه بالخرية^(١).

وأعود إلى الخبر الذي أثبت ابن المعتز في "طبقات الشعراء" فلا أهتدي إلى الحقيقة التي ذهب فيها الخليل إلى خراسان، ولا ما هو إلى ما يومىء إلى هذا من ذكر للخليفة أو الوالي أو نحو هذا.

وكيف لي أن أطمئن إلى ما في هذا الخبر من أن الليث ذهب حاجاً بعد أن أفاد من الخليل أساس صنعة، ثم عاد من الحج فوجد الخليل قد ألف الحروف كلها على ما ذكره الخليل قبل أن يفارقه إلى أداء الحج!!

وليس لي أن أوافق القائلين بأن الخليل قد وضع الأصول فجاء الليث يتبع تلك الأصول بما كان من تحشيته^(٢).

وليس لي أن أوافق الدكتور حسين نصار في كلامه على نصيب الليث من كتاب العين، وهو قول الليث: "وما أشك فيه [أي الخليل] يقول لي: سل عنه فإذا صح فأثبته...".^(٣)

قال الأستاذ حسين نصار: "وكان لهذه النصيحة أثرها الخطير في "العين"، إذ يبدو أن الليث أخذ يسأل من قابله من الأعراب والعلماء ويبحث عن روايات غير الخليل من الأثبات ويدخلها دون تحرج". أقول كأن الأستاذ حسين نصار صاحب الصنعة في التأليف المعجمي قد اطمأن إلى ما ذكر عن الليث واختصاصه بالخليل دون سائر تلامذته الذين أنكروا الكثير مما ورد في "العين"، ومنهم من توقف في شيء منه وأنكره.^(٤)

وأعود إلى الذين روى كتاب العين في نسخته التي حملت من خراسان سنة ٢٤٨ هـ كما جاء في الفهرست لابن النديم فأجدتهم مناكير أعماراً لم يعرفوا بهذه الصنعة فهم من أهل الشاهجان وغيرها من حواضر خراسان وفارس.

(١) مراتب النحويين ص ٢٩

(٢) وسألحق موجزي هذا بما كان من نفر من علماء اللغة الذين ذهبوا إلى أن الليث قد حشى الأصول، كما أثبت اختلاف اللغويين فيما كان لهم من "حكاية كتاب العين".

(٣) المعجم العربي ١/٢٩١

(٤) سيكون لي بسط هذا في كتابي هذا.

لقد شقيت في تعرفهم فلم أظفر بهم إلا في كتاب العين فهم كما تشير هذه النسخة الأولى وكما أورد الأزهري^(١): محارب وأبو عكرمة^(٢) وأبو معاذ عبد الجبار بن يزيد الذي وجدت له حضوراً شارداً في فهرسة ابن خير^(٣) وهو مصدر اندلسي، وأبو معاذ النحوي عبد الله بن عائذ^(٤)، ومعروف بن حسان، وأحمد بن منصور الزاج وبندار الكرجي. وقد كان فهرست ابن النديم أول من ذكر هؤلاء وعنه أفاد الأزهري في "التهذيب" و"مجمّل اللغة".

وقد نعجب ألا نرى شيئاً عن هؤلاء وعن "حكاية كتاب العين" لدى أبي عبيد القاسم بن سلام الذي عرف باتصاله بعيد الله بن طاهر صاحب خراسان، ونسخة العين في خزنة الطاهر هذا.

ولم أجد من هؤلاء غير الزاج وبندار الكرجي فقد ترجم للأول الخطيب البغدادي^(٥) والقفطي^(٦) والنووي^(٧). لقد روى جملة أولئك الرواة الكتاب بعد وفاة الليث.

لقد كنت في بعض حيرة وأنا أبحث عن هؤلاء المناكير في مصادر اللغة والتاريخ، وليس لي إلا القليل الذي لا يدفعني إلى الاطمئنان في رواية الكتاب عن الليث فيما ذكر عن ابن درستويه وأحمد بن فارس، وقد أشار أحمد بن فارس إليه في "مجمّل اللغة" و"معجم مقاييس اللغة"^(٨).

ونظّل مع هؤلاء من الرواة من عرفوا بروايتهم للكتاب في خراسان. ولعل هذا الكتاب الذي لم يحظ لدى أهل العراق بشيء من الاطمئنان له كان سبباً في إنكار نسبته إلى الخليل، فلم يكن لديهم شيء منه طوال معرفتهم لصاحبه.

(١) التهذيب ٣٠/١.

(٢) مجمّل اللغة ٢٥/٢.

(٣) فهرسة ابن خير ص ٣٥٠.

(٤) مجمّل اللغة ٥٧٢/٤.

(٥) تاريخ بغداد ١٥٠/٥-١٥١.

(٦) إنباه الرواة ١٣١/١.

(٧) تهذيب الأسماء واللغات ١١٣/١.

(٨) معجم مقاييس اللغة ٤/١.

غير ان الكتاب على ما كان فيه وعلى ما كان لدى أهل اللغة عنه قد عُرف في العراق على ما فيه، فابن دريد قد عرف نسخته الأولى التي وجدها في البصرة وأفاد منه في "الجمهرة" في طريقة سرده للمواد وما كان فيها من فوائد لغوية، وابن دريد هذا من رجال القرن الرابع فقد توفي سنة ٣٢١هـ.

وكان ابن دريد ارتضى هذا المنهج الجديد الذي رآه في نسخة العين، وهو المنهج الذي يفسح لأصوات العربية مكاناً في أول صنعة معجمية.

قلت: إن أصحاب الخليل من عاصره وقد فارقوا الدنيا بعد الخليل لم يكن لهم شيء من مواد العين، ولم يؤثر عنهم أنهم عرضوا للكتاب بصورة من الصور الثلاثة منهم هم: علي بن نصر الجهمضي ومؤرّج السدوسي والنضر بن شميل. لقد جاء في الفهرست لابن النديم^(١) أن هؤلاء عرفوا "العين" واستدركوا عليه، وفي غير هذا المصدر أفاد العسكري في كتابه "ما يقع فيه التصحيف والنحرif": أن النضر بن شميل تمّم "العين" بعد الخليل بخراسان^(٢). أقول: وكان هؤلاء الثلاثة قد عرفوا نسخة العين الأولى في الخزانة الطاهرية في خراسان، ولعلهم عرفوا صاحبهم الليث هناك فأفادوا منه مما يتصل بأصل هذا الكتاب. ولكنني مُتَحَنّ أن أقرأ في معجم الأدباء^(٣) لياقوت ما نقله عن كتاب "نيسابور" لأبي عبد الله بن البيّح الحاكم رواية عن العباس بن مصعب، قال العباس: سئل النضر بن شميل عن الكتاب الذي ينسب إلى الخليل بن أحمد ويقال له كتاب العين فأنكر، فقيل له: لعله ألفه بعدك؟ فقال: أخرجت من البصرة حتى دفعت الخليل بن أحمد^(٤) قلت: إنّي ممتحن بما أورده ياقوت، فهل لي أن افترض أن السؤال كان بعد خروجه من البصرة إلى خراسان التي فيها نسخة العين في الخزانة الطاهرية؟ وكيف لا أكون ممتحناً وأنا أجد الروايات تضطرب وتتناقض، ومنها ما أثبته أبو أحمد العسكري عن شيخه أبي عمر الزاهد، قال أبو أحمد: حكى لي أبو عمر محمد بن عبد الواحد خبراً أنا أوحسب منه، و لولا أنه ذكر في إسناده إسحاق ابن راهويّ، ومحلّه من الصدق فيما يحكيه محلّ جليل لأمسكت عن ذكره. قال: حدّثني أبو الحسن

(١) الفهرست ص ٤٩ .

(٢) شرح ما يقع فيه التصحيف (ط. مصر) ص ٥٧ .

(٣) معجم الأدباء ٥١/١٧ .

(٤) أقول: ولم أجد هذا في ملخّص الكتاب لأحمد بن الحسن المعروف بالخليفة النيسابوري (ط. طهران).

النيسابوري عن أبيه، قال: إسحاق بن راهويه قال النضر بن شميل: كان الليث رجلاً صالحاً ومات الخليل ولم يفرغ من كتاب العين، قال: فأحبَّ الليث أن يُنْفَقَ الكتاب كله فسمي لسان نفسه: الخليل، فإذا رأيت في الكتاب "سألت الخليل" و"أخبرني الخليل" فيعني الخليل نفسه. وإذا قال: "قال الخليل" فإنها يعني لسان نفسه. وإنما وقع الاضطراب في انكتاب من قبل الليث لا من خليل بن أحمد.^(١)

وإني لفي شقاء وأنا أذهب في الاضطراب و أمضي فيه فأقف على هذا الخبر نفسه ولكن الذي يرويه أبو الطيب اللغوي^(٢) عن شيخه أبي عمر الزاهد، ولأبي عمر غرائب في الأخبار نقف عليها في ترجمته، (قال أبو الطيب أحبرنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد، قال: حدَّثني فتى قدم من خراسان، وكان يقرأ عليّ كتاب العين، قال: أخبرني عن إسحاق بن راهويه قال: كان الليث صاحب الخليل بن أحمد رجلاً صالحاً، وكان الخليل عمل من كتاب العين وحده، فأحبَّ الليث أن يُنْفَقَ سوق الخليل فصنّف باقي الكتاب... فكلّ ما كان في الكتاب من خلل فإنه منه لا من الخليل بن أحمد).

أقول: كنت قد حدّثت طلابي قبل سنين طويلة بهذا الاضطراب في الروايات وأذكر أني قلت لهم أن هذا الخبر الذي ذكره أبو الطيب اللغوي يومئذ إلى أنه مفتعل مصنوع قد صيغ واستفيدت مواده من بعض ما جاء في الرواية التي أثبتها أبو أحمد العسكري. وأنّي لأقف عما فيه وما لا أطمئن إليه وهو يقول [أي أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد] صاحب الرواية في الخبر الأول والخبر الثاني: حدَّثني فتى قدم من خراسان، وكان يقرأ عليّ كتاب العين، قال.... ثم مضى يحشر قول اسحاق بن راهويه في الليث وصلاحه.....

أقول: ان "الفتى" الذي حدّثه مجهول لا نعرفه ولم يُسمَّه، وهذا يومئذ بل يشير صراحة إلى الضعف فلا يؤخذ به لدى نقلة الأخبار.

ثم ان حشر اسحاق بن راهويه، الرجل الجليل، في كلام يشبه الكذب يسيء إلى ما قيل عن مكانة ابن راهويه الذي زعم ان الليث من أهل الصلاح، وهو يلقق كتاباً وينسبه إلى الخليل الذي أثنى

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٥٩

(٢) مراتب النحويين ص ٥٨ .

عليه أهل الصلاح ومنهم سفيان بن عيينة كما تشير مصادر الرجال.

ولم يرد فيما رواه أبو الطيب اللغوي ذكر النضر بن شميل الذي أنكر أن يكون الخليل قد صنع كتاب العين ولا الملح إلى شيء طوال وجوده في البصرة.

وهل لي أن أفزع إلى ما قاله الأزهري في خطبة "التهذيب" ^(١)، قال: "وثبت لنا عن اسحاق بن ابراهيم الحنفي الفقيه ^(٢)، أنه قال: كان الليث رجلاً صالحاً، ومات الخليل ولم يفرغ من كتاب العين، فأحبَّ الليث أن يتفق الكتاب كله، فسمَّى الخليل....". ثم أضاف الأزهري: قلت: وهذا صحيح عن إسحاق، رواه الثقات.

وأعود إلى شيء آخر قد أقسد على السبيل إلى استجلاء هذا الأمر في قول لأبي أحمد العسكري ^(٣)، قال: "فإني رأيت مشايخنا كالمجمعين على أن الخليل إنما عمل بعض الكتاب، وقيل بل عمل حرف العين فقط، وأن النضر بن شميل تممه بخراسان، واجتمع معه الليث بن المظفر وعلي بن ساسان الواسطي فأضافوا إلى الكتاب ما يجوز وجلاً مما لا يجوز، رغبة في أن يكون الكتاب كاملاً تاماً.

لقد وسمت هذا الموجز بـ "حكاية كتاب العين" لأنني لم أقف في قصة الكتاب على أخبار وفوائد لم تمنحني ما أطمئن به إلى ما لدي من أنه علم "بل كنت فيه كمن يبسط "حكاية" بدت لي ذات فجوات لقد انتهيت في بعضها إلى أن النضر بن شميل قد أنكر الكتاب حين ورد إلى البصرة، ثم كان لي أنه عرفه بعد رحيله إلى خراسان، وكان الخليل قد فارق الدنيا، وكان له فيه عمل أتمَّ به نقصاً وسدَّ عواراً، وكان له غير هذا كتاب هو "المدخل إلى كتاب العين". فكيف أجمع بين ما قيل من أن الليث هو الذي تمَّ الكتاب وأضاف إليه وأنه "سمَّى" نفسه "لسان الخليل"؟ هل لي أن أقول: إن الليث والنضر كليهما اجتماعاً على إخراج الكتاب وإصلاحه والاستدراك عليه؟

وقد أتجاوز الليث وأصحاب الخليل الذين عرضت لهم في أول هذه الصفحات وهم مؤرِّج السدوسي وعلي بن نصر الجهضمي والنضر بن شميل، وأذهب إلى غيرهم من رجال القرن الثالث

(١) خطبة "التهذيب" وهي أوله للأزهري.

(٢) هو اسحاق بن راهويه الذي ذكر في الروايتين الأولى والثانية.

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٥٧.

الهجري لأبسط ما كان لهم بعد وصول نسخة العين الأولى من خرسان إلى البصرة.

لقد عرفت فيما كان من بعض قراءة في "المزهر"^(١) للسيوطي أن أبا حاتم السجستاني من النحويين البصريين فيما نقل من كلام أبي عليّ القالي، أنه أنكر كتاب العين هو وأصحابه أشدّ الإنكار، ودفعه بأبلغ الدفع، وكيف لا ينكره أبو حاتم على أن يكون بريئاً من الخلل سلباً من الزلل.

ولي أن أقابل هذا الإنكار من لدن أبي حاتم للكتاب برأي يناقضه لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، وهو الذي أخذ عن شيخه أبي حاتم فقد جاء أيضاً في "المزهر": "أنه كان يرفع من قدر كتاب العين"^(٢). وقد ذهبت لمصنفات المبرّد ولا سيما كتاب الكامل وكتاب المقتضب فلم أجد فيها ما يشير إلى رأيه هذا في "الكتاب".

أقول: بسطت هذا التناقض أمام طلابي في الدراسات العليا لأشير إلى ما اعتورني وأنا أدرس كتاب العين. وأذكر أن طالباً عاد إلي بعد زمن وهو يحمل فائدة تتصل برأي المبرّد في كتاب العين. لقد أورد ياقوت الحموي في معجم الأدباء^(٣) أن المبرّد قال: "كان سبب غناي بندار بن لزة الأصفهاني، وذلك أني حين فارقت البصرة وأصعدت إلى سامراء وردتها في أيام المتوكل فأخيت بها بندار بن لزة، وكان واحد زمانه في رواية دواوين شعر العرب وأصحّ الناس معرفة باللغة...".

أقول: وفي مقدمة كتاب المقتضب^(٤) "أن الخليفة العباسي المتوكل على اللغة (٢٣٢-٢٤٧هـ) استقدم المبرّد إلى سمر من رأي سنة ٢٤٦هـ"، وأنه أي المبرّد لقي في سامراً بندار بن لزة الكرجي، وهذا كما نعرف أحد رواة كتاب العين كما هو مثبت في أول الكتاب عن الليث. ومن هنا كان المبرّد قد اطلع على كتاب العين قبل أن يرد إلى البصرة: ولم يرد عن المبرّد ما كان منه في قيمة الكتاب غير عبارته التي ذكرها ياقوت.

وكان أبا العباس أحمد بن يحيى أحد أوائل الكوفيين ورؤسائهم (٢٩١هـ) وهو خصم المبرّد في مذهبه

(١) المزهر ٨٤/١

(٢) المزهر نفسه ٨٩/١.

(٣) معجم الأدباء ١٣٠/٧.

(٤) المقتضب ١٣/١.

النحوي وهو الذي أنكر كتاب " العين " ورفضه، و كأنه قد قرأه عند وصوله إلى البصرة فأخذ عليه ما وجده من الغلط.

قال أبو العباس فيما حكى أبو الطيب اللغوي في " مراتب النحويين " : " وإنما وقع الغلط في كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يُحْشَّه، ولو كان حشّاه ما بقى فيه شيئاً، لأن الخليل لم يُر مثله " (١)

وكان من قول ثعلب فيه ايضاً " ان في " العين " حروفاً كثيرة قد أزيلت عن صورها ومعانيها بالتصحيف والتغير " . (٢) وكان أبا منصور الأزهري وأبا بكر الزبيدي قد ذهبا إلى ما ذهبا إليه معتمدين على رأي ثعلب في " الكتاب " .

وكان من قول ثعلب ايضاً ان الذي حشّى الكتاب " قوم علماء إلا أنهم لم يؤخذ عنهم رواية، وإنما وُجد بنقل الورّاقين، فاختلّ الكتاب لهذه الجهة " . (٣)

ونمضي مع الذين نقدوا " العين " فتقف على المفضل بن سلمة الكوفي المتوفى سنة " (٣٩٠هـ) وهو الذي تخرّج بشيخه ثعلب، فقد ذكر في ترجمته أنه صنف كتابه " البارع " في نقد العين والاستدراك عليه.

لقد جاء في " معجم الأدباء " (٤) أن محمد بن الخشاب (المتوفى سنة ٥٦٧هـ) قال: " قرأت أنا بخط المفضل في كتابه الذي سمّاه " البارع في الردّ على كتاب العين... " .

وقد جاء في ترجمة المفضل في كتب طبقات اللغويين و النحاة ان له كتابين في الردّ على الخليل، وهذا ما جاء في " الفهرست ص ٨٠ " لابن النديم، و " نزهة الالباء " للأنباري، و " معجم الادباء ١٦٣/١٩ " و " مقدمات العباب " للصغاني " و " بغية الوعاة ٢/٢٩٧ " . وهذان الكتابان هما " البارع في اللغة " و " الردّ على الخليل " و " إصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمحال والتصحيف " .

غير ان القفطي أعاد قول أبي محمد بن الخشاب وقال: " كتاب البارع للمفضل بن سلمة، وهو

(١) مراتب النحويين ص ٣٠ .

(٢) معجم الأدباء ٤٤/١٧ .

(٣) مراتب النحويين ٣١، ٣٠ .

(٤) معجم الأدباء ٧٠/١٥ .

كتاب كبير في عدة مجلدات، هذب به كتاب العين للخليل بن أحمد وأضاف إليه من اللغة ما أمكنه. وحصلت لي منه عدة مجلدات عليها خطّ يوسف بن سعيد السيرافي - "رحمه الله" -^(١) وقد أعاد هذا ابن خلكان ولم يشر إلى أنه أفاده من "إنباه الرواة".^(٢)

وقد يكون عسيراً عليّ أن أجِد غير القفطي قد قال: "مات قبل إتمامه فلم يخرج منه غير الهمزة والهاء والعين والحاء والغين".

وقد ردّ أبو بكر بن دريد على ما جاء في البارع، و طعن فيه.^(٣) وقال أبو الطيب اللغوي، إنه أي المفضل "ردّ شيئاً كثيراً من كتاب العين أكثره غير مردود".^(٤)

وقد كان لابن الخشاب شيء من هذا، فقد جاء في "معجم الأدباء": أنه قرأ "أشياء في البارع تدلّ على قصوره في الصناعة وضعفه في قياسها".^(٥)

أقول: وكأن هؤلاء الذين أبوا ما كان للمفضل بن سلمة من نقد للخليل قد ذهبوا إلى أن الخلل في العين لا يمكن أن ينسب إلّا إلى الذين تمّموا مواد العين مستدركين ومصحّحين. لقد نال الخليل ما ناله من أولئك الذين كان لهم في كتاب العين من إضافات اندرجت في تصحيحات وإضافات وغيرها، ولم يكن هذا الذي دخل في الكتاب مما ارتضي لدى أهل العلم.

وكان من هذا ما عرفناه في كتاب المفضل "الفاخر" من مواد أخذها من "العين" ونسبها إلى الخليل^(٦). وكان منها: إنما سُميت بيضة الديك العقر لأنه تمتحن بها الجارية فيلعل حالها في العقر. وهذا قول لا يعقل ولا أعلم أحداً قاله غيره^(٧). ثم أنجاوز القرن الثالث ورجاله من أهل اللغة

(١) إنباه الرواة ٦٢/٤

(٢) وفیات الأعيان ٧٣/٧

(٣) معجم الأدباء ١٨/١٣٧، وإنباه الرواة ٣٠٦/٣.

(٤) مراتب النحويين ص ١٥٤

(٥) معجم الأدباء ٧٠/١٥

(٦) انظر: الصفحات ١٨٨، ٢٧٨، ٢٩٥.

(٧) أقول: وهذا في كتاب العين ١٥٠/١.

الذين حفظوا للخليل مكانه وأولئك الذين أنكروا عليه ما نسب إليه، وأذهب إلى القرن الرابع فأجد
جهرة من اللغوين كان لكل منهم رأيه في "كتاب العين". وسأبدأ بأبي بكر بن دريد فأقول:

لقد مرّ بي وأنا أبسط "حكاية العين" ان ابن دريد أفاد من النسخة الأولى التي جيء بها إلى
البصرة فأفاد شيئاً منها في الجهرية، ثم تابع طريقة "العين" في درج المواد متابعاً مخارج الحروف،
وأنه وقف من الذين أنكروا العين موقف الراذ والرافض. ولكنني وجدت في ابن درستويه (المتوفي
سنة ٣٤٧هـ) خير من نافح عن "العين" وصوّب نسبته إلى الخليل بن أحمد. وما لا شك فيه أنه
وقف على شيء من الخلل فيه، ولكن ذلك لم يدفعه إلى إنكاره فيذهب مع جهرة المنكرين
الرافضين.^(١)

لقد كان لي عناية خاصة بابن درستويه الذي كان له انصراف إلى اللغة وعرفت من سيرته أنه أخذ
"العين" رواية عن علي بن مهدي الكسروي في أصبهان. وكان صاحبنا قد رحل عن فارس إلى
بغداد، وكأني أسترجح رحلته هذه بعد سنة ٢٨٣هـ. وقد لزم المبرد وتخرّج به في العربية، وإذا كانت
وفاة المبرد سنة ٢٨٥هـ، فذلك يعني أنه لزم شيخه قرابة سنتين. لقد وجد ابن درستويه، وهو في
بغداد، كتاب المفصل بن سلمة "البارع" وما فيه من الطعن والرد على الخليل، وما قيل فيه من قصور
في الصناعة وضعف في القياس كما ورد في "معجم الأدباء"^(٢) فكان منه أن صنف كتابين في هذا
وهما كما ذكر القفطي:^(٣)

١- رد على المفصل في الرد على الخليل.

٢- الانتصار لكتاب العين وانه للخليل.

وقد أشار القفطي إلى الكتاب الثاني فقال في الكلام على "العين": "وأما كتاب العين فقد اختلف
الأئمة فيه، فمنهم من نسب إليه، ومنهم من يحيل نسبته إلى الخليل. وقد استوفى ابن درستويه الكلام

(١) ان هذه العناية كانت لي في الإشراف على رسالة الماجستير موضوعها "تصحيح الفصح"، وقد طبعت، ولم يشأ
صاحبها أن يشير إلى ان كتابه كان رسالة للمجستير.

(٢) معجم الأدباء ٧٠/١٥

(٣) إنباه الرواة ١١٣/٢، ١١٤.

في ذلك الكتاب له مفرد لهذا النوع، ملكته بخط تيزون الطبري، وهو تصنيف مفيد".^(١)

أقول: والكلام كثير في أمر نسبة العين، وما كان للخليل فيه، وكنت عرضت لما ذكره ابن النديم^(٢) عن ابن درستويه عن علي بن الكسروي عن أحمد بن منصور الزواج عن الليث قال فيه: "كنتُ أصير إلى الخليل بن أحمد فقال لي يوماً: لو أنّ إنساناً قصد وألف حروف أ ب ت ث على ما أمثله لا ستوعب في ذلك جميع كلام العرب، وتها إلى أصل لا يخرج عنه شيء". وكأني أذهب هنا بعد أن عرضت لهذا في أوّل هذا الموجز، إلى أن الخليل كان له القاعدة والأصل وما يلحق بهذا من إضافات، ثم إن فيما ذكره ابن النديم من كلام ابن درستويه عن الليث يشير صراحة إلى ما كان من نصيب الليث في الكتاب، فكيف لنا أن نرى ابن درستويه يغفله فيذهب إلى غيره كما يشير عنوان كتابه الثاني الذي صنّفه دفاعاً عن الكتاب وعن صاحبه الخليل؟ وأتجاوز أولئك وأذهب إلى الذين أنكروا كتاب العين وذهبوا إلى الطعن في مادته ومن هؤلاء أبو منصور الأزهري وأبو بكر الزبيدي وأبو الفتح عثمان بن جني. لقد ذهب هؤلاء أيضاً إلى إنكار نسبة "العين" إلى الخليل، وخالف هؤلاء أبو علي الفاسي، ولا أدري كيف كان هذا؟

وأبدأ بالأزهري الذي نسب في معجمه 'التهذيب' ما أفاده من "العين" إلى الليث، وكأنه أنكر أن يكون ما أفاده للخليل بن أحمد. لقد أشار الأزهري في "التهذيب"^(٣) في مواضع عدة إلى أن المواد كانت لمن تصدّى للكتاب فعمل على تحشيتها. لقد قابل الأزهري بين نسخ الكتاب التي اقتناها فوصل في علمه أن حشو الكتاب ليس للخليل وهو صاحب الرسم والفكرة. فأما المادة اللغوية ففيها الغث والسمين، والصحيح والسقيم، والتناقض والاضطراب، والخلط والتصحيف والتحريف. وهذا مما لا يمكن أن ينسب إلى الخليل.

وقال الأزهري في فاتحة "التهذيب" وقد أشار إلى الليث ونسبه إلى طبقة أهل المعرفة الذين "اتّسموا بسمّة المعرفة وعلم اللغة، وألّفوا كتباً أودعوها الصحيح والسقيم، وحشّوها بالمزال والمفسد والمصحّف والمغيّر الذي لا يميّز ما يصحّ منه ألا عند النقاب المبرّز والعالم الفطن لنحدّر

(١) المصدر السابق ٣٤٣/١.

(٢) الفهرست ص ٤٨ وعن هذا ما جاء في الأدباء ٥١/١٧.

(٣) انظر التهذيب ٢٦٤/٣، و ٤١٤/٤، و ٢٧١/٦، و ٢٧٦/١١.

الأغمار اعتاد ما دونوا والاستقامة إلى ما ألفوا .

ثم قال: "فمن المتقدمين الليث بن المظفر الذي نحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جملة لينفق باسمه ويرغب فيه من حوله" . واستظهر بروايات تؤيد ما هو فيه. ثم قال بعد ذلك: "قلت: وقد قرأت كتاب العين غير مرة، وتصفحته تارة بعد تارة، وعُنت بتتبع ما صحف وغير منه، فأخرجته في مواقع من الكتاب وأخبرت بوجه الصحة فيه، وبيئت وجه الخطأ، وذلك في موضع الصواب منه. وستقف على هذه الحروف إذا تأملت فيها في تضاعيف أبواب الكتاب، ونحمد الله إذا أنصفت على ما أفيدك فيها، والله الموفق للصواب ولا قوة إلا به" (١).

وأطل مع الأزهري في "التهذيب" وقد أكثر الإفادة من "العين" وهو يقول: وقال الليث، فأجده يقول في الموضع نفسه من "الكتاب":

"وأما ما وجدته فيه صحيحاً، ولغير الليث من الثقات محفوظاً، أو من فصحاء العرب مسموعاً، ومن الريبة والشك لشهرته وقلة إشكاله بعيداً، فاني أعزبه إلى الليث بن المظفر وأؤديه بلفظه، ولعلّ قد حفظته لغيره في عدة كتب فلم أشغل بالفحص عنه لمعرفتي بصحته، فلا تشكّن فيه من أجل أنه زلّ في حروف معدودة هي قليلة في جنب الكثير الذي جاءه صحيحاً. وأحمدني على نفي الشبه عنك فيما صححت له، كما أحمدني على التنبيه فيما وقع في كتابه من جهته أو من جهة غيره ممن زاد ما ليس منه.

ومتى ما رأيته ذكرت من كتابه حرفاً وقلت: إني لم أجده لغيره فاعلم أنه مرتب، وكن منه على حذر وافحص عنه، فإن وجدته لإمام من الثقات الذين ذكرتهم في الطبقات فقد زالت الشبهة، وإلا وقفت فيه إلى أن يصح أمره".

وقال وهو يبسط طريقته ومنهجه في "التهذيب": "ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المجمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه من فيه...." (٢).

(١) التهذيب ١/٢٨، ٢٩.

(٢) المصدر نفسه. أقول: وعزا يعزرو ويعزي لغتان.

أقول: وليس للأزهري، وقد اطمأن إلى حقيقة ما كان للخليل بن أحمد، وما هو لصاحبه الليث، إلا أن ينسب ما أخذه من الكتاب إلى الليث، ولم يذكر الخليل إلا حين عرض لمخارج الحروف وأحيازها مما هو في تأسيس الكتاب.

وكان لي ان غبرت عدة شهور استقري المواضيع التي كان للأزهري فيها اشكال وهو يعرض لشيء ذكره الليث وزعم أنه للخليل فوجدت أنه قد تردّد في مواضع فقال:

"ولم اسمعه لغيره" ^(١)، أو "لم اسمع لغير الليث وأرجو أن يكون أخذه من الثقات" ^(٢)، أو "لا أحفظه لغيره وأرجو أن يكون صحيحاً" ^(٣)، أو "فإني لا أحفظها لغير الليث، ولا أدري أهى لغة حفظت عن العرب أم في العين تصحيف والله أعلم" ^(٤)، أو "هذا حرف مرتب ولا أحقه" ^(٥).

وقد يتجاوز هذا التردّد والشك فيقطع بقوله ويشير إلى خطأ ما ذكره الليث، فقد قال مثلاً: "قلتُ أنا جميع ما قاله الليث في (الوعيق) و (الحقيق) خطأ، لأنّ الوعيق...." ^(٦)، وقد يتجاوز هذا ويقول: "وهذا غلط بل تصحيف منكر" ^(٧)، أو "وقال الليث: "الحقة" خرقه تلبسها المرأة فتعطي رأسها، قلتُ: هذا حاقّ التصحيف الوحش" ^(٨)، أو "قلت هذا التفسير للقتار" من أباطيل الليث ^(٩) أو "قلتُ: وهذا حاقّ التصحيف الذي يستحي من مثله من ضعفت معرفته فكيف الذي

(١) المصدر نفسه ١٢٢/١.

(٢) المصدر نفسه ٣٣٩/١٠.

(٣) المصدر نفسه ٦٢٩، ٢٠٧/٧.

(٤) المصدر نفسه ١٢٤/١.

(٥) المصدر نفسه ١٤٧/١.

(٦) المصدر ٣١/٣ وأقول: وفي هذا الموضع من "التهذيب": وقال الليث: يقال منه: وَعَقَّ يعق، وهو صوت يخرج من حياء الدابة إذا مشت، قال: وهو الحقيق من قُنْب الذكر. أقول: وقول الليث هذا غير بعيد عن قول ابن الأعرابي وهو من متقدّمي اللغويين.

(٧) المصدر السابق ١١٥/٣.

(٨) المصدر نفسه ٤٤٨/٣.

(٩) المصدر نفسه ٥٠/٩، أقول: لم يتبين من مراجعة التهذيب في "القتار" شيء من أباطيل الليث.

يدعي المعرفة الثابتة" (١).

أقول ان التصحيف الذي أشار إليه الأزهرى في "الجداد" وهو صاحب الخانوت الذي يبيع الخمر. والصواب هو "الجداد" بالخاء المهملة.

وقد استقرى الأزهرى نسخة العين و اطال استقراءه وتبين أمرها كما أشار إلى عيوبها فقال:
"قلت: وهذه الحروف وما شاكلها أراه منقولة من صحف سقيمة إلى كتاب الليث وزيدت فيه.
ومن نقلها لم يعرف العربية فصحّف و غير فأكثر، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل" (٢).

وقد كان من استقراءه للعين انه اضطر إلى أن يأتي بشيء لليث رضىه واستحسنه وقدمه على غيره
من كبار اللغويين، فقال مثلاً: "قلت: وقول الليث في "المعرّص" أعجب إليّ من قول الفراء" (٣).

أو "قلتُ فرّق الليث بين "الحزيم" و "الحيزوم" ولم أرَ لغيره هذا الفرق، وقد استحسنته له" (٤)
أو "قلتُ: جوّد ابن المظفر في تفسير الوحشيّ والإنسيّ، ووافق قول أئمتنا المتقنين" (٥). أو "قلتُ:
وهذا صحيح من قول الخليل، وهو كما حكاها الليث" (٦). أو "وهذه الحروف ذكرها الليث في
كتابه وهي كلها صحيحة" (٧). أقول: وهنا أفيد أن الأزهرى كان قد أقرّ أن شيئاً من موادّ العين قد
كان ذكرها الخليل، وإن كان قد نسب "العين" إلى الليث.

(١) المصدر نفسه ٤٦٤/١٠.

(٢) المصدر نفسه ١٥١/٧ أقول: مثل هذا قول الأزهرى: "و هذا تصحيف قبيح من الليث أو من زاده في كتابه". وقد
رجعت إلى التهذيب ثانياً لأرى حقيقة التصحيف وهو في قول الليث "وَدِينُ أي مودون أي مبلول من وَدِنَتْهُ أدْنُهُ
وَدْنًا إذا بللته، والواو فاء الفعل، وهي أصلية وليست بواو العطف، ولا يعرف "الدين" في باب الأمطار. قال
الأزهرى: وهذا تصحيف.....

(٣) المصدر نفسه ٢١/٢ أقول: و "المعرّص" هو "المفطّع". أي اللحم يُلقَى على الجمر، كذا قال الفراء، وقول الليث
غير هذا. انظر "التهذيب" ٢١/٢.

(٤) المصدر نفسه ٣٧٦/٤.

(٥) المصدر نفسه ١٤٤، ٥.

(٦) المصدر نفسه ٤٣٦/٣ أقول: قال الأزهرى: وكما قال أي الليث قلتُ للخليل فقال، أوفال الخليل بن أحمد لا
تدليس فيه، وإذا قال الخليل ففيه نظر...

(٧) المصدر نفسه ١٩٠/١٣ أقول: والكلام على "الفزّر" من الضأن، و "الفزرة".....

و من المفيد في " حكاية كتاب العين " أن نذهب بعيداً عن البصرة وبغداد وخراسان لنواجه كتاب العين في الأندلس فنجد أبا بكر الزبيدي^(١) من رجال القرن الرابع الهجري معنياً بكتاب العين. وكأنه قد وجد فيه شيئاً لا يمكن أن يكون من كلام الخليل بن أحمد لما عرض له من الخطأ والخلل فعمد إلى اختصاره فكان له كتاب سماه " مختصر العين " ^(٢) فقال في صنعيته: " بأن تؤخذ عيونه ويلخص كذا ^(٣) لفظه، ويُحذف حشوه، وتسقط فصول الكلام المتكررة فيه، لتقرب بذلك فائدته وليسهل حفظه، ويخفّ على الطالب جمعه....

ومذهبنا أن نصلح ما ألفيناه مختلفاً في الكتاب، وأن نوقع كل شيء منه مواقعه، ونضعه في بابه إن شاء الله. ونحن نربأ بالخليل عن نسبة هذا الخلل إليه، ... بل نقول: إن الكتاب لا يصحّ به ولا يثبت عنه و أكبر الظن أن الخليل سبّب أصله ورام تثقيف كلام العرب فيه، ثم هلك عنه قبل كما له فتعاطى إتمامه من لا يقوم في ذلك مقامه " .^(٤)

وقد أثبت السيوطي في " المزهَر " أن لأبي بكر كتاباً دعاه " استدراك الغلط الواقع في كتاب العين " ^(٥). وقد ظهر في المغرب شيء من هذا في ثلاث قطع من الأصل مع فاتحة للكتاب.

أقول: وهذا الكتاب الذي انفرد بذكره السيوطي (المزهَر ١/٧٩) من الكتب المفقودة، ولكن السيوطي ذكر مقدّمته كما ذكر باختصار اعتراضات الزبيدي واستدراكاته على " العين ". والزبيدي في مقدّمته يرى نفسه أن يكون قد قصد الخليل في اعتراضاته واستدراكاته فقال كما ذكر السيوطي أو ليس من العجب و النادر أن يتوهم عنيّنا من مسكة من نظر أو رمق من فهم تخطئة الخليل في شيء

(١) وأبو بكر الزبيدي، محمد بن الحسن بن عبيد الله الأندلسي الإشبيلي: عالم باللغة والأدب توفي سنة ٣٧٩. ألف: الواضح في النحو، وطبقات النحويين و اللغويين، و لحن العامة، و مختصر العين.

(٢) أقول: وكان الأندلسيون سعوا إلى ميدان التصنيف لينا فسوا أهل المشرق فكان لنا في التراث اللغوي مصنفات ابن سيده التي أربى فيها على المشاركة، وكان لنا ما تركه ابن السيد البطليوسي في تصحيحه و استدراكه و شرحه وغيرهما من المشاهير. و كنت قد بسطت هذه الفوائد لطلاب الماجستير منذ ما ينيف على ربع قرن في بغداد فوقفت على الجزء الذي طبع في المغرب الذي أخرجه علال الفارسي و محمد بن تاويت الطنجي سنة ١٩٦٤. وقد بلغني أن أحد طلابنا هو الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي قد عاد إلى هذا الجزء و نشره في بغداد.

(٣) أقول: كأن الصواب: و يخلص.

(٤) مختصر العين (المقدمة).

(٥) أقول: وهذا الكتاب الذي انفرد السيوطي بذكره قد وقع على شيء منه عبد الغني الودغيري و نشر هذا الذي وجدته في كتاب له هو " المعجم العربي في الأندلس " (ط. دار المعارف بالرباط سنة ١٩٨٤).

من نظره، والاعتراض عليه فيها دقّ أوجلاً من مذهبه، والخليل بن أحمد أوحّد العصر وقريع الدهر.... ولو أن الطاعن علينا يتصفح صدر كتابنا "المختصر من كتاب العين" لعلم أننا نزرّهنّا الخليل عن نسبة المحال إليه ونفينا عنه من القول ما لا يليق...^(١).

وأعود إلى ما كان للزبيدي من آراء ذهب بها إلى إنكار "العين" وأمر نسبته إلى الخليل، وهذه هي كما ذهب إليها نفر من أصحاب الخليل الذين أنكروه وطعنوا في روايته فقال:

١- إن الكتاب لا يصحّ له ولا يثبت عنه، فقد كان جلة البصريين الذين أخذوا عنه من أصحابه وحملوا علمه من روايته ينكرون هذا الكتاب ويدفعونه، أذ لم يرد إلّا عن رجل واحد غير مشهور من أصحابه.^(٢)

٢- ما وقع فيه من الحكايات عن المتأخّرين، والاستشهاد بشيء من شعر المحدثين كما أثبت السيوطي في المزهري^(٣)، وفيه يضرب الزبيدي مثلاً على ذلك ما في نسختي القاضي منذر بن سعيد البلوطي وقاسم بن ثابت من النقل عن أبي عبيد القاسم بن سلام وابن الأعرابي والأصمعي وغيرهم.

٣- وذهب الزبيدي إلى "أن جماع ما فيه من معاني النحو إنما هو على مذهب الكوفيين"^(٤)، وضرب مثلاً على ذلك مخارج الحروف واختلافها عما ذكره سيبويه عن الخليل في "الكتاب"، وإدخاله الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف.

٤- وقد يكون للزبيدي رأي آخر هو لو أن الكتاب للخليل لما أعجزه ولا أشكل عليه تثقيف الثنائي الخفيف من الصحيح والمعتلّ، والثنائي المضاعف من المعتلّ، والثلاثي المعتلّ بعلتين، ولما جعل ذلك كله في باب سماء اللفيف فأدخل بعضه في بعض وخلط فيه خلطاً...^(٥)

(١) المزهري ٨٠/١، ٨٣.

(٢) مختصر العين ص ٨.

(٣) المزهري ٨٣/١.

(٤) المصدر نفسه ٨٥/١.

(٥) أقول: وقد أثبت السيوطي في المزهري ٨٥/١، إن الذي في "العين" إنما هو على مذهب الكوفيين وهو مخالف لما ذكره سيبويه في كتابه عن الخليل الذي تبعه البصريون.

وكانّ الزبيدي أراد أن يبرئ الخليل عن الخلل الذي وقع في " العين " فقال في هذا أن الخليل: " سبب أصل كتاب العين ورام تثقيف كلام العرب فيه " ثم هلك عنه قبل كما له فتعاطى إتمامه من لا يقوم في ذلك مقامه، ذلك سبب الخلل الواقع والخطأ الموجود فيه .

وقد أثبت أنا جميع هذا في الموجز.

غير أني أتوقف في بعض الرجال في القرن الرابع ومنهم أنو علي الفارسي^(١) فما أراني فيه بشيء يتصل بما أنا فيه من " حكاية كتاب العين " ، وليس لي في هذا ما أستطيع القول فيه. إلا ما كان لي وأنا أعرض لرأي ابن جنّي في كتاب العين وسأشير إلى هذا الذي أفاده ابن جنّي. ولا أراني أحمل ما أومأ به في " الخصائص " فأرى فيه إنكاراً واضحاً لأبي علي لكتاب العين.

قلت: لقد توقفت لدى أبي علي الفارسي وليس ما أطمئن به في سكوته عما قيل في " كتاب العين " ^(٢) . ولا أدري كيف كان ابن جنّي أبو الفتح^(٣) الذي أخذ عن شيخه الفارسي وعاصره ذا رأي صريح في " الكتاب " . وكأنه استوعب آراء المنكرين الطاعنين ولا أستبعد أنه أكتفي بذلك بل أراه قد رأى الكتاب وتقرّاه ووقف على عواره فقد قال: " وأما كتاب العين ففيه من التخليط والخلل والفساد ما لا يجوز أن يحمل على أصغر أتباع الخليل، فضلاً عن نفسه، ولا عجالته أن هذا تخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره - رحمه الله - وإن كان للخليل فيه عمل فإنما هو أنه أوماً إلى عمل هذا الكتاب إيماءاً، ولم يله بنفسه، ولا قرّره ولا حرّره ويدل على أنه قد نحا نحوه أي أجد فيه معاني غامضة ونزوات للفكر لطيفة، وصنعة في بعض الأحوال مستحكمة " ^(٤).

(١) هو الحسن بن أحمد عبد الغفار الفارسي، أبو علي المتوفى سنة ٣٧٧هـ. من أكابر النحويين انظر: إنباه الرواة ١/٢٧٣، المزهر ٢/٤٢، طبقات النحويين للزبيدي ص ١٣٠، نزهة الألباء ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) قلت: ليس لي أن أقطع في أن أبا علي الفارسي لم يكن قد عرف " العين " ، وقد يكون لي أن أذهب إلى رأي الثقات من أهل العلم الذين قد أنكروه فاكتفى بهم. واستظهر على هذا بما أشار إليه ابن جنّي من أنه رأى في " البغداديات " لأبي علي قوله: " ذكر سيبويه قولهم " مرعزاء " وحكم بزيادة الميم منها، وذكر صاحب العين قولاً خالف قول سيبويه فيه. ونحن نذكر ما قال أي صاحب العين ونبيّن فساده " . أقول: وهذا يدل على أن أبا علي كان من المنكرين لما ورد في كتاب العين. ثم إن قوله " صاحب العين " يشير إلى أنه استبعد نسبته إلى الخليل.

(٣) أقول: كأن ابن جنّي تحقّق إنكار شيخه أبي علي للكتاب.

(٤) الخصائص لابن جنّي ٢٨٨/٣ .

وكان لي من اسقراطي أن وقفت على "شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف" لأبي أحمد العسكري، وهو من رجال القرن الرابع الهجري، قد تابع المنكرين، وكأنه ليس من اللغوين الذين أطالوا النظر في صفحات كتاب العين ولكنه اطمأن إلى ما ذهبوا إليه. لقد جاء في كتابه قوله:

"ما وهم فيه الخليل بن أحمد في كتاب العين إن كان عمّله، فإني رأيت مشايخنا كالمجمعين على أن الخليل إنما عمل بعض الكتاب، وقيل: بل عمل حرف العين فقط، وإن النضر بن شميل تّمّمه بخراسان، واجتمع معه الليث بن المظفر وعليّ بن ساسان الواسطي، فأضافوا إلى الكتاب ما يجوز وحملوا مما لا يجوز رغبة في أن يكون الكتاب كاملاً تاماً".^(١)

وإذا كان لي أن أجعل أبا أحمد العسكري مع جملة من أنكر كتاب العين وطعن في نسبته فإني أراه ممن شملتهم دعوة الإنكار هذا مما انفرد به العسكري ولم أجده مذكوراً في تاريخ الكتاب.

قلت: لقد تابع العسكري دعوة المنكرين والطاعنين في "العين" وصاحبه، وإن كنت أسترجح أنه لم يستقر الكتاب.

ويمضي أبو أحمد العسكري في إفادته مما عُرف عن العين ومما قيل فيه، فقال:

ومما يدل على هذا استشهاد الذين تّمّموا العين بأشعار المولّدين مما لم يكن الخليل يلتفت إليه ولا يستشهد بمثله. وذد علّمت في (العين والحاء والراء) وغيرها على أكثر من أربعين بيتاً للمحدثين مثل سليمان بن يزيد العدويّ وصالح بن عبد القدوس وسابق البربري. ويشار ومَن في طبقتهم، بل وجدت فيه من شعر أبي دلامة والحسن بن هاني، وهذا أدل دليل على أن الكتاب مُفسد مزيد عليه".^(٢)

وهو في كل ما كان لديه عن الكتاب ينسبه إلى الذين صنعوه وتّمّموه، فقد أشار إلى التصحيف والتحريف في العين وقد أفادها من ابن دريد قراءة فقال فيها: "مما لا يذهب مثله على الخليل"^(٣)، ثم ذكر في هذا قول ابن دريد له: "لا تنظر إلى ما في كتاب الخليل في باب السين... فإن ذلك غلط من

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٥٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٨ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٩ .

الليث على الخليل".^(١) وأرى لابن دريد^(٢) الذي أدرجه الدارسون مع المدافعين عن كتاب العين نظراً خاصاً. إنه لم يُغفل ما عرض للكتاب من خلل، ولكنه لمح فيه الكثير من أصالة الخليل فقال: "وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي - رضوان الله عليه - كتاب العين فأتعب من تصدّى لغايته وعنى من سما إلى نهايته. فالمنصب له بالعَلَب معترف والمعادن متكلف، وكل من بعده له تبع أقر بذلك أم جحد. ولكنه - رحمه الله - ألف كتاباً مشكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل دهره".^(٣)

وكأن ابن دريد، وقد استبعد ما عرض من الخلل لكتاب العين، قد ذهب إلى أن التصحيف والخلل كان من صنع الليث. وقد صنّف كتاباً في هذا "شرح ما فيه التصحيف والتحريف"^(٤)، كما أفاد حمزة الأصفهاني في كتابه "التنبيه على حدوث التصحيف".^(٥) ذكر أبو أحمد العسكري في كتابه قول ابن دريد: "لا تنظر إلى ما في كتاب الخليل في باب السين غير المعجمة، فقال: سَدَف في معنى شدف، فإن ذلك غلط من الليث لا على الخليل".^(٦)

قلت: لقد استقرى ابن دريد نسخة العين لاتي وصلت إلى العراق فقال في الجمهرة^(٧): "الزَّحْكُ بمعنى الدنو..... وأهمل الخليل هذه الكلمة، وأحسبه غلطاً من الليث. وأظن في "الجمهرة" فأرى الأصل (ب ع ث) قال: "ويوم بعث يوم معروف، وذكر عن الخليل بالغين معجمة، ولم يسمع غيره. قال أبو بكر: وليس هذا صحيحاً عن الخليل أيضاً".^(٨)

وجاء في "الجمهرة" أيضاً في الأصل (د ق ش) قوله: "وزعموا أن الخليل سأل أبا الدقيش: ما

(١) المصدر السابق ص ٥٩ .

(٢) أقول: ولد ابن دريد سنة ٢٢٣هـ وتوفي سنة ٣٢١هـ كما في ترجمته في المصادر المختلفة، فهل أراني أفترض أنه رأى النسخة الأولى التي حملت من خراسان سنة ٢٤٨هـ؟

(٣) الجمهرة ١/ ٣ .

(٤) الفهرست ص ٤٩

(٥) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٦٠، ٦٨

(٦) التنبيه على حدوث التصحيف ص ٧٥

(٧) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٦٢

(٨) المصدر السابق ١/ ٢٠

الدقيش؟ فقال: لأدري، إنها هي أسماء نسمعها، تُسمى بها ولا نعرف معانيها. وهذا غلط وادّعاء على أبي الدقيش، وكيف يخفى على أبي عبد الرحمن -نصر الله وجهه- مثل هذا وقد سمع العرب سمّت دقشاً ودقيشاً....^(١) وإني لأذهب إلى إدراج ابن دريد مع الذين أنكروا العين و طعنوا في نسبته إلى الخليل، مع علمي أنه صرح في نسبته إلى الخليل وأشاد بعلم الخليل وأصالته اللغوية في "مقدمة الجوهرة" وأن موقفه الأول هذا لا يعني أنه يغفل النظر عن الخلل الذي عرض للعين، بل أنه وقف عليه ووجد له مخرجاً في نسبة ما كان من هذا إلى الليث الذي انفرد برواية العين. وأظّل مع النفر الذي كان له في كتاب العين رأي فأقف على أبي علي القالي (المتوفى سنة ٣٥٦هـ) فأجد السيوطي^(٢) يذكر شيئاً لأبي بكر الزبيدي^(٣) تلميذ أبي علي القالي يتحدث عن شيخه القالي جاء فيه: "وحدثنا إسماعيل بن القاسم البغدادي، قال: لما ورد كتاب العين من بلد خراسان زمن أبي حاتم: أنكره أبو حاتم وأصحابه أشدّ الإنكار ودفعه بأبلغ الدفع، وكيف لا ينكره أبو حاتم على أن يكون بريئاً من الخلل، سليماً من الزلل، وقد غر أصحاب الخليل بعد مدة طويلة لا يعرفون الكتاب ولم يسمعوا به... فما علمنا أحداً منهم نقل في كتابه عن الخليل من اللغة حرفاً".

غير أني أجد الزبيدي في "البارع"^(٤) يذهب إلى شيء آخر يناقض قوله الذي أثبتته السيوطي. لقد جاء في مقدمة البارع التي حرّرها محقق الكتاب الدكتور هاشم الطعان ما يفيدان الخليفة الأندلسي طلب من أبي بكر الزبيدي أن يقابل بين نسخ العين ليقيم منها نسخة يعتمدها. فهل لي أن أقول: إنه أي الزبيدي بعد استقراره للنسخ وجد شيئاً أو أشياء دفعته إلى أن يكون له قبول للكتاب وأنه نسبه إلى صاحبه الخليل؟ أقول: ولا أراني أميل إلى أن الزبيدي قد غيّر ما كان له في الكتاب، فقد أجد في "البارع"^(٥) في الأصل (ص م غ) قوله:

"وقال أبو علي: لست من هذا الحرف على ثقة، فإني لم أجده إلا في كتاب العين". وكأن أبا علي

(١) المصدر نفسه ٢٦٩/٢

(٢) المزهر ٨٣/١ - ٨٥

(٣) جاء هذا في أول كتاب الزبيدي كما أشار السيوطي وهو "استدراك الغلط الواقع في كتاب العين".

(٤) مقدمة محقق كتاب البارع ص ٦٥

(٥) المصدر السابق ص ٢٧٠

لم يطمئن إلى ما في كتاب العين، وكان بسبب هذا أنه لم يحمله مع الكتب التي حملها من المشرق إلى الأندلس.

وأتحوّل إلى أحمد بن فارس (المتوفى سنة ٣٩٥هـ) الذي ذكر كتاب العين وأخذ منه في كتبه على ترّدده وشكّه فيما أخذ، فقد قال في "الصاحبي" :

"وأما الكتاب المنسوب إلى الخليل وما في خاتمته من قوله: "هذا آخر كلام العرب"، فقد كان الخليل أروع وأتقى لله - جل ثناؤه - من أن يقول ذلك". وقد أثبت في هذا الموضع آراء أصحاب الخليل في زهده واستقامته فأضاف "قلنا فهذا مكان الخليل من الدين، أفتراه يقدم على أن يقول: "هذا آخر كلام العرب"؟

ثم إن في الكتاب الموسوم به من الإخلال ما لا خفاء به على علماء اللغة. ومن نظر في سائر الأصناف الصحيحة علم صحة ما قلناه".^(١) ولا بن فارس كتاب معروف هو "مجمّل اللغة" ذكر فيه كتاب العين وقال عنه "الكتاب المنسوب إلى الخليل أو الكتاب الذي يقال إنه للخليل".^(٢) وهو في المجمل يصل في رواية الكتاب إلى الليث، وهذه السلسلة نجدها في كتاب العين، وكنا أشرنا إلى أن الكثير من رجالها لم يكونوا معروفين. وهو يذكر أولئك الذين نقلوا الكتاب في معجمه الآخر الموسوم بـ "مقاييس اللغة".^(٣)

لقد لمح ابن فارس أن رواة الكتاب من المجاهيل،^(٤) وكان هذا كان سبب تشكّكه في نسبته إلى صاحبه وهو الخليل، وقد ذكر هذا وأشار إلى اضطراب نسخته قال: "وفي نسختي من كتاب العين أن السين والجيم والذال مهمل، فلا أدري أسقط من كتابي أم خفي على مؤلفه، والكلمة صحيحة لا شك فيها".^(٥)

(١) الصاحبي ص ٤٧-٤٨

(٢) انظر المجمل ١/٤٥، ١/٣٣٩، ١/٣٣٦

(٣) معجم مقاييس اللغة ١/٤

(٤) قلت: إن رواة الكتاب من المجاهيل سوى بندار بن لثة الكرجي، و كنت ذكرت هذا في أول هذا الموجز

(٥) مجمل اللغة ٣/١٩٨

وأضي مع رجال القرف الرابع من اللغويين الذين عرفوا "الكتاب" فأجد صاحب بن عبّاد (المتوفي سنة ٣٨٥هـ) في كتابه "المحيط في اللغة" الذي لم يذكر فيه صاحبه كتاب العين، ولكني أجد عبارة "العين" في أصول كثيرة، كما أجد غيرها مما لم أعرفه في العين. فهل لي أن أقول: إنه أفاد من "العين" عن طريق مصدر آخر، وهل لي أن أرى أنه أفاد منه، وقد عرفت نسخ الكتاب ولكن قيل فيه ما قيل من أمر إنكاره و الطعن فيه؟ وقد كان لي ان وقفت على شيء منه اشار فيه إلى "العين" وهو قليل^(١).

لقد كان لي أن قرأت مقدمة "المحيط"^(٢) للصاحب فوجدت المحقق للكتاب يشير إلى الخارزنجي الذي كان له "تكملة كتاب العين" وقد ضمّته صاحبه ما استدركه على الخليل. غير أنني وجدت الأزهري في "التهذيب" قد أخذوا على الخارزنجي أنه أثبت في مواد كتابه شيئاً لم يكن له فيه سماع من أهل العلم وكان قد نسب إلى الأوائل من علماء اللغة^(٣).

غير أنني أجد الأجزاء التي نشرت من كتاب "المحيط في اللغة" قد اتبع فيها صاحب بن عباد طريقة الخليل في الاعتماد على مخارج الأصوات.

ومن المفيد أن أختتم ما كان لي من آراء اللغويين الذي عرفوا "العين" فأثبت ما كان لإسماعيل بن حمّاد الجوهري (المتوفي سنة ٣٩٦هـ) مع هذا الكتاب فأقول: إنه نسب في أصول موادّه شيئاً إلى الخليل ولم يذكر الليث كما فعل الأزهري مثلاً.

أقول: وكأنه لم يرد أن يدخل في معمعان هذا الأمر لمعرفة وشيوعه، ولأنه أثر الإيجاز في التصنيف وأراد أن يثبت في "صحاحه" ما اطمأن إلى صحته. ولكنني وقفت على بعض هذا، وهو في سعيه لإثبات ما ضحّ لديه، في (ش د ف): "الشدف، بالتحريك، الشخص، ولا يجمع الشدوف. وهذا الحرف في كتاب العين بالسين غير معجمة. قال ابن دريد: هو تصحيف"^(٤).

(١) ومن هذا ما ذكره في (العشم) الذي هو "الطمع" قال صاحب: عن أبي سعيد، وأضاف: وحكاها الخليل بالسين غير معجمة. المحيط في اللغة ١/٣٣٧.

(٢) محقق الكتاب هو الشيخ محمد حسن آل ياسين، فقد نشرت وزارة الثقافة والإعلام في بغداد للمحقق ثلاثة أجزاء من المحيط سنة ١٩٧١ و ١٩٧٥ و ١٩٨١، وكان المحقق قد أشار في مقدمته إلى الخارزنجي وما كان منه.

(٣) انظر مقدمة الشيخ محمد حسن آل ياسين ٢٠/١.

(٤) انظر (شدف) في "الصحاح".

ولابد من الإشارة إلى القليل الذي أورده الجوهرى وهو يومىء إلى شكه فيما كان في " العين " فقد أشار في " مقدمته " بقوله: " وحكى الخليل (حسس وزفف)، وفي قوله: " وزعم الخليل (صلف وعهق) ^(١) .

أقول: وهذا الذي أومأ به الجوهرى إلى كتاب العين قليل في كتابه، وقد كان له أن ذكر شيئاً عن نسبة إلى الخليل مشيراً إلى ما ورد في كتاب سيبويه والغريب المصنف لأبي عبيد.

رَفْعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أُسَلِّمُ إِلَيْهِ الْفَرْدُوسَ

الباب الثاني

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قبل الدخول في الكتاب

قبل الدخول في "الكتاب" كنت عرضت لما كان لدى أهل العربية من أصحاب الخليل ممن عاصروه ومن أخذوا عنه ومن خلفهم، وبسطت أنهم عامة أنكروا الكتاب ووجدوا فيه شيئاً لا يمكن أن يكون من علم الخليل. وليس بينهم من استقبل الكتاب قبولاً حسناً، وإن كان من ذهب إلى أن صاحب الكتاب الخليل فقد قال: إنه صاحب فكرته الأولى في منهجه. ولم يكن صاحب الأصول التي بسطت فيه. وقد ذهب هذا نفر المعتدل إلى أن الليث وآخرين قد كان لهم صنعة فيه، فهو الذي حشاه وأقام بنيانه. ومن أجل هذا كان فيه الخلل والغلط. وكأني، وأنا المشارك في نشرة وزارة الإعلام والثقافة في بغداد أميل إلى هذا الرأي. قلت: لم يكن لي أن أبسط هذا في مقدمتي أنا في الكتاب بسبب أن مناسبة "النشرة" المذكورة كانت في إكبار الخليل بن أحمد وتعظيمه. فأما وقد أراد صاحبي المشارك في تحقيق تلك النشرة أن ينفرد بالكتاب كما تبين في أول ما كان لي في هذا الموجز الذي وسمته "حكاية كتاب العين"، فقد عدت إلى ما كان لي لأبسط بين يدي القارئ ما كان من أمر الكتاب. وكنت أريد بعد عرضي في هذا "الباب الأول" لآراء أهل العلم السابقين أن أدخل إلى مواد الكتاب فأبين ما فيها مما لا يمكن أن يكون من علم الخليل.

غير أنني وجدت أن لا بد من التوقف قليلاً فأبين ما كان في "الكتاب" من اضطراب أو في حقيقته من تناقض. إن هذا "التناقض" قد وجدته وقد وجده كل من أهمه أمر الكتاب وهو أن في الكتاب أشياء ناقضت ما عرف عنه لدى الذين أفادوا من الخليل.

وقد كان لي هذا وأنا أنظر في "الكتاب" الشهير الذي وُسم في عصره وبعده بالكتاب "الإمام" لسيبويه أول من صحب الخليل وأكثر من مساءلته وقد صرح بهذا كثيراً. لقد جاء في الكتاب قول سيبويه مثلاً: وسألته، أو سألت أبا عبد الرحمن، أو قال، أو نحو هذا. لقد كان لي أن أحصيت هذه المواضع ولكنني لم استوفها عدّة مئين من المواضع، وربما ذكر قول الخليل ولم يذكر صاحبه ويكتفي بـ "قال" (١).

(١) لقد ذهب نفر من الدارسين إلى أن جملة ما ورد في "كتاب" سيبويه للخليل بن أحمد، وقد جرد هؤلاء سيبويه من هذه الصنعة لكثرة ما كان فيه من أقوال الخليل. وليس لي أن أذهب إلى هذا لأنني وجدت فيه مكان سيبويه واضحاً.

أقول: في تلك "المواضع" من "كتاب" سيبويه ما يبتعد كل الابتعاد عن كثير مما ورد في "كتاب العين".

ثم أذهب إلى ما كان لأبي عثمان المازني المتوفى سنة ٢٤٧هـ، وهذا من تلاميذ أبي حاتم السجستاني الذي كان من أوائل المتكرين لما تُنسب إلى الخليل. لقد كان لأبي عثمان المازني كتابه المعروف "التصريف" الذي لم يصل إلينا، بل كان لأبي الفتح ابن جني فضل التعريف به في "شرحه" للتصريف الذي وسمه بـ "المنصف". إن ما بسطه ابن جني في "المنصف" بشير إلى أن للمازني أشياء كثيرة من علم الخليل تبتعد كثيراً بل تخالف ما نسب في "العين" للخليل. ومن أجل هذا ذهب ابن جني مع المنكرين بشدة لما في "العين" فلا يجوز نسبته إلى الخليل كما ذهب إلى هذا في "الخصائص" ^(١). وكأن ابن جني في ذهابه إلى الإنكار قد أشار إلى إنكار شيخه أبي علي الفارسي.

وقد كان مثل هذا من الإنكار ونحوه لدى الآخرين من أهل العربية كأبي حاتم والمبرد وابن دريد وأبي منصور الأزهري والزجاجي وأبي هلال العسكري وغيرهم. وكنت عرضت لما كان لكثير منهم.

وأعود إلى "المنصف" لابن جني في مسألة الثلاثي الذي زيد فيه فأجده رباعياً في كتاب العين، وهو ثلاثي لدى الخليل، فقد جاء في "المنصف" قول أبي عثمان المازني في التصريف: "زعم الخليل أن "دَلَامِصاً" الميم فيه زائدة، وهو "فُعَامِل"، والدليل على ذلك قولهم: دِلَاص ودَلِيص في معنى دُلَامِص" ^(٢).

أقول: وإلى مثل هذا ذهب الزجاجي في "شرح أسماء الله" ^(٣)، وابن جني في "شرح كتاب التصريف الملوكي" لابن يعيش ^(٤). غير أن "دلامص" في كتاب العين رباعي والميم غير زائدة ^(٥).

وقد جاء في "المنصف" قول المازني: "وزعم الخليل أن "فرسناً"، النون فيه زائدة، لأنها عنده

(١) الخصائص ٣٨٨/٣

(٢) المنصف ١٥١/١

(٣) شرح اشتقاق أسماء الله ص ١٥٤

(٤) شرح التصريف الملوكي ص ١١١

(٥) كتاب العين ١٧٨/٧

من "قَرَسَ يَفْرَسَ". وأضاف أبو الفتح على قول الخليل هذا قال: إنما كان الخليل من "فرس يفرس".
• لأنَّ "الْفَرَسَ" أصله "الدَّقَّ"، ومنه للقليل للأسد "فِرْناس" فالنون فيه زائدة^(١).
أقول: و"الفرسن" في كتاب العين^(٢) من الرباعي، والأصل "فرسَنَ".

وأتجاوز في "كتاب العين"^(٣) الأصل "هرَكَلَّ" وفيه: امرأة "هركولة" ذات فخذين و جسم وعِجْز، ورجل "هُرَاكِلَ" جسم ضخم. وقد قال المازني غير هذا "وقد حكى الخليل أنه كان يقول: إن الهاء في هركولة زائدة لأنها تركل في مشيها، وهو في هذا القول "هفعولة".

ولنا ان نتوسّع في الأمثلة لنؤيد قول من يقول: ان "الخليل" في غير كتاب العين قد كان منه غير ما نجد في كتاب العين.

ومن هذا "هجرع"^(٤) و "هبلع"^(٥) اللذين أدرجهما الخليل في باب الرباعي من كتاب العين، ولكنني أجدهما ابن يعيش في "شرح الملوكي"^(٦) يورد قول الخليل أن الهاء زائدة، وهذا يعني أنهما ثلاثيان.

وقد كان لي عودة إلى "الكتاب" فأجد سيبويه قد أشار كما أقاده من الخليل إلى أن النون تزداد في الثلاثي، ومن هذا زيادتها في "خفق" فكان من هذا "الخَنَفَقِيق" ، والنون زائدة^(٧). وهي رباعية في كتاب العين (خَنَفَقَ)، و "الخَنَفَقِيق" حكاية جري الخيل^(٨).

وكان من زيارة النون في كتاب سيبويه "عرضن"^(٩) و "علجن"^(١٠)

(١) النصف ١٦٧/١

(٢) العين ٢٤٣/٧

(٣) المصدر السابق ١١٢/٤

(٤) المصدر السابق ٢٧٥/٢

(٥) المصدر نفسه ٢٨٢/٢

(٦) شرح الملوكي ص ٢٠٤

(٧) الكتاب ٣٢٠/٤

(٨) العين ٣٢٣/٤

(٩) الكتاب ٣٢٠/٤

(١٠) المصدر السابق ٣٢١/٤

و "جندب" ^(١) و "عنصل" ^(٢) والنون في كل هذا زائدة والأصل ثلاثي، وهذه كلها رباعية في كتاب العين ^(٣).

وأذهب إلى تناقض آخر بين ما ذكر في كتاب العين، وما عُرف من رأي الخليل في غير هذا الكتاب " فأقف في باب اللفيف من الحاء على الأصل " حيو" ^(٤) فأجد في كتاب العين: كل ذي روح، الواحد والجمع سواء. ولكنني أجد غير هذا فيما ذكره ابن جني في " المنصف " عن " التصريف " للمازني وهو قول الخليل: " حيوان، قلبوا فيه الياء واواً لثلاثاً يجتمع باء ان استثقلاً للحرفين من جنس واحد يلتقيان " ^(٥). وقد وافق ابن جني صاحبه المازني فيما ذهب إليه.

وذهب، إلى هذا المبرد ووافق الخليل في قوله الذي ذكره المازني وقال: قال الخليل: الواو منقلبة عن ياء لأنه اسم... ^(٦). وإلى مثل هذا ذهب الزجاجي مشيراً إلى قول الخليل هذا ^(٧). وأستدرك أنا فأقول: ان المنكرين لكتاب العين الذين نسبوا جل ما فيه إلى الليث ذكروا، ومنهم الأزهري، أن الخنفيق والحنفيز هما الداهية، وهو قول الليث الذي أضاف: وأنشد أبو عبيد:

سَهَرَتْ بِهِ لَيْلَةً كُلَّهَا فَجِئْتُ بِهِ مُؤَذَّنًا خَنْفَقِيًّا ^(٨) وجعل البيت صاحب لسان العرب شاهداً

في ' خفق ' ثم أعاده في ' خنفق '، وروايته في ' خفق ':

زَحَرَتْ بِهِ لَيْلَةً كُلَّهَا فَجِئْتُ بِهِ مُؤَذَّنًا خَنْفَقِيًّا ^(٩)

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر كتاب العين ٢/٣٢٥، ٢/٣٢٥، ٦/٢٠٦، ٢/٢٣٨

(٤) كتاب العين ٣/٢١٧

(٥) المنصف ٢/٢٨٥

(٦) المقتضب ٢/٢٨٥

(٧) اشتقاق أسماء الله ص ١٠٤

(٨) التهذيب (خنفق)

(٩) لسان العرب (خفق).

وأعود إلى استقراء شيء من التناقض بين ما في " العين " وبين ما عرف من رأي الخليل في المسألة الواحدة فأقرأ الشنائي (د ه) في كتاب العين^(١) فأجد فيه: " الدهدهة " في قول صاحب العين هي قذفك الحجارة من أعلى إلى أسفل دحرجة. قال عمرو يصف السيوف:

يُدهدهن السرووس كما تُدهدي حَزَاوَرَةً بأيديها الكرينا

قال: حوّل الهاء الآخرة ياءً، لأن الياء أقرب شبهاً بالهاء.

ثم عاد صاحب العين فذكر الأصل " دَهْدَى " فقال: تَدَهْدَى الحَجَرُ وغيره تَدَهْدِيًا، أي دحرجته و دَهْدِيَّتُهُ دَهْدَاءٌ إذا دحرجته.... " (٢).

والذي أجد في هذا في المعجمات كافة ان " دَهْدَه " و " دَهْدَى " مادة واحدة و كلاهما مذكوران في " دَهْدَه ". لقد أشار أبو عثمان المازني إلى قول الخليل وهو أن " دَهْدَيْت " أصلها " دَهْدَهْتُ " ولكنهم أبدلوا منها الياء، كما أبدلوها من الياء في قولهم: " هَذَه " (٣).

ومن التناقض الذي شغلت به ما وجدته في " العين " في " هتي " وهو: " هَاتِ يقال: اشتقاق من " هاتي يهاتي " والهاء فيه أصلية " (٤).

وفي " الصحاح ": هيت، قال الخليل: أصل " هَاتِ " من أتى يُؤْتِي فقلبت الألف هاء. وأمضي، وأنا أتعقب أقوال الخليل في الأصول اللغوية فأجد ان الخليل بن أحمد قال: " أصل " إله " وِلاه، من الوَلَه و التحير، وقد أبدلت الواو همزة " وقد جاء هذا الرأي في كتاب الزجاجي أبي القاسم " اشتقاق أسماء الله " (٥)، لا نكسارها فقييل: إله، كما قيل في " وعاء " إعاء، وفي " وشاح " إشاح، ثم أدخلت عليه الألف واللام، وحذفت الهمزة فقييل: الله " .

ولكنني أجد هذا التأويل في كتاب العين^(٦)، وفيه كان الكلام على " ألّه " ولم يعرض

(١) العين ٣/٣٤٨

(٢) المصدر السابق ٤/٧٩

(٣) المنصف ٢/١٧٥

(٤) العين ٤/٨٠

(٥) اشتقاق أسماء الله ص ٢٦-٢٧

(٦) العين ٤/٩٠-٩١

للأصل "وَلَه" أقول: ولي أن أقول في "أله" الذي زعم الخليل أنه من "الْوَلَه والتَّحِير": إن هذا الذي ذهب إليه الخليل من التأويل هو كلام مَنْ لا يعرف الأصول التي ندعوها في عصرنا هذا "السامية".
وليس لنا أن نقول: إن "إلوهيم" في العبرانية من الوَلَه والحيرة.

وأعود إلى ما كنت فيه من أمر "التناقض" فأجده في كتاب العين^(١) "الخصية" وفيها قال:
الخصية: تَوَثَّ ما دامت واحدة، فإذا ثَنُوا ذكروا، قال:

كَأَنَّ خُصْيَه مِنَ التَّدْلِيلِ ظَرْفٌ عَجُوزٌ فِيهِ كَالْتَهْدِيلِ

وورد أيضاً: ظرف عجزٍ فيه ثنتا حنضل

وأمضي إلى كتاب "التلخيص"^(٢) لأبي هلال العسكري فأقرأ: "يقال: خصية، فإذا ثَنِيَتْ قَلْتُ: خُصِيَان، ولا يقال: خصيتان، واستظهر العسكري بقول الخليل وأبي زيد على ردِّ هذا القول وزاد: يقال: خصيتان، وهذا غير ما قيل في كتاب العين.

ومن "التناقض" بين ما ورد في "كتاب العين" وبين ما نقل أهل العلم من أصحاب الخليل عنه فأقف على الأصل "خرنق" فأجد في كتاب العين^(٣):

"وَالْخَوَزَنْقُ: نَهرٌ، وهو بالفارسية "خرنكاه" فَعُرِّفَ الْخَوَزَنْقُ...

"قَلْتُ: ولا بد من الإفادة مما أورده ياقوت في "معجم البلدان". لقد كان لي فيه فائدة تتصل بها أنا فيه من أمر "التناقض" بين ما في كتاب العين وبين ما عُرف من علم الخليل قبل أن يظهر "العين".

قال ياقوت في "معجم البلدان"^(٤): "قرأت في "كتاب النوادر الممتعة"^(٥) لأبي الفتح بن جني: أخبرنا أبو صالح السليل بن أحمد عن أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي قال: قال الأصمعي

(١) كتاب العين ٢٨٧/٤

(٢) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ٧١/١

(٣) كتاب العين ٣٢١/٤

(٤) معجم البلدان (الخوزنق)

(٥) أقول: لم أجد "النوادر الممتعة" في مصنفات أبي الفتح في مصادر النحو واللغة، وهذا بعض فوائد ياقوت.

سألتُ الخليل بن أحمد عن الخورنق، فقال: ينبغي أن يكون مشتقاً من "الخِرْنَق" ^(١) الصغير من الأرناب، قال الأصمعي: ولم يصنع شيئاً إنما هو من "الخُورْنَقاه"، بضم الحاء وسكون الواو وفتح الراء وسكون النون والقاف، يعني موضع الأكل والشرب بالفارسية.

أقول: وكان الخليل أراد أصالة العربية في "الخُورْنَق"، فكيف يكون منه ما كان في كتاب العين؟ ولي في بعض ما كان لي من درس في "التنوين" وقفة على كلمة "أشياء" التي عرضت لي في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم" ^(٢).

وقد عجبت أن تكون "أشياء" غير منوَّنة، وقد كان أهل القراءات يجمعون على هذا، وكأنني وجدت الكسائي بينهم قد أشكل عليه أن يثبتن علة منع الصرف، وكأنه لم يقتنع في هذا بما قال النحاة من رأي الخليل، وكأنه أجاز قراءتها بالتنوين.

لقد أشار أبو منصور الأزهري في "التهذيب" ^(٣) إلى رأي الخليل في علة عدم التنوين وذهب إلى الزواج في كتابه "معاني القرآن" الذي أشار فيه إلى آراء النحاة في هذه المسألة، وقد جاء فيها قول الخليل:

"أشياء" اسم للجميع، كأن أصله "شَيْئَاء"، فاستثقلت الهمزتان، فنقلت الهمزة الأولى إلى أول الكلمة فجعلت "لُفْعَاء".

لقد أشار سيوييه والمازني إلى قول الخليل وذهبا إلى ما يعززه في جمع "شيء" على أشاوي وأشايا وهذا هو رأي عامة البصريين ^(٤).

أقول: عرف الأزهري هذا فلما رأى ما ابتعد عن رأي الخليل وغيره في نسخة العين قال: "وأما الليث فإنه حكى عن الخليل غير ما حكاه الثقات من أصحابه عنه، وخلط فيما حكى وطول تطويلاً دلاً على حيرته، ولذلك أعرضت عنه ولم أثبته بعينه".

(١) وليس لنا أن نجد سبيلاً إلى عدّ "الخورنق" في دلالة على النهر، من "الخِرْنَق" الذي هو الصغير من الأرناب.

(٢) سورة المائدة. ١٠١

(٣) تهذيب اللغة ٤٣٩/١١ - ٤٤٠، ٤٤١.

(٤) الكتاب ٥٦٤/٢، والمنصف ١٠١/٢.

قلت أنا وقد رأيت ما كان مما نُسب إلى الخليل في كتاب العين، وأنا أحققه، فأطلعت صاحبي ومشاركي في التحقيق، وهو المخزومي، فاتفقنا على إيضاح الإشكال في حاشية ذهبنا فيها إلى أن شيئاً عن الخليل قد سقط من "كتاب العين". وأضيف الآن في موجزي هذا أن الأزهرى في إنكاره للعين كان لديه عدة نسخ من "العين" فلم يشأ إلا أن ينسب هذا إلى الليث فيما حكاه^(١). وأنا الآن عائد إلى ما كان قد تجمّع لديّ من أوراق أشرت فيها إلى مواضع الخلاف بين ما ذكر في كتب النحو القديمة ابتداءً من "الكتاب" لسيبويه، و"الأصول" لابن السراج، والمقتضب للمبرد، وما كان من هذا في "المنصف" من أصل كتاب "التصريف" لأبي عثمان. وأنا أبسطه في هذا الموجز لأشير إلى أن "الكتاب" كان في "تحشيته" من صنعة الليث.

ومما كان لي في جزائقي القديمة ما كان في "حبذا" الذي نقل فيه أبو حاتم السجستاني قول الخليل، قال: "وأما حبذا فقال الخليل والأخفش: إنما هو 'حبّ ذا' فجعل الشيطان بمتزلة شيء واحد يرفع ما بعده"^(٢).

قلت: وفي "كتاب العين" أن الأصل "حبذ" في باب الحاء والذال والباء معهما، قال: حبذا، أي أحبب بهذا. وكان هذا كان فيما دفع من زاد عليه فأضاف معلقاً: "قال أبو أحمد: أصلها: حبيب ذا...."^(٣). ومن اضطراب ما في كتاب العين أن هذه المسألة جاءت في موضع آخر من الكتاب هو "حبّ" في باب الحاء مع الباء، قال الخليل: "حبذا زيداً"^(٤).

قلت: ومن الاضطراب في كتاب العين أن لهذا الأصل موضعين فيه، ومثله ما ورد في "تولج" فقد جاء في "ولج" وجاء هنا: والدّولج لغة في التولج كما ذكر في "ولج" وقال: والتولج كناس الظبي.

(١) أقول: ولي أن أتوقف قليلاً فأعود إلى ما ذكرته مما قيل في "الليث بن المظفر" حامل أول نسخة من كتاب العين. وليس بي إلا أن أهل قول اسحاق بن زاهويه الذي نوّه علماء الرجال بعدالته و صدقه على اعتقاده و صدقه في صفة الليث، وأنه ذهب إلى ما ذهب إليه.

(٢) فعلت وأفعلت ص ٩٨.

(٣) كتاب العين ٢/٢٠٣.

(٤) المصدر السابق ٣/٣٢٧.

غير أن فيما كان من هذه البسطة في القول في كتاب العين شيء نجد فيما أشار إليه سيبويه^(١) من قول الخليل: "قولهم تولج، زعم الخليل أنها فَوَعَلَ، فأبدلوا التاء مكان الواو، وجعل "فَوَعَلَ" أولى بها من "تَفَعَّل"، لأنك لا تكاد تجد في الكلام "تفعلاً" اسماً، وفَوَعَلَ كثير". وقد يكون أن أفيد من هذا أن "تولجاً" أصله "وَوَلَجَ".

ويقرب من هذا ما ورد في "العين" في "هلم"^(٢) فقد أدرجت في باب الهاء واللام والميم، وهذا يعني أن صاحب العين جعل الهاء أصلاً في اللفظ.

والذي في "الكتاب"^(٣) لسيبويه غير هذا فقد جاء: وأما "هَلَمْ" فزعم الخليل أنها حكاية في اللغتين جميعاً. كأنها "لَمْ" دخلت عليها الهاء، كما أدخلت "ها" على "ذا" ... وهذا يعني أن الهاء زائدة. وهذا يلزم أن نُدْرَج "هلم" في الثنائي من اللام والميم.

وقد يكون من المفيد أن أشير إلى فوائد تنبّه لها الأزهري فيما نسبته إلى الليث كعاداته: "قال الليث: عقلتُ البعير بشنّائين، يظهرون الباء بعد الألف، وهي المدّة التي كانت فيها.

وإن مدّاً ما ذل كان صواباً، كقولك: كِساء وكِساوان وكِساءان.

قال [أي الليث]: وواحد الثنائيّ "ثناء" مثل "كساء" ممدود.

قلتُ [أي الأزهري]: أعقل الليث العلة في "الثنائيّ" وأجاز ما لم يُجزه النحويون.^(٤)

وقال سيبويه:^(٥) سألتُ الخليل عن قولهم: عَقَلَة بثنّائين، لم لم يُهمَز؟ فقال: تركوا ذلك حين لم يُفردوا الواحد.

قلتُ [أي الأزهري]: وهذا خلاف ما ذكره الليث في كتابه [العين] لأنه أجاز أن يقال لواحد الثنائيّ "ثناء، والخليل يقول: لم يهمزوا "ثنّائين" لأنهم لا يفردون الواحد منها..

(١) الكتاب ٣٣٣/٤، والمنصف ٢٢٦/١.

(٢) كتاب العين ٥٦/٤.

(٣) الكتاب ٣٣٢/٣.

(٤) التهذيب ١٣٤/١٥ - ١٣٥، وانظر: كتاب العين ٢٤٤/٨.

(٥) الكتاب ٣٩٢/٢.

قلتُ [أي الأزهري]: والبصريون والكوفيون قد اتفقوا على ترك الهمزة في "الثانين"، وعلى ألا يفردوا الواحد.

أقول: وهذا كله بعض ما ورد من الخلاف فيها قاله الخليل بين ما ذكره سيبويه عنه وما ورد في كتاب الليث.

وقد يكون لي أن أختتم هذه النقول فأشير إلى "مرعز" الرباعي، وما ورد فيه في كتاب العين: ^(١) "المُرْعَزِي، كالصوف يخلص من شعر العنز....".

أقول: وإدراجها في الرباعي من كتاب، العين يشير إلى أن الميم فيها أصل. وهذا غير ما ورد في كتاب سيبويه ^(٢) فقد ذهب إلى زيادة الميم فيها، قال: وأما مِرْعَزَاء فهي "مِفْعَلَاء" وكسرة الميم ككسرة ميم "مِنْخَر" و "مِثْن" وليست كطُرْمَسَاء....

وقد أشار إلى قول سيبويه أبو علي الفارسي إلى هذا فقال: ^(٣) ذكر سيبويه قوله: "مِرْعَزَاء" وحكم بزيادة الميم منها، وذكر صاحب العين قولاً خالف قول سيبويه فيه، ونحن نذكر ما قال ونبين فسادَه.

أقول: ومثل هذه الأوهام جاء ذكر "مُوسَى" العَلَم من موسى وقد عرض لهذا ثانية في الكلام على "عيسى". ^(٤) وكلاهما مخالف لما ورد في "الكتاب".

ولي أن أتجاوز التناقض والاضطراب الذي عرضت له إلى شيء يردّ إلى سوء صنعة التأليف وهو أنني وقفت على مواد لم يُحسن وضعها في موضعها، وقد أشرنا إلى ما كان من هذا في حواشي الصفحات. وسأجتزئ بشيء من هذا ولس المراد استيفاء هذه المسائل لأن الأمر لا يتصل بتصحيح ما ورد في كتاب العين.

أقول: ومن هذا جاء في "هوم" من كتاب العين ٩٩/٤ :

(١) كتاب العين ٣٣٤/٤ .

(٢) الكتاب ٣٠٩/٤ .

(٣) المسائل المشكّلة المعروفة بالبغداديات ص ٩٩ .

(٤) كتاب العين ٣٢٣/٧ و ٢٠١/٢ - ٢٠٢ .

١- وهوام الأرض نحو الحيّة والعقرب، وموضعها الصحيح (همم).

٢- ومثل هذا في مادة (نهك ٣٧٩/٣) جاء قول صاحب العين:

أهيك من رجل، ونهك من رجل، الكاف كاف المخاطبة، أي انتهى الرجل في كماله إلى الغاية، قال:

هو الشيخ الذي حدثت عنه نهك الشيخ مكرمة وفخرا

قلت: وقد وضعناه في الحاشية من مادتي "نهي وهك".

وقد جاء هذا الإهمال في نسخة الأزهري وقد أشار إلى التداخل، كما جاء في نسخة ابن خالويه، ولكنه لم ينبّه إلى التداخل.^(١)

وكان لي أن وقفت على مثل هذا فيما يقرب من عشرين مادة من مواد العين.

وقد كان في كتاب العين من الإشكال ما لست فيه قادراً أن أذكر الصواب فقد ورد فيه:

١- في الأصل "شغو وشغي" العين ٤٣٠/٤ نجد:

"والشغوبو [كذا]: رديء فارسي يكون بالبصرة.

أقول: لقد فاتنا نحن محققو "العين" وجه الصواب في هذه العبارة، فلم ننتبه إلى أن شيئاً قد سقط، والوجه: الشغوبو تمر رديء فارسي يكون بالبصرة.

ثم أقول الآن بعد أن كان الكتاب قد طبع بعُجْرَه وبُجْرَه: وما علاقة "الشغوبو" بالأصل "شغو"؟

هل لي أن ألمح أن الأصل "شغو" صحيح وأنه من ألفاظ النخل؟^(٢) وأما الزيادة "بو" هل لي أن أرى صوابها وهو "بلح"؟ وبهذا ينجلي الإشكال؟

٢- في الأصل "هملج" (العين ١١٨/٤):

(١) شرح الفصيح لابن خالويه (مخطوطه، الورقة ١٠).

(٢) الشغو. أقول: هل لي أن اذهب إلى أن الكلمة بصرية استفيدت من "الشَّغُو" بالعين الذي هو انتفاش الشعر... أو لعله ضرب من التمر بالبصرة رديء.

والهملجة: حسن سير الدابة في سرعة وبختره، الذكر والأنثى نعتها هملج، وقد هملج، وأمر
مُهمَلَج: مُدال منقاد، قال العجاج:

قد قَلَدُوا أَمْرَهُمُ الْمُهِمَلَجَا

قال أبو علي القالي في "البارع" ^(١) قال الأصمعي: الهملجة: حسن سير الدابة.....

أقول: هل أسقط الناسخ أو المحشي اسم الأصمعي؟

٣- في الأصل "لخخ" (التهذيب ٥٧٣/٦): قال الأزهرى:

قال الليث [أي أن المصدر نسخة الأزهرى من كتاب العين]: اللَّخْلَخَةُ من الطيب ضرب منه.
قال الأزهرى: لم يزد الليث على هذا الحرف.

أقول: والذي في كتاب العين في الأصلين المتبعين في التحقيق، وهما نسختان متأخرتان، زيادة
على ما في نسخة الأزهرى، وهي: واللخلخانية العجمة. يقال: رجل لخلخاني، وامرأة بالهاء، أي: لا
يفصحان، قال الأخطل:

أذود اللخلخانيات عنه وأمنحه المصّرحة العرايا

فهل نفترض ان النسخ طوال القرون كان لهم إضافات؟

وأذهب إلى مسألة أخرى تتصل بسوء الصنعة في كتاب العين، وهي مسألة التكرار. لقد كان لي
وأنا في رحلتي في هذا الكتاب أن وقفت على المادة في موضع، ثم إني أجدها في موضع آخر. ولم يكن
لدى صاحب العين أية إشارة أو إيحاءة إلى أن إحدى المادتين مصحفة عن الأخرى. وهي في حقيقة
الأمر في موضعها حيث يجب أن يكون، وهي خطأ في الموضع الثاني. لقد عرض شيء من هذا في
الصناعة المعجمية في معجمات عدة، وقد أغفل الأمر لدى بعض صنّاع المعجمات في حين تنبّه
آخرون وأشاروا إلى حقيقة الأمر، وسرى فيما أجتزى به في هذا الموجز شيئاً مما كان:

١- ومن الأمثلة المفيدة من هذا مادة "نغر" (العين ٣٩٦/٤) قال: نَغَرَتِ الْقِدْرُ تَغَرًّا، وَتَغَرَّانِهَا:
غليانها، وأتَغَرَّتْها: أغليتها.

ثم كان لي في مادة "نغر" (العين ٤٠٥/٤) قول صاحب العين: نَغَرَتِ الْقِدْرُ: غَلَّت. ولم يشر

المصنّف إلى أن إحدى المادتين لغة، ولم يشير أيضاً إلى شيء صوتي أدّى إلى البَدَل. وأذهب إلى الجمهرة " وصاحبها ممن عني بالعين فأجد المادة بالنون، وكأنه حمل ما ورد منها بالتاء على الخطأ فأهمله.

ونسب الأزهري المادة بالتاء إلى التصحيف، وأثبت الصواب الذي هو بالنون. وقد أتى الجوهري بالمادة بالتاء ثم جاء بها بالنون، فكأنه صوّب الوجهين. ولم يعقب الصغاني في " التكملة " ولا ابن بَرّي في " التنبيه " إلى ما كان في " الصحاح ".

وأثبت القالي في " البارع " ان المادة بالنون وهو عن الخليل.

وقد أثبت ابن فارس ان المادة بالنون في " معجم المقاييس " ولم يذكرها بالتاء. غير أنه في " مجمل اللغة " قد ذكر المادتين.

وقد أثبت ابن سيدة ان المادة بالنون في " المحكم " وأهمّل المبدوءة بالتاء.

٢- وقد أتى بشيء آخر وأجتزىء به عن كثير مما وقع في كتاب العين، وهذا في: مادة " قسح " بالقاف من كتاب العين الذي جاء فيه:

القسح صلاية الإنعاط، وأنه لقسّاحٌ مقسوح... ثم أجد في العين نفسه (١٤٨/٣) القسّاحن نعت الذكر الصلب.

وأذكر أني وصاحبي المشارك في الصنعة قد علقنا في حاشية الصفحة على " القسّاح " بالفاء

بقولنا: لم نجد هذا المعنى وهذا النعت للذكر في سائر المعجمات.

وأقول: ولم يكن لابن دريد ولا الأزهري ولا ابن سيده المعنى الأول مادة " قسح ". ولم يشيروا إلى ذلك في " قسّح " بالفاء. وإني لأفترض خلوّ نسخهم من كتاب العين من " قسّح " بالقاف، أو أنهم وجدوها في نسختهم فحملوها على ما كان في " العين " من الخطأ.

ولم يكن لابن فارس شيء في " قسح " في " مجمل اللغة " ولا في " فسح " بالفاء. وقد أهمّل في معجم المقاييس " قسّح " بالقاف، وكذلك صنع الجوهري.

ولو أردت استيفاء التكرار الذي لا يحمل إلا على الغلط وإساءة النظر إلى الأصول، لكان لي أن أبسط هنا ما يقرب من عشرين مادة.

وأتجاوز هذا لأنّبه إلى ان حظّ لغة التنزيل في كتاب العين يسير، وكيف يكون هذا لو أن صاحب العين هو الخليل، وهو من هو في علوم القرآن وأنه صاحب قراءات، وأن سيبويه قد أورد عنه الكثير مما يتصل بالقرآن في تأويله وتعليقه .

ان كثيراً من مواد العين خلج من الشواهد القرآنية، وكان من المتوقع ان تؤيّد المواد بشيء من لغة التنزيل. وقد يبدو " العين " بعيداً عما شغل به النحويون واللغويون بصريين كانوا أم كوفيّين.

وإني لأقف على بعض الكلام الذي عرف في لغة التنزيل، نحو " العهن " في الآية ٩ من المعارج. و " باخع " في الآية ٦ من الكهف، ولا أجد في كليهما الآيتين في كتاب العين و صاحبه يعرض لهما، وهذا عجيب.

وأضرب مثلاً مفيداً هنا فأجد " تفت " في العين، ومكان هذه المادة في الحجّ معروفة ولا أجد صاحب العين يثبت قوله تعالى: " ليقضوا نَفَثَهُمْ " ٢٩ سورة الحج.

واذا نظرت إلى ما هو غير عربي فإنك تجد في موادّ العين طائفة من الكلم الفارسي، ولم أكن قد وقفت على كثير من هذا في " الكتاب " الذي عرض فيه صاحبه للأعجمي والمعرّب. وإني لأقطع بالقول فأنتفي ان يكون الخليل قد عرف الفارسية معرفة واسعة على النحو الذي نفيده من كتاب العين. ثم إني في بعض هذا الذي ادّعي أنه بالفارسية يقال فيه كذا، لا أحقّه وقد كان لي سعي في هذا لم أفلح فيه. وكان صاحب العين، وهو الليث الفارسي أراد أن ييسط علمه لقومه الفرس!

لقد جاء في " العين ١١١/٢ " والعَبِيْثَةُ والعَيْثُ: الغِلْظُ، وهو بالفارسية ترف.

ومن هذا في " العين ١١٢/٢ " : العَيْثَامُ: شجر بيض طوال جدّاً، الواحدة: عيثامة، وفي الفارسية سييد.

ومنه في " العين ٨٠/٥ " : القَنْصُ تسميه الفرس الراسن.

أقول: وهل أريد بهذا أن يقال ان صاحب العين يعرف الفارسية وهو يجتهد ان يُعَبِّء بها كتابه؟!

ومنه في " العين ٢١٧/٥ " : السَّكْبَةُ وهي خرقة تُقَوَّب الرأس كالشبكة يسميها الفرس الشُتْفَه

ومنه في " العين ٦٣/٦ " : قَلَّسُوا: ضموا أيديهم، بالفارسية: دست بكش بكردن!!..

أقول: وهل في هذا أراد صاحب العين أن يخبر القراء العرب أنه يتقن الفارسية!!

ومنه في "١٧٩/٦": والمأجل: شبه حوضٍ واسع، وهو بالفارسية طَرخه!!

أقول: وكيف يكون هذا!! وهل رأى ابن دريد هذا؟ أتراه أهمله أو ذهب فيه إلى ما كان من الليث من زيادة وعبث؟

ومنه في "٧٩/٥": المطرقة للحدادين "خايك" بالفارسية.

ومنه في "٥٠/٥": وابن مَرَضُ ذو القوائم الأربع، طويل الظهر، قتال للحمام، بالفارسية: من نكر!

ومنه في "٢١٨/٧": السَّبْطُ: نبات... الواحدة سَبْطَة... وهو بالفارسية: كورواش!!

ومنه في "٢٤/٨": والفريد: الشذر، الواحدة: فريدة، وهو بلسان العجم الجاؤزسق، والجمع الجوارس.

ومنه في "٢٩/٨": والْبَرْدُ: سَحْكُ الحديد بالمبرد، أي الشوCHAN بالفارسية.

ومنه في "١٠٨/٨": التَّيْنُ: نجم من نجوم الحساب، وليس بكوكب ولكنه بياض خفي، واسمه بالفارسية هَنْتت أبير!!

أقول: وهل في هذا ما يفيد مما قيل في "الليث" صاحب الخليل انه يعرف النجوم والكواكب!!

ومنه في "٧٩/٥": الْأَنْقَلَسُ: سمكة على خلقة حَيَّة يقال لها: مارماهي.

أقول: وقد أشير إلى هذا في كتب المعرَّب.

ومنه في "١١٨/٧": والبُصْرُ: غِلْظُ الشيء نحو: بُصْرُ الجبل و بُصْرُ السماء والحائط ونحوه، وهو بالفارسية، بكال.

ومنه في "٤٠٩/٨": الْقُوَّةُ: عروق تُستخرج من الأرض تُصَبَّغُ بها الثياب... ويقال لها بالفارسية: رُوَيْنَه.

وقد يكون أن أجتزئ بهذا القدر عن غيره، فهل أقول: إن صاحب العين فارسي أراد أن يُعرِّف الفرس ما هو لدى العرب مما يقابل لغتهم. وليس في هذا كلة فائدة للمعني بالمعرَّب والدخيل.

وقد يكون هذا حجة قوية يستظهر بها من ذهب إلى أن صاحب العين ليس الخليل بن أحمد .
وأعود إلى ما في " كتاب العين " من العربية التي لم تؤخذ من الأعراب الذين رجع إليهم الأوائل
في إفادتهم .

لقد تشدد البصريون، وهم اللغويون الأوائل قبل أن يظهر الآخرون الذين نُسبوا إلى الكوفة. في
علمهم فقد قال الرياشي من النحويين البصريين:

"أخذنا اللغة من حرشة الضباب و أكلة اليرابيع، وهؤلاء أراد بهم الكوفيين الذين أخذوا اللغة
من أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز".^(١)

ومع هذا ما كان لي أن ...أجد لدى اللغويين الذين عرفوا بـ" الكوفيين " ما وجدته في كتاب
العين مما لم يكن له قوة وأصالة تاريخية.

لقد أشار السيوطي في " الاقتراح "^(٢) إلى القبائل التي أخذ عنهم البصريون وجعلوا عربيتهم
فصيحة فكانت ، " قيس وأسد و تميم وهذيل وبعض كنانة وطيء... ". وهذا هو المعروف الذي نجده
في مصادرنا وأولها كتاب سيبويه. غير أننا لا نجد هذا الشيء في كتاب العين فقد كان فيه ممن امتنع
البصريون عن الأخذ عنهم كاليمن وخير والشحر وعمان وغيرهم. وقد نجد فيه لغات لم يكن
للغويين اهتمام بها كالفارسية والسريانية والهندية وكلام أرمينية ولغة خراسان والرومية ولغة أفريقيا
وأهل السواد والقبطية والبربر والنبط والعبرانية.

أقول: هل لي أن أذهب إلى أن هذه الفوائد التي لا نجدها في غير كتاب العين مما أضافه الليث أو
غيره؟ وأين موضع أهل العربية الذين سبقوا الخليل، ولا بد أن يكون قد انتفع بهم؟

٤- وفي الأصل " الخنج " (العين ١٦٢/٤) أجد:

الْلَخَج: أسوأ الغَمَص، وعين لَخَجَة: لَزَقَة بالغَمَص.

قال الازهري في (التهذيب ٥٦/٧) والصغاني في (التكملة ٤٨٧/١) هذا قول النضر بن شميل.

(١) أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٩٠ .

(٢) الاقتراح ص ٥٦-٥٧ .

وليس في "الجمهرة" و "الصحاح" و "المحكم" شيء من هذا.

قال ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة ٢٤٢/٥" معقباً على هذا الأصل: وليس هذا عندي مشيهاً كلام العرب.

أقول: ان ظهور كتاب العين في منتصف القرن الثالث الهجري أحدث شيئاً، فقد تصدى له الكثيرون ناقلين منكرين. وما زال هذا الكتاب إلى يومنا هذا موضع نظر.

وأتحول إلى شيء آخر من مواد كتاب العين يتصل ب "المصطلح الفني" في اللغة والنحو فماذا كان لي في هذا؟

لم أجد للمصطلحات ما يومئ إلى ان صاحب العين مستقرّ فيها فقد يكون للشيء الواحد مصطلحان أو أكثر. ومثل هذا التردّد في إطلاق المصطلح واختلافه ما نجده في "الكتاب" لسيبويه، فقد يكون لسيبويه أن يضع جملة لإفهام القارئ أنه يومئ إلى مصطلح. وليس "معاني القرآن" للقراء ولا "المقتضب" للمبرد يختلفان في الأمر عما في كتاب سيبويه.

وقد كان مما أعجبني وأوقعني في ارتباك أن أجد في "العين" غلبة كل ما هو كوفي في النحو واللغة على ما عرف من هذا لدى البصريين، ذلك ان صاحب كتاب العين لو كان الخليل لكان لي ما كنت أعرفه في كتاب سيبويه عنه. لقد كان لي في كتاب العين مصطلحات لغوية قد تكون نحوية إن كان لنا ان ندرج الصرف في النحو.

أقول هذا لأنني أقصر النحو على ما هو إعراب، فقد قال الزمخشري في أول "المفصل": ان علم النحو هو الإعراب. ومن العلم ان اجعل بناء الفعل الثلاثي وغيره مادة لغوية، وان التخفيف والإدغام والتنوين والتصغير والترخيم وغير هذا في حيّز اللغة. ومثل هذا ما يتصل بالبناء والتركيب والنحت وغير هذا كثير مما لا يمت إلى النحو بسبب.

أليس عجباً أنك ترى "الجدد" و "الإقرار" في كتاب ينسب إلى الخليل وهما من صنعة الفراء وقد قابل بهما النفي والإثبات لدى البصريين؟^(١)

(١) المصطلح النحوي لعوض القوزي ص ١٧١، ومدرسة الكوفة ص ٣٠٩.

وإذا كان الكوفيون قد صنعوا مصطلحهم واختصوا به فان البصريين ربما استعملوا المصطلح الكوفي كما نرى "الخفض" وهو المصطلح الكوفي مما ورد في كتاب العين. وقد كان لي ان قرأته لدى الأخفش أبي الحسن في "معاني القرآن".

ومن المصطلح الكوفي "المجاوز" يقابل المتعدي لدى البصريين وكلاهما في كتاب العين (٥/ ٢٦٥ و ١٦٤/٨ و ٢١٠/١).

وإذا كان "العطف" وهو المصطلح البصري في (العين ٤٣٨/٨) تجدد "النسق" وهو المصطلح الكوفي أيضاً في (٢١٨/٨).

ونجد فيه (٤٣/٢، ٥٢ و ١٦٦/٥) مصطلح الصفة لدى الكوفيين بمعنى الظرف، وبمعنى حرف الجر في (٥٢/٢، ٣٥٦/٨)، وهذا أيضاً مصطلح كوفي. وهؤلاء يسمّون حروف الجرّ حروف الصفات.^(١)

وكان لي في كتاب العين (١٧٠/٧) مصطلح هو "شيعه" لما يفيد الإتياع في اللغة نحو: حَيَّصَ بَيَّصَ. وقد استقرت معاني القرآن للفرّاء ولكنني لم أفق عليه.

لقد أدرك مسألة شيوع كل ما هو كوفي من المصطلح اللغوي في كتاب العين أهل العرّبية من القدماء ومن أولئك ابو بكر الزبيديّ الذي صنع "كتاب استدراك الغلط الواقع في كتاب العين": و"كتاب مختصر العين"، وقد قال:

"ان الدليل على صحة ما ذكره من أن الخليل رسم العين وأكمّله من بعده من لا يقوم مقامه أو إنه رسمه ولم يُحشّه، كما صرّح بذلك ثعلب، ان جميع ما وقع فيه من معاني النحو إنما هو على مذهب الكوفيين وبخلاف مذهب البصريين".^(٢)

وإذا كان هذا ما وقع في العين فكأنّي أقول: ان الليث قد أخذ ما كان قد بسطه في "العين" عن الكوفيين ولا بد ان يكون من القاسم بن معن الكوفي، وهو من معاصري الخليل.^(٣)

(١) شرح المفصل ٧/٨

(٢) المزهر ٨٥/١

(٣) بغية الوعاة ٢٦٣/٢

وقد كان لي شك في كون " العين " من صنعة الخليل وأنا أقرأ فيه عبارات من لم يكن بصرياً كقوله مثلاً في " الخلال " هو البلح بلغة أهل البصرة!! (العين ١٤١/٤). وقوله مثلاً في " الأنجر " مرساة السفينة، وهو اسم عراقي، (العين ١٠٦/٦).

وقد يكون لي أن أختتم بها قديمته من ذكر بعض ما ورد من المصطلح الكوفي، ولو كان لي في خطتي أن استوفي المصطلح الكوفي في كتاب العين لكان لي منه مجموع صغير.

وقد أتحوّل إلى شيء آخر حملني على نسبة الكثير مما جاء في كتاب العين إلى غير الخليل، كان هذا في أعلام الرجال الذين ورد ذكرهم في كتاب العين.

أقول: ليس لي أن أقول: إن كتاب العين صنعة الخليل وأنا أجدر في شواهده أبياتاً للمحدثين ومنهم سليمان بن يزيد العدويّ وصالح بن القدوس وبشار وغيرهم. وكيف أقول في هذا الكتاب المنسوب إلى الخليل وأنا أجدر فيه شيئاً من شعر أبي دلالة والحسن بن هانئ!!

وإذا كان لي أن أغض الطرف عن ابن الأعرابي وغيره من اللغويين الأوائل الذين ذكروا في موادّ العين، فكيف أقول وأنا أرى ابن قتيبة وغيره ممن عاصروه؟

ثم كيف أصل إلى معرفة الأعراب وهم ثلاثة عشر: أبو خيرة وأبو الدقيش وأبو ليلى وحساس ورافع وزائدة وشجاع وعزام وعصمة ومبتكر ومرط ومزاحم ومقاتل. وهؤلاء مكان واضح في موادّ العين.

ولم أجدر في كتاب " الأعراب الرواة " للشلقاني^(١) غير ثلاثة من أولئك الأعراب. وليس في مصادر اللغة علم بغير ثلاثة من الأعراب وهم: أبو خيرة وأبو الدقيش وعزام.

لقد ورد ذكر أبي خيرة في " الفهرست " ^(٢) وأشار غير ابن النديم إلى أن الخليل روى عنه. ^(٣) وكذلك روى عنه غير الخليل كالأصمعي ^(٤) وغيره.

(١) الأعراب الرواة ص ٨ .

(٢) الفهرست ص ٥١ .

(٣) مراتب النحويين ص ٧١ .

(٤) ديوان العجاج ص ١٠٩ .

وأبو الدقيش من أعراب البصرة روى عنه النضر بن شميل...^(١)

وعرّام بن الأصبع السلمي صاحب كتاب "أسماء جبال تهامة" من أعراب خراسان، وكان قد ذهب إليها مع عبد الله بن طاهر سنة ٢١٧

أقول: وهل أقول: ان الليث قد أفاد منه في تحشيته مثلاً وهو في مادة عهن (١٠٨/١)، قال عرام: لا يقال إلا للمصبوغ.

والذي دلني إليه البحث ان أبا خيرة وأبا الدقيش هما قد عاصرا الخليل والليث، فكيف أقول في الآخرين منهم الذين وردوا في كتاب العين؟

وقد كان من حيرتي أن وقفت في "العين" على عبارة: "غير الخليل" أو "قال بعضهم" !!

(١) نزهة اللبّاء (تحقيق أبي الفضل) ص ٧٣.

الكلام على أصول العين

وأعود إلى نسخ " العين " الأولى فأقول:

لقد عرفت أن لأحمد بن فارس نسخته التي رواها عن الليث وغيره كما أشار في مقدمة " المقاييس في اللغة " . وأما غير ابن فارس كابن دريد والأزهري والقيالي وأبي أحمد العسكري والصاحب بن عباد وابن جني وأبي علي الفارسي والجوهري وغيرهم فليس لأحد منهم رواية للعين بل أخذوه كما وصل إليهم .

وقد وجد عامة هؤلاء أن في كتاب العين موادّ صحيحة وأخرى لا يطمأن إليها، وقد نقل هؤلاء موادّ كثيرة ونسبها بعضهم إلى الليث، وقال آخرون: ذكر صاحب العين مثلاً. وكأني أدركت وأنا أتقرّى مواد العين في كتب اللغويين كالصحيح والتهذيب وغيرهما، أن نسخ العين التي كانت بين أيدي أولئك اللغويين يختلف بعضها عن بعض .

لقد وجدت في بعض مواد العين نقصاً فاستدركته من المصادر الأخرى التي ذكر فيها أنها من العين " ، كما وجدت مواد أخرى في المعجمات ذكر فيها أنها من كتاب العين، ولكنني لم أجدها في الأصلين المخطوطين اللذين اعتمدناهما في التحقيق .^٤

وقد يكون لي أن أجتزئ بشيء وجدته في " التهذيب " منسوباً إلى الليث في مادة " ضطن " التي أهملت في المطبوع الذي شاركت في أخراجه، كما أهملت في الجمهرة ومقاييس اللغة والمجمل . قال الأزهري: قال الليث:

الضبطن والضيطان: الرجل الذي يحرك منكبه وجسده حين يمشي مع كثرة لحم، يقال ضِطْن الرجل ضِطْنَةً وضِطَاناً إذا مشى تلك المشية .

أقول: وبهذا أستدلّ على أن نسخ العين الأصول يختلف بعضها عن بعض، وهذا يعني أن نسخة الأزهري بل نُسخه التي أخبر عنها تختلف عن نسخ غيره . أقول: ولم يذكر القالي هذه المادة في البارع " لأنها لم تكن في نسخته من كتاب العين .

وأتحول إلى مواد أخرى على سبيل التمثيل ولا أرى في حاجة أن استوفي هذا فالقليل منه يغني عن كثيره .

ومن هذه المواد التي لا توجد في كتاب العين المطبوع، وقد انفرد بها أبو علي القالي في "البارع" وأشار إلى نسبتها إلى الخليل، قال:

"قال الخليل: "المُبْرَنْشَق": الفَرِجُ المسرور، يقال: حَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ فَاِبْرَنْشَقَ بِهِ، أي فَرِجَ وَسَرَّ".

ولم يوردها ابن دريد في مادتها، بل أوردها في غير (الجمهرة ٣/٣٩٩)، وجاء بها الأزهري في التهذيب (٩/٣٨١) عن الأصمعي ولم يوردها الخليل، قال:

"أبو عبيد عن الأصمعي: رجل مُبْرَنْشَق: فَرِجٌ مسرور. وقال: وَحَدَّثْتُ هَارُونَ الرَّشِيدَ فَاِبْرَنْشَقَ، أي فَرِجَ وَسَرَّ.

ومثله ابن فارس في (المجمل ١/١٤٣).

وعلى هذا تكون نسخة القالي قد انفردت بنسبة المادة إلى الخليل، وقد خلت منها النسخ الأخرى.

ومن المفيد أن أختتم هذه المواد وأنا أشير إلى اختلاف نسخ العين القديمة، فأذكر مادة ضبط التي لا توجد في "المطبوع. وإني وجدتها لدى ابن دريد (٣/٩٢) قد أثبتها عن أبي عبيدة. والأزهري (١١/٤٩١) والصغاني في التكملة (٤/١٤٩) قد أثبتها عن ابن دريد.

وقد ذكرها ابن فارس في المجمل (٢/٥٦٧) ومعجم مقاييس اللغة (٣/٣٧٣) من غير نسبة. وقد أهملها الجوهري في الصحاح.

ولكن الصغاني في العباب (ص ١١٧) قد أثبتها عن الليث، قال:

"الليث: الضنط: الزحام الكثير، يزدهمون على بئر أو نحو ذلك، قال رؤبة: إني لوزاد على الضنط.

ومن هذا الذي أنا فيه مادة عجب ومادة جبع، وكلاهما لم أجدهما في المطبوع، وقد أشار إلى أنها قد أهملها صاحب العين كلُّ من الأزهري والصاحب بن عباد، وابن فارس في المقاييس وقد أهملها الجوهري.

غير أنني وجدت في القليل الذي نشره الأب أنستاس ماري الكرملّي من كتاب العين هاتين المادتين، ومنها أدرجهما الدكتور عبد الله درويش في نشرته للجزء الأول من كتاب العين.

وقد حاولنا أنا وصاحبي في تحقيق العين استدراك ما سقط من مواد العين مما وجدناه فيما نُشر من المعجمات ولكننا لم نستوف هذا الساقط الكثير.

وأختم فأقول: لو كان لي أمر الاستيفاء لكان لزاماً علي أن أتي بالكثير مما هو لدي. وإني لأكون هنا مع الذاهبين إلى أن نصيب الخليل في كتاب العين ما كان من منهجه الذي ابتدعه وتوسم أن يكون مشتملاً على ألفاظ العربية عامة.

ولم يكن لمن تصدى إلى التحشية والإضافة أن يحقق رغبة الخليل فجاءت نسخته الأولى التي جيء بها من خراسان إلى البصرة ناقصة، ثم النسخ الأخرى التي لا بد أن يكون غير الليث قد صنعها، فاضطرب الأمر في هذه كلها.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أُسَلِّمُ إِلَيْهِ الْفِرْدَوْسَ

الباب الثالث

٢

١

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الباب الثالث

نصيب الخليل بن أحمد من كتاب العين

أقول: ليس لي في هذا الذي أضمه إلى كتابي أن أشير إلى أن ليس للخليل في كتاب العين غير منهجه الذي ابتكره كما ابتكر غيره في علوم العربية، ولكنني أردت أن أبسط جانباً من عبقريته في ابتكار هذا العمل البارع الذي رسم له ما تصوّره وأحصى فيه ألفاظ العربية وكان له فيها وقفات وفوائد مهمة.

ولا يضر هذا العمل أن يتصدى له الليث والآخرون الذين حشوا الكتاب وزادوا فيه، وكان في زياداتهم شيء لم يستقبله أهل العربية بقبول حسن.

وقد عرضت لكثير من هذا لدى الذين وقفوا من الكتاب منكرين له. وقد كان الذي أعرض له في كتابي هذا شيئاً جعلته مقدمة المطبوع من كتاب العين.

منزلة كتاب العين في تاريخ علم اللغة^(١)

تقدم علم اللغة في النصف الثاني من القرن العشرين خطوات واسعة بحيث غدا علما جديدا له طرائفه العلمية التي ابتعدت عن التأمل الذاتي كما كان علم اللغة عند قدماء اللغويين.

لقد أصبح علم اللغة في الدراسات الحديثة مادة منهجية يدرسها الطلاب في مرحلتهم الجامعية في الأقسام اللغوية كما يدرسها غيرهم من طلاب علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة في سني تخصصهم واعدادهم.

إن علم اللغة في هذا الحيز من الدراسات اللغوية الحديثة علم قائم على الملاحظة والتجربة العلمية. وهو من أجل ذلك مادة جديدة. غير أن هذا العلم الجديد مما يجمله طالب اللغة في جامعاتنا العربية. انه ليس مادة "انشائية" تملئ على الطلاب، بل هو بحث وتجربة علمية.

أقول: "انه ليس مادة انشائية" لأصرف النظر الى الحقيقة العلمية التي تبتعد عن السرد القصصي في كثير من المواد التي تفيد من التأمل والاستقراء والاستنتاج.

إن علم اللغة في عصرنا كسائر العلوم الإنسانية التي أفادت من التقدم العلمي ومما يدعى بـ "التكنولوجيا" الحديثة. إن الآلة الجديدة الدقيقة قد غزت ميدان هذا العلم، لا سيما ما كان منه متصلا بـ "الأصوات". ثم إننا واجدون كل يوم نمطا جديدا من هذا الغزو العلمي الذي استعان به علماء اللغة في عصرنا الحاضر.

غير أن شيئا من ذلك مازال بعيدا عن عالمنا العربي، مجهولا كل الجهل، فلم تدرس اللغة بوجه عام ولم تدرس العربية بوجه خاص الدراسة الموضوعية، ولم يستعن بشيء من مبتكرات العصر الحديث على فهم أصواتنا فهما جيدا تحليليا وتركيبيا دقيقا. ثم إننا ما زلنا غير شاعرين بحاجتنا الى الأخذ بشيء يسير في أساليب البحث الجديد.

ما زلنا ننكر أن اللغة التي يعرب بها الناس شيء يستحق القليل من العناية، وانها نتيجة لذلك، لغة مردولة في حين أنها مادة الحياة اليومية، وكأن صنعنا هذا انتصار للفصيحة التي لم نحسن الوصول إليها وفهمها بل افهامها الى ناشئة المتعلمين منا.

(١) أقول: لقد أردت في هذا الباب الثالث أن أبسط قولي في مكانة العين وتصور الخليل بن أحمد لمنهجها، وأنه لم ينسج على منوال سبق لدى العرب وغيرهم. وإن الذي بسطته من عبث من زاد فيه لم يفقد الكتاب منزلته العلمية التاريخية.

إننا نعانى صعاباً حين نعرب بلغتنا الفصيحة، ومن أجل ذلك لا نقيم أعرابها ولا نحسن أن نأتي بالأبنية الفصيحة على نحو ما هو معروف في " صرف " العربية، ثم لا نجيد صوغ جملها على نحو يكفل الأعراب عن مقاصدنا أعراباً مفيداً صحيحاً.

لقد نسي أصحابنا الغياري على الفصيحة المعربة أن السلف من علماء اللغة الثقات كانوا يعنون بلغات القبائل ولغات الناس وأنهم سجلوا في رسائلهم شيئاً من ذلك.

إن البحث في تاريخ العربية يدلنا على أن العلم اللغوي القديم قد اتبع في تقييده وضبطه وسائل علمية مازالت مقبولة. لقد اهتموا بالفصيحة لاهتمامهم بلغة التنزيل ولغة الحديث، كما اهتموا بلغات العامة.

إن الخليل بن أحمد مثل من الأمثال اضربه لأدلل على جهلنا بتاريخ هذه اللغة. لعل الكثير من الدارسين وذوي الاختصاص لا يعرفون سوى أنّ الخليل من النحاة المتقدمين الكبار. ثم نبه فريق من المتخصصين إلى " الكتاب " كتاب سيبويه ومكانة الخليل في هذا " الكتاب " النفيس. ولا يعدو علم آخرين بالخليل سوى أنه صاحب كتاب العين، ويذهب فريق آخر في علمه إلى أبعد من ذلك قليلاً فيعرف قاصداً أم غير قاصداً إلى هذه المعرفة أن " العين " ليس من صنع الخليل.

وما زلنا نردد أحياناً هذه المقولة التي روجها الأقدمون وفي مقدمتهم الأزهري صاحب التهذيب " . أن نفراً آخر من أهل العلم لا تعدو معرفته بالخليل سوى كونه مبتدعاً لعلم موازين الشعر.

ومن العجيب أن الخليل بن أحمد لم يعرف على حقيقته في مختلف العصور على الرغم من أن معاصريه ومن خلفهم قد أعادوا من علمه الشيء الكثير.

كان النضر بن شميل من علماء اللغة المتقدمين يقول: " أكلت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه وهو في خُصٍّ لا يشعر به " (١)

ولعل شيئاً واحداً قد بقي معروفاً عن الخليل هو أنه من علماء النحو المتقدمين، وأن كتاب سيبويه قد حفل بعلمه وآرائه في النحو واللغة.

(١) الأنباري، نزهة الالباء ص ٤٨ .

ان اشياء كثيرة تتصل بعلم الخليل قد خفيت على جمهرة الدارسين. أقول: ان الخليل أحد الكبار العباقرة الذين هم مفخرة الحضارة العربية، وانه مبدع مبتكر، والابداع عند الخليل متمثل في عناصر عدة منها:

إنّ الخليل قد شرع في منهجه في الكتاب فتصور أول معجم للعربية فلم يستطيع أحد ممن تقدمه أو ممن عاصره أن يهتدي الى شيء من ذلك.

ولا بد لنا من أن نشير الى أن علماء اللغة ممن تقدم الخليل ومن عاصره لم يستطيعوا استيفاء العربية بصنعة محكمة قائمة على الاستقراء الوافي.

وبسبب من ذلك قصروا عملهم على تصنيف الرسائل الموجزة والمصنفات المختصرة التي تناولوا فيها موضوعا كالابل والوحوش والخيول والجراد والحشرات وخلق الانسان وخلق الفرس والبئر والسرّج واللجام ونحو ذلك من هذه المواد.

غير أن صاحب العين لم يصنع شيئا من ذلك فلم يعرض لهذه الابواب التي أشرنا إليها، ولكنه استقرى العربية استقراء أقرب الى ما يدعى بـ "الاحصاء" في عصرنا الحاضر، ولو أنه استوفى الأمر لقيّض له أن ينتهي الى "كتاب العين" ولكان له أول معجم في العربية، وهو عمل جهد كبير إذا عرفنا أنه من المعجمات الأولى في تاريخ اللغات الانسانية.

ومن غير شك أن أصحاب المصنفات الموجزة التي أشرنا إليها قد أفادوا من "كتاب العين" لقد استقروه على ما كان فيه من نقص وعوارٍ استقراء وافيًا فجردوا منه مصنفاتهم كما استقروا كتباً أخرى لا نعرفها ولم يفصحوا عنها.

إن صنعة أول معجم في أية لغة من اللغات على نحو وترتيب جديدين لاسابق لهما، هو من أعمال الصنعة العباقرة الخالدين.

ولا أريد أن اعرض للرأي القائل إن الخليل قد اهتدى الى شيء من علمه اللغوي والنحوي بسبب ما أفاده مما ترجم من العلم الاغريقي. ذكر هذا جماعة من المستشرقين ثم خلف من بعدهم آخرون من المشاركة فأعادوا هذه المقولة التي تفتقر كل الافتقار الى الدليل التاريخي.

قلت: إن الخليل قد احصى العربية احصاء لا أقول تاماً، وبذلك هيأ مادة مصنفة معروفة لمن

جاء بعده من اللغويين الذين صنفوا معجمات لقد اهتمدى الخليل الى طريقة " التقلب " التي استطاع بها أن يعرف المستعمل من العربية والمهملة فعقد الكتاب على المستعمل وأهمل ما عداه.

حتى إذا تم احصاء اللغة من الثنائي الى الثلاثي فالرباعي فالخماسي كان ذلك ايذاناً ببدء مرحلة التدوين العلمي للعربية.

ومع ذلك لم يستطع معاصروه أن يضيفوا شيئاً أو يأتوا بغير الذي ورد في كتاب العين زيادةً ونقصاً. كان كل جهد الذين خلفوا الخليل أن يفيدوا من نظام العين فيصنفوا معجمات اتخذ أصحابها منه أساساً لها كما فعل ابن دريد في الجمهرة والازهري في " التهذيب " .

ان عملية احصاء العربية وحدها تعد العملية الكبرى التي هيأت لجميع أصحاب المعجمات المطولة المادة التي عقدوا عليها أبوابهم وفصولهم.

ونستطيع أن نؤكد أن ما أضافه هؤلاء الى ما جاء في العين لا تتناول المواد الأساسية بل هي اضافات ثانوية كزيادة في الشواهد من شعر وقرآن وحديث أو نسبة أبيات الى أصحابها لم تنسب في " العين " . وإني لأبسط هنا ما كان من " منهج العين " للخليل وهو نصيبه الأوفى فيه .

ولعلنا نجد في المعجمات المطولة كلسان العرب وتاج العروس أشياء لا نجدها في " العين " ، وذلك لان ابن منظور صاحب اللسان والزبيدي صاحب التاج وغيرهما من المتأخرين قد سجلوا مواد لم تكن معروفة بفصاحتها في عصر الخليل مثلاً أو عصر الجوهري صاحب الصحاح المتوفي سنة ٣٨٣هـ، ومعاصره ابن فارس المتوفي سنة ٣٩٥هـ.

وهذا يعني أن معيار الفصاحة في خلال القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة غيره في القرون المتأخرة.

وإذا عدنا الى " العين " اهتمدنا الى أن صاحب العين كان قد فطن لشيء في التطور التاريخي للعربية. لقد بدأ بذكر المضعف الثلاثي وهو يشعرنا بهذا البدء أن المضاعف الثلاثي قائم على الثنائي الذي يصار منه الى الثلاثي. وهو من أجل ذلك يدعو به " الثنائي " .

ومعنى هذا أن طريقة تضعيف عين الكلمة هي الطريقة الأولى في نقل الثنائي الى الثلاثي، حتى إذا تم الثنائي على هذا النحو انتقل الى الثلاثي فعرض له ثم ذهب إلى ما زاد على الثلاثي في هذا البناء

المرتب على الثنائي ثم نقل الى المضعف، ثم إلى غير المضعف. ومن هنا ندرك أن الخليل كان على علم واضح بأبنية العربية وتطورها التاريخي.

لقد ذهب الخليل الى " أن العرب تشتق في كثير من كلامها أبنية المضعف في بناء الثلاثي المثقل بحرف التضعيف " (مقدمة التهذيب).

لقد سمى الخليل كتابه " العين " وهذا يعني انه ابتداءً بصوت العين واتبع نظاماً خاصاً ابتدعه فلم يتبع النظام الابددي ولم يتبع نظام الالفباء الهجائي.

إن الاصوات اللغوية عند الخليل على النحو الآتي:

ع ح ه خ ع، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ث ذ، ر د ن، ف ب م، و ا ي همزة.

وقد أشار الخليل في مقدمة العين الى اهتمامه الى عمله الكبير. وهو في هذا العمل يضع البداية الأولى لعلم الأصوات في العربية. نعم لقد حفل كتاب سيبويه بإداة مهمة في هذا الموضوع، وأكبر الظن أن سيبويه قد أفاد من الخليل كثيراً ذلك أنه في " الكتاب " قد اعتمد على الخليل فهو ينقل عنه ويثبت أقواله وأراءه.

إن مقدمة " العين " على ايجازها، أول مادة في علم الأصوات دلت على أصالة علم الخليل وأنه صاحب هذا العلم ورائده الأول.

في هذه المقدمة بواكير معلومات صوتية لم يدركها العلم فيها خلا العربية من اللغات الا بعد قرون عدة من عصر الخليل. لقد جاء في المقدمة قوله:

" هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري من حروف: ا ب ت ث مع ما تكملت به فكان مدار كلام العرب وألفاظهم، ولا يخرج منها عنه شيء.

أراد أن يعرف بها العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطبتها، وألا يشذ عنه شيء من ذلك، فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول ا ب ت ث، وهو الألف، لأن الألف حرف معتل، فلما فاتة الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثنائي وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبر ونظر الى الحروف كلها وذاقها فصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق.

وانما كان ذواقه اياها أنه كان يفتح فاه بالألف^(١) ثم يظهر الحرف نحو: إِب، إِع، إَغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلقي فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الارتفاع فالارتفاع حتى أتى على آخرها وهو الميم.

في هذه المادة الأولى فائدة لغوية هي أن الخليل مبدع طريقة علمية قائمة على تحليل أصوات الكلمة ومشاهدتها في طريقة إخراجها في حيز الفم.

وانت تحس أن الخليل كان على علم بالجهاز الصوتي وتركيبه وأجزائه وما اشتمل عليه من احياز ومدارج فاستطاع أن يحدد مخارج الأصوات.

ومن المفيد أن نلاحظ أن مصطلح "صوت" لم يرد في مادة الخليل الصوتية، ولم يكن من مصطلح العلم اللغوي إلا في القرن الرابع الهجري فقد ورد في مصطلح ابن جني "التصريف الملوكي".

ان كلمة "حرف" تعني في مصطلح الخليل ما نعينه باستعمالنا كلمة صوت في عصرنا الحاضر ولنسمعه يقول:

"فاذا سئلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضوعها فانظر الى حروف الكلمة فمهما وجدت منها واحداً في الكتاب المقدم فهو في ذلك الكتاب".

ان قوله "حروف الكلمة" يعني أصواتها وهو يشير الى أنه ضمن مقدسته التي دعاها "الكتاب المقدم" هذه المواد الصوتية واللغوية.

قلت: ان هذه المقدمة تشتمل على مادة صوتية وأخرى لغوية وهو يخلط بين هذه وتلك لحاجته الى ذلك، فهو يقول بعد تلك الاشارات الصوتية:

"كلام العرب مبني على أربعة أصناف: على الشائبي والثلاثي والرابعي والخماسي" ثم يعرض لكل واحد من هذه الأصناف ويمثل له.

قال بعد أن تكلم على الخماسي:

"والالف التي في" اسحنكك واقشعر واسحنفر واسبكر ليست من أصل البناء وإنما دخلت

(١) أقول: إن "الألف" في قول الخليل هذا يعني "الهمزة".

هذه الالفات في الافعال وامثالها من الكلام لتكون الالف عماداً وسُلماً للسان الى حرف البناء، لان حرف اللسان لا ينطلق بالساكن من الحروف فيحتاج الى ألف الوصل.^(١)

إلا أنّ دحرج وهملج وقرطس لم يحتاج فيهن الى الألف لتكون السلم فافهم.... ' .

أقول: لم يرد الخليل بقوله: "والالف في ليست من أصل البناء....." إنها من أحرف الزيادة فقد كان بوسعه أن يصرح بذلك، وإنما أراد أنها وسيلة لاجراج الصوت فكان أي صوت لا يمكن للمعرب أن ينطق به ويأخذ الصوت مادته وصفته إلا بعد اعتماده على صوت الالف الأولى (أي الهمزة) قبله. ومن أجل ذلك دعاها عماداً أو سُلماً.

وقوله: "لان حرف اللسان لا ينطق بالساكن من الحروف فيحتاج الى الف الوصل" يشير الى أن إخراج الصوت وهو ساكن بصفته محتاج الى وسيلة الى اخراجه.

ويذهب الخليل بعيداً في هذه المقدمة فيحلل الأصوات ويكتب في مادتها وصفاتها فيقول:

أعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهي: ر ل ن، ف ب م، وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفيتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذليقة، ر ل ن تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها ما بين الشفتين خاصة.

ولا تعمل الشفتين في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الاحرف الثلاثة فقط، ولا ينطبق طرف اللسان إلا بالراء واللام والنون .

في هذه المادة الصوتية ندرك أن الخليل استطاع أن ينشئ في العربية معجماً في المصطلح اللغوي الصوتي لا نعرفه قبل الخليل بهذه السعة وهذا العمق. ولقد تهيأ له أن يلم بالكلم في العربية فيميز بينها وبين الاعجمي الذي يتصف بصفات خاصة.

يقول:

"فان وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرفة من الحروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم ان تلك الكلمة محدثة

(١) أقول: و^١ ألف الوصل^٢ هي همزة الوصل في استعمالنا الحديث.

مبتدعة، ليست في كلام العرب، لأنك لست واجدا من يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من الحروف الذلق أو الشفوية واحد أو اثنان أو أكثر .

وأما البناء الرباعي المنبسط فان الجمهور الأعظم منه لا يعرى من الحروف الذلق أو من بعضها، إلا كلمات نحو عشر جثن شواذ.

وقد أسهب الخليل في شرح صفات الكلم اللخيل غير العربي من الناحية الصوتية. ولم يقتصر على وصف الأصوات مفردة بل عرض لها وهي مجموعة في كلمات لتوفر شيء أو أشياء فيها فمن ذلك مثلا قوله:

..... ولكن العين والقاف لا بدخلان في بناء الاحستاه لانها أطلق الحروف وأضخمها جرسا .

ثم يقول:

فاذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما، فان كان البناء اسما لزمته السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف، لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها، وارتقت عن خفوت التاء فحسننت. وصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك..... " .

ثم يقول:

واما ماكان من رباعي منبسط معرّى من الحروف الذلق حكاية مؤلفة نحو " ذهdaq " واشباهه فإن الهاء والدال المتشابهتين مع لزوم العين أو القاف مستحسن، وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب للينها وهشاشتها وإنما هي نفس لا اعتياص فيها .

أقول: كأن الخليل وقد ملك اللغة وعرف دقائقها أدرك أبنية الكلام ومم تتالف مادة تلك الأبنية، استطاع أن يقطع بصورة الكلمة وهندستها إن جاز لي أن استعير هذا اللفظ، فهو يبتدع الكلمة التي لا يمكن أن تكون في العربية لأنها عريت عن صفات الكلمة العربية.

وكان الخليل اصطنع (دهdaq) وأشار الى ذلك بقوله " حكاية مؤلفة " ليقول مقولته التي أشرنا إليها. وقد أهمل الجوهري في " الصحاح " هذه المادة، والجوهري قد خلف الخليل بنحو أكثر من قرنين كاملين.

غير أن المتأخرين ومنهم الصاحب بن عباد في " المحيط " ذكر: دهدقت البضعة دهدقة " أي دارت في القدر إذا غلت. وقال: دابة دهداق بالفتح والكسر أي هملاج. وفي " الجمهرة " دهدق اللحم دهدقة ودهداقا كسره وقطع عظامه.

أقول: وهذا يشير إلى أن الكلمة مولدة استحدثت فضمت إلى العربية المعجمية بعد الخليل لشيوعها.

ويتكلم الخليل على البناء المضاعف الثلاثي والرباعي فتلمح في كلامه ما اهتدى إليه الباحثون في عصرنا من أن الفعل الثلاثي قائم على الثنائي. وأن هذا الثنائي يصار به إلى الثلاثي أما عن طريق التضعيف، وأما عن طريق زيادة صوت آخر.

وهذا الصوت الآخر قد يأتي في أول الفعل ومثل هذا باللغات الأعجمية Prefixe، وقد يأتي حشواً في وسط الفعل الثلاثي ويدعى "Infixe" وقد يأتي كسعاً في آخر الفعل ويدعى "Suffixe" ومثل هذا قوله في الاسم الثلاثي: " حرف يبتدأ به وحرف يُحشى به وحرف يوقف عليه " .

وإذا كان علي أن أوجز أقول: ان مقدمة العين مادة غزيرة في علم الأصوات العربية وعلم وظائف الأصوات Phonologie وهي بهذا تعد من أهم الوثائق في علم اللغة التاريخي وذلك لتقدمها ولأن صاحبها مبدع مؤسس لم يأخذ علمه هذا عن معاصر له أو سابق عليه.

منزلة " العين " في المعجمات العربية

كان الخليل فُكّر، وأطال التفكير في صنع كتاب يحصر لغة العرب كلّها، لا تغلت منه كلمة، ولا يشدّ منها لفظ، وهده عقله الناقد الفاحص إليه، وخطا في ذلك خطوات علمية محكمة، وأقام خطته على نظام رياضي دقيق.

إن عدّة أبواب كتاب العين هي عدة الحروف السواكن يضاف إليها باب خاص بأحرف العلة، وأول أبواب الكتاب باب العين الذي اتخذ منه اسم هذا المعجم، وينطوي على الكلمات التي تتألف من العين مع ما يليها.

ويليه باب الحاء، وينطوي على الكلمات المستعملة التي تتألف من الحاء مع ما يليها.

ويليه باب الهاء، وينطوي على الكلمات المستعملة التي تتألف من الهاء مع ما يليها.

ثم باب الخاء، وفيه الكلمات المستعملة التي تتألف من الخاء مع ما يليها.

ثم باب الغين وفيه الكلمات المستعملة التي تتألف من الغين مع ما يليها، وبالغين تنتهي مجموعة حروف الحلق، وهي تعادل نصف الكتاب.

فإذا انتهى من مجموعة أصوات الحلق بدأ بمجموعة اللهاة وفيها حرفان هما القاف والكاف وباب القاف يحتوي على الكلمات التي تتألف من القاف مع ما يليها، وكذلك باب الكاف.

وهكذا ينتقل من مدرجة إلى ما يليها حتى ينتهي إلى مدرجة الشفتين، وفي حيز الشفتين عنده ثلاثة أحرف صحاح هي الفاء والباء والميم، وأبواب هذه الحروف صغيرة جدا، لأنها تحتوي الكلمات التي تتألف منها مع ما يليها، ولا يلي الفاء إلا الباء والميم، ولا يلي الباء إلا الميم، ولا يلي الميم حرف ساكن، فلم يبق منها إلا الكلمات التي تتألف منها مع أحرف العلة.

قال الخليل في باب الفاء: " لم يبق للفاء إلا اللفيف وشيء من المعتل " .

وقال في باب الباء: " منزلة الباء مثل منزلة الفاء لأنها شفوية، وكذلك الميم في حيز واحد، وهو آخر الحروف الصّحاح، ولذلك لم يكن له في شيء من الأبواب تأليف لا في الثنائي ولا في الثلاثي [وفي] الرباعي [ولا في] الخماسي، ولم يبق منها إلا اللفيف " .

وقال في باب الميم: " الميم اخر الحروف الصحاح، وقد مضت مع ما مضى من الحروف، فلم يبق للميم إلا اللفيف " .

فإذا انتهى من الحروف الصحاح عقد بابا للأحرف المعتلة، وهو آخر أبواب كتاب العين، وآخر كلمة ترجمت فيه كلمة (آية).

وكل باب من تلك الأبواب يتناول بالدرس الكلم مرتبة بحسب عدة أصولها، والكلم من حيث عدة أصولها تندرج في ستة أبواب:

١- باب الثنائي المشدد ثانيه.

٢- باب الثلاثي الصحيح.

٣- باب الثلاثي المعتل.

٤- باب اللفيف.

٥- باب الرباعي.

٦- باب الخماسي.

٧

وليس بعد الخماسي باب، لأنه " ليس للعرب في بناء الأسماء والأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم فاعلم أنها زائدة على البناء، نحو قرعلانة، إنما هو قرعل، ومثل عنكبوت، إنما هو: عنكب " ^(١).

وطريقته في ترتيب الكلام في داخل الباب الواحد أن يأخذ من الثنائي مثلاً عق فيترجم لمقلوبها قع قبل أن ينتقل إلى الكلمة التي تلي عق وهي عك.

وإذا وصل إلى باب الثلاثي الصحيح كانت المادة الأولى عنده هي المؤلف من العين والهاء والقاف ولم يستعمل من وجوه هذه المادة إلا عهق وهقع فأثبتها وأهمل الأوجه الأخرى. فإذا انتهى من الكلمة وتقليباتها انتقل إلى الكلمة التي تليها وهي المؤلف من العين والهاء والكاف: عهك، ولم يستعمل غيرها فأثبتها وأهمل ما سواها من التقليلات.

(١) تهذيب اللغة ٤٢/١ .

وهكذا إلى أن تنتهي الكلمات المبدوءة بالعين مع ما يليها من الحروف فيعقد باباً جديداً وهو باب الحاء مع ما يليه ويفعل فيه ما فعل في باب العين إلى أن تنتهي أبواب الكتاب كلها.

وكان قديماً بالعين، لا لأنها أول الحروف مخرجاً، ولكنها أول الحروف نصاعة وثباتاً، والهمزة عنده هي أول الحروف مخرجاً، لأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد على حدة تعبيرة في الكتاب، ولم يبدأ بها "لأنها حرف مضغوط مهتوت إذا رُفِّعَ عنه انقلب ألفاً أو واواً أو ياء". ولم يجعل البدء بالألف لأنها ساكنة ابداء، ولا بالهاء لتهتها وخفائها فهي كالألف، ولكنها أقوى منها في الألف، لأنها تقبل الحركة، ويبدأ بها، ومن أجل ذلك أخرها عن العين، لأن العين عنده أنصع الحروف. (١)

قال ابن كيسان فيما حكى السيوطي: "سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة؛ لأنها يلحقها النقص والتغير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في البداء كلمة لا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلتني إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف". (٢)

وما قاله أبو طالب المفضل بن سلمة، فيما زعم السيوطي، أن صاحب العين ذكر "أنه بدأ كتابه بحرف العين، لأنها أقصى الحروف مخرجاً" (٣) وهم محض، لأنه لم يقل ذلك، ولا شيئاً قريباً منه.

وكان وهما أيضاً ما جعله الزبيدي أساساً لنفي نسبة "العين" إلى الخليل، وكان قد استند إلى أمرين كلاهما ضعيف لا يصح الاستناد إليه.

الأول: ما لاحظته من خلاف في الظاهر بين ترتيب الأصوات في العين وترتيبها في كتاب سيبويه، ولو كان العين له، "لم يكن ليخلف قوله، ولا لتناقض مذهبه".

والثاني: ما لاحظته من إدخال الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف، وهو مذهب الكوفيين خاصة، فيما زعم. (٤)

(١) المقدمة.

(٢) المزهر ٩٠/١.

(٣) المزهر ٩٠/١.

(٤) انظر ما اقتبسه السيوطي من كلام الزبيدي في كتابه "استدراك الغلط الواقع في كتاب العين" المزهر ٧٩/١.

أما الأول فالجواب عنه هو ما قدمناه من بيان، ومن نقلٍ عن ابن كيسان.

وأما الثاني فالجواب عنه أنّ الزبيدي لم يقع له مذهب الخليل على حقيقته، لأن الثلاثي المضاعف عند الخليل إنما هو من الثنائيات، وأن الرباعي المضاعف إنما ينشأ من تكرار الثنائي فهو منه وليس من باب آخر، وإذا أخذ الكوفيون بهذا الرأي فيما بعد فلن يعني هذا أنه من مذهبهم وأنه خاص بهم. والعين بهذا أول معجم في العربية ولعله معجم موعب، وقد أنجز في زمن لم تكن أذهان الدارسين ممهّدة لتقبّل مثله، مثل أيّ عمل يبتكر كان الخليل قد انفرد في انجازه، ولذلك بقي بعيدا عن اهتمام رواة اللّغة الأقدمين، ولم يخطر على بال أحدهم إذ ذاك أن يصنف كتابا يكون "مدار كلام العرب وألفاظهم، ولا يخرج منها عنه شيء". كما جاء في مقدمة "العين" ولم يكن ليكون مما اتجهت أذهانهم إليه، وانصبت عتائهم عليه.

وكان ابن درّيد على حق إذ قال: "وقد ألف أبو عند الرحمن الخليل بن أحمد الفرهوديّ رضوان الله عليه كتاب العين، فأتعب من تصدّي لغايته، وعنى من سبأ إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلف، وكلّ من بعده له تبع، أقرّ بذلك أم جحد، ولكنه رحمه الله ألف كتابا مشكلا لثقوب فهمه، وذكاء فطنته". (١)

ولذلك أنكره حملة الرواية "المحافظون" مثل أبي حاتم السجستاني وأصحابه أشدّ الإنكار، ودفعوه بأبلغ الدفع. (٢) بحجة أن أصحاب الخليل غيروا عنه مدّة طويلة "لا يعرفون هذا الكتاب، ولا يسمعون به، ومنهم النضر بن شميل، ومؤرّج ونصر بن عليّ وأبو الحسن الأخفش وأمثالهم، ولو أنّ الخليل ألف الكتاب لحمله هؤلاء عنه". (٣)

لأن أكثر من سمّوا لم يكن بالمتلقّي المستوعب لكل ما هو جديد، ولأن أبا الحسن الأخفش خاصّة كان قد عاصر الخليل ولكنه لم يأخذ عنه، ولم يحك عنه حرفا واحدا، فكيف يحمل عنه علمه في العين وغيره.

ولأن عدم علمهم، وعلم أشياخهم لا يعني عدم وجوده، ولم ينقدوه ولم يفحصوه ليعرفوا أنه

(١) مقدمة الجمهرة ص ٣.

(٢) المزهر ١/ ٨٤.

(٣) المزهر ١/ ٨٤.

من عمل الخليل أو من عمل غيره، بل تمسكوا بأوهى الأسباب ليملاؤا الدنيا صخباً. ويوجهوا الأذهان إلى إنكاره ورفضه.

وقد اتخذوا من إنكاره وسيلة إلى نهب ما احتواه ليقيموا عليه كتباً زعموا أنها لهم أمثال الأزهرى والقالى وغيرهما. أقول: كأن هذا الذي بسطته كان مذهب العلماء من قبل كتاب العين كلهم.

وكان الأزهرى أشدَّ المنكرين له، وأكثر أصحاب المعجمات إفادة منه. زعم أن الكتاب ليس للخليل، وإنما هو لليث بن المظفر، نحله الخليل "لينقحه باسمه ويرغب فيه من حوله" (١)

وقد عقد الأزهرى في المقدمة باباً ذكر فيه الأئمة الذين اعتمد عليهم فيما جمع في كتابه "تهذيب اللغة"، ذكر أكثر الدارسين الذين صنفوا الكتب في اللغات، وفي علم القرآن وفي القراءات، بدأهم بأبي عمرو بن العلاء، وختمهم بأبي عبد الله نبطويه، ولم يكن الخليل بن أحمد واحداً من هؤلاء الأثبات فقد تجاهل مكانته في الدارسين اللغوية، ولم يذكره إلا على أنه أستاذ سيوييه، وأنه "رجل من الأزد من فراهيد" وأن ابن سلام كان يقول: "استخرج من العروض واستنبط منه ومن علله ما لم يستخرجه أحد، ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كلهم" (٢).

ولم يكن الخليل ليساوي عند الأزهرى حتى أصغر تلاميذه الذين سلكهم في مصادره المعتمدة، حتى كأن الخليل لا علاقة له باللغة ولا بالنحو ولا بالتأليف المعجمي، مع أنه اقتبس مقدمة العين بكل تفصيلاتها، وجعلها مقدمة لمعجمه، نقل منها رأي الخليل في عدة حروف العربية، وأحياها ومخارجها وصفاتها، وتأثير بعضها في بعض، حين تتألف وتتجاور في كلمات، وأخذ عنه تصنيف الكلم من حيث عدة أصولها، وأخذ عنه ما يأتلف من الأصوات وما لا يأتلف.

ولم يجعل الليث من مصادره، لأن الليث، فيما زعم، من أولئك الذين ألفوا "كتباً أودعوها الصحيح والسقيم، وحشوها بالزوال والمصحف المغيّر" (٣).

ولكننا حين نتصفح "تهذيب اللغة" ونقابله بما في كتاب العين نعجب من أمر الرجل الذي حاول في غير ذكاء أن يجمع بين تحامله على الليث وغضه من شأنه، ونهب ما في كتابه، على حدِّ

(١) مقدمة التهذيب ٢٨ .

(٢) مقدمة التهذيب ١٠ .

(٣) مقدمة التهذيب ص ٢٨ .

زعمه، لبني كتابه عليه. لقد كان "العين" بكل ما فيه من ترجحات وبيانات وتفسيرات أساس كتابه الذي عليه إلا روايات ونقولا عن غير الخليل، ولم يصف شيئا على ما فعله الخليل الذي يسميه بالليث بن المظفر إلا مفردات أهملها الخليل.

أما ما كان يردّ به على الليث، ويّزعم أنه منصف أو أنه غير مغرّوف فأكثره مزاعم يبطلها مراجعة نصوص العين. وقد وضح لدينا في كثير من الأحيان أن الأزهرّي كان لا يتوانى عن النيل من العين أو نسبة التخليط إليه ولو باطلا.

فقد جاء في التهذيب في ترجمة (سعد): "وخلط الليث في تفسير السعدان. فجعل الحكمة ثمر السعدان مستدير شوكة في وجهه. وأما الحكمة فهي شجرة أخرى وليست من السعدان في شيء" (١).

ولأنه لمن الواضح أن الأزهرّي بهذا حاول أن يوهّم من حوله بصحة تقويمه الليث حيث جعله من غير الإثبات، ونحن ألفوا كتبنا أو دعواها التصحيح والسقيم وحشوها بالمصحف إلى آخر ما تحامل به عليه.

أقول: وليس لنا أن نأخذ ما قاله الأزهرّي إلا على أنه كان ينفّس أبا عبد الرحمن فلا يقرّ له شيء. غير أن ما نسبته إلى الليث هنا لم يقله الليث، وحقيقة ما جاء في العين مما اتفقت عليه النسخ هو قوله: "والسعدان نبات له شوك كحسك القطب، غير أنه غليظ مقرطح كالفلكة، ونباته سمي الحكمة وهو من أفضل المراعي... ويقال: الحكمة ثبت حسن غير السعدان" (٢) فأين هذا مما زعمه الأزهرّي.

تأبى بدرتها إذا ما استكرهت إلا الحميم فإنه يتبصّع

بالصاد: أي يسيل قليلاً قليلاً، فقال ابن دريد "أخذ هذا من كتاب ابن المظفر فمر على التصحيح الذي صحفه" (٣).

(١) التهذيب ٧٣/٢.

(٢) العين، ترجمة (سعد) في باب العين والسين والذال معها.

(٣) التهذيب ٥٣/٢.

لم يكن الخليل مصحفاً، ولا الليث كما يحلو للأزهريّ ذلك، فقد عرض في العين في ترجمة (يصبع) لكلتا الروائيتين، يتبضع بالصاد المهملة، ويتبضع بالصاد المعجمة ولكن الأزهري أخفى هذا ليضفي على زعمه شيئاً من الوجاهة.

ومن ذلك ما جاء في ترجمة (عصم) : " والأعصمُ: الوعلُ، وعصمته بياض شبه زمعة الشاة في رجل الوعل في موضع الزمعة من الشاة " (١).

قال الأزهريّ: " الذي قاله الليث في نعت الوعل أنه شبه الزمعة تكون في الشاة محال " (٢) وتغافل عما ورد في الترجمة نفسها من قوله: " قال أبو ليلى: هي عصمة في إحدى يديه من فوق الرسغ إلى نصف كراعها " ثم أرفده بشاهد من قول الأعشى:

فأرتك كفا في الخضاب ب ومعيصاً ملء الجبار

وذكره الرايين بسد باب التحامل في وجه الأزهريّ.

وأعجب من هذا كله فعلته في ترجمة (سمع) فقد زعم أن الليث قال: " تقول العرب: سمعت أذني زيدا يفعل كذا، أي: أبصرته بعيني يفعل ذلك "، فعقب عليه بقوله: " قلت: لا أدري من أين جاء الليث بهذا الحرف، وليس من مذاهب العرب أن يقول الرجل: سمعت أذني يعني أبصرت عيني، وهو عندي كلام فاسد، ولا آمن أن يكون مما ولده أهل البدع والأهواء، وكأنه من كلام الجهمية " (٣).

وجاء ابن منظور على عادته فنقل ذلك عنه من دون تحفظ.

إذا استطاع الأزهري أن يثير الدخان حول " العين " ويكدر الهواء من حوله حيناً من الدهر قلن يستطيع دخانه أن يثبت أبداً فيتبدد أمام الواقع الناصع، والحقيقة المجلوة، وقد أتيج لكتاب " العين " أن يبقى على ما بسطت من حاله، وأن يستعصي على ما أراد له الأزهريّ وأمثاله، وأن يتداوله أقلام البشاش على جحود أبناء العربية لكتابها الأول كتاب " العين " .

وهذا هو النص الذي شوّهه الأزهريّ، أو جاءه مشوّهاً ولم يتحرّقه الصواب، وهو مما اتفقت

(١) انظر مادة " زعم " في التهذيب.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) انظر مادة " سمع " في التهذيب.

فيه نسخ العين الموجودة.

قال الخليل في ترجمة (سمع): "وتقول: سمعت أذني زيدا يقول كذا وكذا، أي: سمعته، أي أبصرت بعيني زيدا".^(١)

فأين هذا مما خلط فيه الأزهري وحرّف وصحّف، وهو كلام سليم لا غبار عليه، غير أن ما فعله الأزهري هنا لقليل من كثير مما تعرّض له العين من الأزهريّ ومن هذا حذوه، وهو قليل من كثير مما ورّط الأزهريّ نفسه فيه من تحامل على الخليل، والغض من شأن علمه اللغوي الكبير من وراء حجاب سماء الليث أو ابن المظفر.

على أنّ كثيراً مما كان ينسبه الأزهريّ إلى الليث كان ابن فارس ينسبه إلى الخليل، ومن ذلك أنّ الأزهريّ قال: "وقال الليث: العَسَنُ: نُجِعَ العَلْفَ والرّعي في الدّواب".^(٢)

وقال ابن فارس: "قال الخليل: العَسَنُ: نجوع العَلْفَ والرّعي في الدّواب".^(٣)

وإنّ كلّ ما ينسبه الأزهريّ إلى الليث كان أبو القالي ينسبه في "بارعه" إلى الخليل.

ومن ذلك:

(١) ما جاء في التهذيب في ترجمة (ضغط): "قال الليث": "الضّغط عصر شيء إلى شيء، والضّغاط: تضاعط الناس في الزحام ونحو ذلك".^(٤)

فقد جاء في البارع قوله: "وقال الخليل: الضّغط: عصر شيء إلى شيء، والضّغاط: تضاعط الناس في الزحام ونحوه".^(٥)

(٢) وما جاء في التهذيب في ترجمة (غضن)، قال: وقال الليث: الغَضْنُ والغضون: مكاسر الجلد في الجنين.^(٦)

(١) العين، باب العين والسين والميم معها، (سمع).

(٢) التهذيب ١٠١/٢.

(٣) المقاييس ٣١٦/٤.

(٤) التهذيب ٣/٨.

(٥) البارع ص ٢٥٧.

(٦) التهذيب ١٠/٨.

وجاء في البارع: " وقال الخليل: الغَضْنُ والغضون مكاسر جلد الجبين " (١)

(٣) وما جاء في التهذيب في ترجمة (غضف): " قال الليث: الغَضَفُ: شجر بالهند كهيئة النخل سواء من أسفله إلى أعلاه [له] سعف أخضر مغشّ عليه. ونواه مقشّر بدون لحاء " (٢)

فقد جاء في البارع هكذا: " وقال الخليل: الغَضَفُ بفتح العين والضاد شجر بالهند كهيئة النخل سواء من أسفله إلى أعلاه [له] سعف مغشّ عليه، ونواه مقشّر بدون لحاء " (٣)

وكان الدكتور عبدالله درويش قد فطن لهذا حين قال: " نرى أنّ الأزهرّي في تهذيبه، حينما لم تسعفه الأمور بما يرى به الخليل، كما فعل بابن دريد وغيره رأى أن يتحاشي أن يترجم للخليل حتى لا يتعرض لذكر العين تحت اسمه بالمرّة [كذا] وعندما نرى في مقدمته ذكر الخليل فإنما كان ذلك عرضاً عند الكلام على آخرين كتلاميذه مثلاً. ونرى قبل أن نعرض للسبب الرئيسي لتجنّب الأزهرّي ذكر الخليل أن نذكر أنّ تعصب الأزهرّي لم يكن فقط ضدّ [كذا] كتاب العين أو ابن دريد الذي رأى أنّ العين تأليف الخليل بل تعدّاه هذا إلى كل من ألف في المعاجم من قبله " (٤)

وهكذا كانت الحال مع أبي عليّ القالي الذي أشاع نفي نسبة العين إلى الخليل في ربوع الأندلس التي رحل إليها، ولقّن تلاميذه تلك الأفعولة التي افتعلها ذهن أبي حاتم السّحستانيّ، وحبّه لنفسه وتعصبه على كل ما ليس لم يصل إليه علمه وراح تلميذه أبو بكر الزبيديّ يردد ما تلقّاه عنه في غير وعي.

أقول: والقالي والزبيدي قد ذهبا منكرين ظالمين.

وإذا أنكر عليه من في الأندلس من الدارسين حملته على كتاب العين ونفي نسبته إلى الخليل والطفن عليه بالتخليط والخلل والفساد أخذ يدّري حملات الدارسين عليه بالثناء على الخليل " أوحد العصر وقريع الدهر، وجهبذ الأمّة، وأستاذ أهل الفطنة، الذي لم يُرَ نظيره، ولا عرف في الدنيا عديله " (٥)

(١) البارع ص ٢٥٥ . وأقول: وأريد هنا أن أشير إلى أن في كتاب العين ما خلا المنهج موادّ كثيرة أفادها الليث في مساءلته لشيخه الخليل.

(٢) التهذيب ٩٧/٨ .

(٣) البارع ص ٢٦٠ .

(٤) المعاجم العربي ص ٥٦ .

(٥) المزهر ٨٠/١ .

ولكنه مازال ينفي أن يكون العين كتاب الخليل مردداً مزاعم أبي خاتم السجستاني في نفيه نسبه إلى الخليل، محتجاً بحجته، زاعماً أن فيه من الخطأ ما لا يذهب على من شيدا شيئاً من النجوى، أو طالع بابا من الاشتقاق والتصريف^(١).

ولكنه لم يعزز زعمه بذكر أمثله التخليط والخلل والفساد، حتى إن السيوطي بعد أن اقتبس كتابه المسمى باستدراك الغلط الواقع في كتاب العين قال: "وقد طالعت إلى آخره فرأيت وجه التخطئة فيها خطئاً فيه غالبه من جهة التصريف والاشتقاق كذكر حرف مزيد في مادة أصلية، أو مادة رباعية، ونحو ذلك. وبعضه ادعى فيه التصحيف، وأما أنه يخطأ في لفظه من حيث اللغة بأن يقال: هذه اللفظة كذب، أو لا تعرف فمعاذ الله لم يقع ذلك"^(٢).

وإذا كان الأمر كما قال السيوطي لم يكن يقتضي كل تلك الضجة ولا كل ذلك التشهير، وكان من الإنصاف لكتاب العين أن يحمل ما زعموا من تخليط وخلل وفساد على أنه من عبث المحشين وجهل النساخ، وكان سيرا. لو حسنت النية، أن يقوم الكتاب. ويصح ما فيه من خطأ، وينبه على ما فيه من تصحيف لم يسلم منه كتاب في ذلك.

ولكن الزبيدي لم يفعل شيئاً من ذلك، بل غمد، استجابة لأمر المستنصر بالله إلى "اختصار الكتاب المعروف بكتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي بأن يؤخذ عنه عيونه، ويلخص لفظه ويحذف حشوه، ويسقط فصول الكلام المتكررة فيه، لتقريب ذلك فائدته، ويسهل حفظه، ويخفف على الطالب جمعه"^(٣).

لقد أراد أبو بكر الزبيدي باختصاره العين أن يحسن إليه فأساء إليه إذ حذف منه "شواهد القرآن والتحديث وصحيح أشعار العرب"^(٤)، وتركه جسماً بلا روح.

وأبو بكر الزبيدي تلميذ أبي عليّ القالي، وعنه تلقى الدعوة إلى التشهير بكتاب العين ورميه بالتخليط، والخلل والفساد، فقد ارتحل القالي إلى ربوع الأندلس وجمّل معه كلام السجستاني،

(١) المزهر ٨٦/١.

(٢) المزهر ٨٦/١.

(٣) الورقة (من المختصر العين) (نسخة مدرّيد).

(٤) المزهر ٨٨/١.

وأشاعه في تلك الربوع، وألف معجماً بناه على كتاب العين، لكنّه سماه بالبارع غمراً لكتاب العين، وإيهاً ما بفضلّه عليه، كما فعل الأزهري في المشرق حين سمّى كتابه بتهذيب اللّغة لذلك.

على أن أبا عليّ بتأثير شيخه أبي بكر بن دريد، وبالتزامه مقابلة نسخ العين بأمر من الحكم المستنصر بالله لم يَرِ مناصاً من الاعتراف بواقع الأمر، وبتصحيح نسبة الكتاب إلى الخليل، ولذلك حين صنف (البارع) نسب كل ما فيه إلى الخليل، ولم ينسب شيئاً فيه إلى الليث، كما دأب الأزهري عليه، وقد مر بنا امثلة ذلك.

وقد أتيج لدارس مجدث عني بتحقيق نص من البارع أن يوازن بين ما رواه عن الخليل في هذا الجزء وهو معظمه وما جاء في نسختي كتاب العين اللتين وقف عليهما " فإذا بالكتابين [يعني البارع والعين]، متطابقان حدو القدّة بالقدّة " (١).

ويتهي هذا الدارس إلى أن يقول: " بهذا يكون البارع أقدم نسخة وصلت إلينا من كتاب العين . ولو كان من هم هذا الدارس أن يوازن بين ما نقله من العين وما في نسخ العين لعرف أن " تهذيب اللغة " نسخة قديمة أخرى لكتاب العين زيد عليها نقول من كلام آخرين.

ومن المستغرب أن تجوز هذه المقولة على الدارسين المحدثين فيتمسك بها للطعن في نسبة العين " إلى الخليل بدون تثبت ولا تحقيق.

وبعد الوقوف على أهم نسخ العين الموجودة ومقابلتها بالتهذيب والبارع والمقاييس والمحكم، وبما حكته أمّات المعجّاب هنا وهناك أرانا نصل إلى نقطتين مهمتين:

الأولى: أن كتاب العين على ما قيل فيه، ومما مُني به من جحود وتحامل وتشهير، وبالرغم مما فعل به تقادم الزمن وعبث الوراقين... مصدر إلهام اللّغويين الذين احتذوه، ونهجوا نهجه، بل كان المادة الأساس لمعجماتهم واراتهم في اللغة وفقهها، وكان نقلة عظيمة نقلت التأليف المعجمي من طور وسمت به كتابي هذا بـ " الابداع والمحاكاة في حكاية كتاب العين " طور النضج والاكتمال.

وإذا كان أحمد بن فارس اللّغويّ والجوهري وغيرهما قد اختطوا المعجماتهم رسماً جديداً، وبنوها على أسس جديدة فقد كان ذلك، بلا ريب، من تأثير العين وتوجيهه.

(١) البارع تحقيق الدكتور هاشم الطعان ص ٦٦ .

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الباب الرابع

فوائد من استقراء "كتاب العين"
وفيها بعض ما يكون من صنعة
غير الخليل بن أحمد

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فوائد من استقراء كتاب العين

أقول: لقد وقفت في كتاب العين على طائفة من المصطلح الذي جاء به الكوفيون، وليس لي أن أقول: إنها في الأصل من مصطلح الخليل، وأن الكوفيين أفادوها منه كما ذهب الأستاذ مهدي المخزومي في كتابه مدرسة الكوفة.^(١) وإني لأستظهر بالتاريخ لأشير إلى أن القرن الثاني الهجري الذي توفي في ربعه الأخير الخليل لم يكن فيه ظهور واضح كثير للكوفيين.

ثم إني استظهر بدليل آخر هو "كتاب سيبويه" الذي أفاد فيه صاحبه من الخليل كما أشار صاحبه وهو يبسط موادّه. أن هذا المصدر القديم الذي يُعد من أوائل ما كان للعرب من "العربية" التي هي علم النحو قد خلا من المصطلح الكوفي. فلم كان الخليل يأتي بهذا المصطلح الذي يعدّه المخزومي من "مصطلحه" في كتابه العين، ويضنّ به على تلميذه سيبويه؟

وكأنني هنا بعد استقراي الوافي لكتاب العين^(٢) أذهب إلى ما ذهب إليه المنكرون الأوائل من أهل اللغة، وفيهم من رأى الخليل أقرأ على من عرفه الذين وقفوا في كتاب العين على مسائل كثيرة أنكروها وردّوها. وأن ما فيه مما هو كوفي من عوار الكتاب والزيادات التي ألحقوها به، وكنت قد أشرت إلى هذا.

وأعود إلى "الفوائد" التي وجدت في "العين" في مصطلح الكتاب،^(٣) وقد رأيت أن أبسطها هنا منسوقة على حروف المعجم:

١- أدو:

جاء في كتاب العين ٤٨/١

أن الثنائي على حرفين نحو: قد، لم، هل، لو، بل ونحوه من الأدوات والزجر.

(١) مدرسة الكوفة ص ٣٠٣-٣٠٥، وانظر: ص ٣١١، ٣١٤.

(٢) كتاب العين (النشرة الكاملة البغدادية الأولى التي تولّت وزارة الإعلام العراقية إخراجها).

(٣) أريد بـ "المصطلح" هنا المصطلح اللغوي وأنا أجعله مشتملاً على ما كان منه لدى النحويين.

وليس لي هنا أن أجعل النحو بعيداً عما هو لغوي، كما أنني لا أقر أن يكون لنا منه ما هو خاص به دعاه المتأخرون "علم الصرف" فجعله ما هو صرف مادة لغوية. ومن هنا فالمصطلح الذي أدرجه في درسي هذا مما في كتاب العين هو مصطلح العربية بشمولها.

٢- أس س:

أقول: جاء في كتاب العين ٣١٩/٤ :

وتقول: أَخِيْتُ عَلَى أَصْل "التأسيس" .

وكان في " التأسيس " معنى " الأساس " .

٣- أ ل ف:

أقول: جاء في كتاب العين ٤٩/١ :

" والألف " التي في اسْحَنُكَ وَأَقْشَعَرَّ... ليست من أصل البناء، وإنما أَدْخِلْتَ هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون عماداً وسُلماً للسان إلى حرف البناء " لَأَنَّ اللسان لا ينطلق بالساكن من الحروف فيحتاج إلى ألف الوصل.

أقول: هي " ألف الوصل " ، وهو رَسْمٌ جيء به لأداء مسألة تتصل بحسن الأداء. وليس للمعاصرين أن يدعوها همزة الوصل، لأن همزة من أصوات الخنجرة (الحلق) ، في حين لم يكن للألف في " اقْشَعَرَّ " ولا في " ابن " و " امرؤ " و " اسم " وغيرها قيمة صوتية من أصل البناء.

٤- أ ن ف:

أقول: والمصطلح هو " الاستئناف " الذي وجدته في العين ٣٩٦/٨ في الكلام على " إن " :

" فإذا كانت مُبْتَدَأً [بها] لأمرٍ يعتمد عليها كَسَرَتْ، وفيما سوى ذلك تنصّب ألفها " .

أقول: لنا أن نلاحظ ان مصطلح الهمزة لم يرد لدى الخليل وغيره، بل بدأ يظهر حين نُظِرَ فيه إلى القيمة الصوتية فرُسِمَ برسم رأس العين (ع) ، وقد ورد في ٣٠٠/٧ في الكلام على ليس " وأصلها لا أئس " وكان هذا من إضافة الليث.

٥- ب د ل:

أقول: والمصطلح هو " إبدال " الذي جاء في العين ١٤٨/١ وفيه:

" الدُّعَاقُ " بمنزلة " الزُّعَاف " . ولم يرد في هذا الموضع أنه إبدال، فقد جاء: " قال الخليل:

سمعناه فلا ندري أَلغة أم لُغة؟ " .

أقول: وقد وجدت في موضع آخر من الكتاب ٣/٣٥٥ القول^(١): " وإنّا وقفوا عند هذه التاء في "فعلة" بالهاء من بين سائر الحروف لأن الهاء ألين الحروف الصراح، فجعلوا "البدل" صحيحاً مثلها، ولم يكن في الحروف حرف أهش من الهاء، لأنّ الهاء نَفَس... " .

٦- ب ن ي:

أقول: والمصطلح هو "بناء" وقد جاء في كلام الخليل على "ألف الوصل" رقم ثلاثة من هذا المجموع، ولا بدّ من إعادته هنا، وهو في العين ١/٤٨-٤٩ .

"قال الخليل: كلام العرب أربعة أصناف، والألف في اشحنكك واقشعرّ واشحنفّر واشبكرّ ليست من أصل البناء"^(٢)

أقول: و"البناء" و"الأبنية" يتردّدان في "الكتاب" في كلام الخليل وسيبويه.

٧- ت ب ع:

أقول: والمصطلح هو "إتباع" ، وقد رأيت في الجزء الأول من العين في المواد: تبع، وعمد، ووصل، انظر ١/١٩٥ وسيكون لي تعليق على "الإتباع" فيما جاء في العين وكتب النحو.

أقول: وقد رأيت غير مرّة في كتاب سيبويه في مسائل سُئل فيها الخليل.

٨- ث ق ل:

أقول: والمصطلح: "الثقيل"

جاء في العين ١/٣٠٣: "الصَّلَعة موضع الصَّلَع من الرأس حيث يرى. رأيثهم يُخَفّفونه، ويجوز تثقيله في الشُّعر على قياس الكَشْفَة والقَزعة، فإنّهما يُثَقِّلان" .

أقول: و"الثقيل" هو التحريك بالفتح للآم والشين والزاي. وعلى هذا فإسكان هذه الأحرف هو "التخفيف" وسيأتي.

(١) كأنّي أرى هذا الشرح من صنعة اللَّيث الذي احتفظ بما كان من "العين" .

(٢) وانظر "البناء" مصطلحاً أيضاً في العين ١/٢٥٦، ٢٧٤، ٣٢٠ وفي ٧/٣٢٥ .

٩- ث ل ث:

والمصطلح: "الثلاثي":

جاء في العين ٤٨/١: "قال الخليل: كلام العرب أربعة أصناف: على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي.

أقول: جاء هذا في مصطلح "ألف الوصل" وقد تقدّم.

١٠- ث ن ي: (١)

أقول: والمصطلح: هو "الاستثناء":

جاء في العين ٣٥٢/١: "إلا: استثناء، كقولك ما رأيت أحداً إلا زيدا".

١١- ج ح د:

والمصطلح: الجحد. جاء في العين ٣٠٠/٧: "ليس كلمة جحد: "معناه" لا أيس، فطرحت الهمزة وألزقت اللام بالياء".

أقول: و"الجحد" هذا لم يُنصّ فيه على أنه مصطلح كالجحد الذي ورد في العين ٣٢١/٨ في الكلام على "لم"، وفي ٣٩٦/٨ في الكلام على "ما" النافية.

١٢- ج ر ر:

والمصطلح: المجرور. جاء في العين ٤٨/٥:

"وكتاب مشق، مضاف مجرور، أي فُرِّجَ وحُدَّ حروفه".

أقول: ولم أر مصطلح الجرّ والمجرور النحوي إلا في هذا الموضع. وإني لأفترض أن لليث بن المظفر وغيره ولا سيما الذين ارتضوا ما عند الكوفيين من مصطلح قد كان لهم صنعة في مواد العين. ألا ترى أن الخليل صاحب الحضور الوافي في كتاب سيبويه لم يؤثّر عنه هذا الذي كان في كتاب العين؟ إن الجرّ والمجرور هو الشائع في الكتاب، وربما جاء الخفض.

(١) وأضيف هنا مصطلح الثنائي في العين ٤٨/١ في الكلام على الأدوات.

١٣- ج ز م:

والمصطلح: الجَزْم. جاء في العين ٤٩/٣ :

"وأما حَسَبٌ " مجزوماً فمعناه كما تقول: حَسَبُكَ هذا، أي كفاكَ، ... " .

أقول: وقد أراد بقوله " مجزوماً " ان " حَسَبٌ " ساكنة السين. وهذا يعني حذف حركة السين فلا تُسَلِّط عليها.

وأقول أيضاً: كأن هذا قول رجل ليس بضاعته النحو الذي عرفناه لدى سيبويه في " الكتاب " .

١٤- ج زي:

والمصطلح: الجزاء. جاء في العين ٣٥٨/٣ :

"وأما "مهما" فإنَّ أصلها "ماما" ولكن أبدلوا من الألف الأولى هاء " ليختلف اللفظ. و "ما" الأولى هي ما الجزاء، وما الثانية هي التي تزداد تأكيداً لحرف الجزاء مثل: أينما وكيفما " .

وجاء في ٣٩٦/٨ في الكلام على "إنَّ": حرف مجازاة في الشرط " .

أقول: وفي كلامه على "إنَّ" خفيفة اتَّضَح المراد بـ "الجزاء" الذي يأتي بعد الشرط.

١٥- ج ع م:

والمصطلح: "الجمع" . وقد تردّد "الجمع" مصطلحاً لغوياً عرفه النحويون مع المفرد والمثنّى ^(١).

أقول: وقد استعمل اللغويون في غير النحو كلمة "جماع" بكسر الميم لجملة الأشياء المجموعة.

١٦- ج وز:

والمصطلح: المجاوز، جاء في العين ٣٣٠/١ :

وأما قولك "اسرَّع" فإنه فعل مجاوز يقع معناه مفسَّراً على مفعول به، أي أسرع المَشْيَ وغيره، لمعرفته عند المخاطبين. ومثله: أفصَح فلانٌ، أي أفصَح القول.

(١) أقول: وكثيراً ما تردّد "المثنّى" مع الجمع.

وجاء في ٦٥/٥ : ونَقَصْتُه أنا يستوي اللازم والمجاز.

وفي ١٦٤/٨ : والفعل اللازم "نَظَّفَ" والمجاز "نَظَّفَ".

أقول: ويراد بـ "المجاز" المتعدي، وهو بمعناه لغة، وليس لي أن أعدّ "المجاز" مصطلحاً كوفياً ورد في كتاب العين، ذلك أني أجد القراء، وهو الكوفي، قد استعمل مصطلح "الواقع" في معاني القرآن^(١).

وأقول: قد يرد في العين المصطلح مرّة على ما اصطلح عليه الكوفيون، ومرّة أخرى على ما هو معروف لدى البصريين. وليس لي أن أقول: ان الشائع الكثير منه مما جاء لدى الكوفيين يشير ان الخليل صنعه واقتصر عليه. إذ ليس شيء من هذا الكثير قد جاء في كلام الخليل في كتاب سيبويه.

١٧- ح ق ر:

والمصطلح: التحقير. جاء في العين ٤٣/٥ : "تحقير الكلمة تصغيرها".

١٨- ح ك ي:

والمصطلح: الحكايات. جاء في العين ٣١٠/٣ :

"لأن الزجر والأصوات والحكايات تُحرّك أو آخرها على غير إعراب لازم، وكذلك الأدوات التي لا تتمكّن في التصريف" يفيد ما هو "مبني" يُبنى آخره على حركة واحدة.

١٩- ح م ل:

والمصطلح: الحَمْل. جاء في العين ٣٣٨/١ :

"وقد سمعناهم يقولون: نَعْسَان ونَعْسَى حملوه على وِسْنَان ووَسنَى، وربّما حملوا الشيء على نظائره، وأحسن ما يكون ذلك في الشعر".

أقول: وقوله: "وأحسن ما يكون ذلك في الشعر" يفيد أن في الشعر رخصة بل سعة، فقد ذهب الشاعر القديم في قوافيه وفي مواده في حشو الأبيات إلى غير ما هو متعارف.

(١) معاني القرآن ١٦/١، ١٧، ٢١، ٤٠.

٢٠- ح ول:

والمصطلح: الحال: جاء في العين ٢٠٩/٤ :

"والنصب خزانة النحو، ... ، النَّصْبُ في الحال وألّ قطع والوقف وإضمار الصفات " .

أقول: كأن الخليل قد وجد " النَّصْبُ " فاشياً في العربية فَعَطَفَ عليه قوله: " والبَصْرَة خزانة العرب " ، فكأنه أراد أن يثبت فشوّ النصب.

٢١- خ ف ض:

والمصطلح: الخفض: جاء في العين ٢/٢ :

"... فصار " مِنْ " في قولهم: " مِنْ بَعْدُ وَمِنْ قَبْلُ " صفة. وَخَفُضَ " بَعْدُ " لَأَنَّ " مِنْ " حرف من حروف الخفض.

أقول: وقوله: " صفة " أريد بها حرف الخفض أي الجرّ، كما أريد بها في ١٦٦/٥ الظرف.

أقول: أيضاً: إن مصطلح " الصفة " على هذا الوجه في نحو الكوفيين، فكيف يكون من كلام الخليل

ولم يكن شيء منه في كتاب سيبويه. وأما " الخفض " فهو الجرّ، وهو معروف لدى الطرفين. والذي وجدته أن الخليل صَرَفَ المخفوض إلى المنّون " .

٢٢- خ ف ف:

والمصطلح: التخفيف: جاء في العين ٣١١/١ .

"ويقال: عَصَبَ وَعَصَّبَ، يُخَفِّفُ وَيَشَدُّ ضِدَّ " .

أقول: التخفيف حركة خفيفة، فهو ضدّ التشديد. وقد مرّ بنا " التثقيل " حركة على الحرف، وعلى هذا كان إسكان الحرف ينصرف إلى " التخفيف " . وانظر العين ٢٤٥/٤ في الكلام على فَيَحِذُ " و " فَحِذْ " ، وكذلك في ٢٩٢/٤ في الكلام على حُطُّوَاتٍ وَخُطُّوَاتٍ.

٢٣- خم س:

والمصطلح: الخماسي.

جاء في العين ١/ ٤٩ في مادة العين "ألف الوصل".

والخماسي من الأفعال نحو: اسخَنَكْ واقشَعَرَّ.

٢٤- دخ ل:

والمصطلح: الدخيل. جاء في العين ٥/ ٢٨٨:

الكَرَج دَخِيل، وهو شيء يُلَعَبُ به، وربّما قالوا: كُرِّق.

أقول: وأنا أعجب من العلماء الأوائل من العرب ومن كانوا من أصل أعجمي أنهم يجهلون الفارسية، وهم أن ادركوا شيئاً منها فلا يشير ذلك إلى علم جيد.

وإذا كان لي ولغيري من الأوائل ان "العين" صنعة الليث،^(١) وقد احتفظ هذا بنسخته في بلاد أعجمية، أفما كان له ان يحقق في الأقل فيما هو دخيل؟ كنت أمل ألا يكتفي صاحب العين بأن الكَوْسَج "دخيل، ولم يزد على هذا فيشير إلى أنه في الأعجمية "كُوسَه"، وان العرب حين عربّوه وغيره أتوا بالجيم.^(٢)

٢٥- دغ م:

والمصطلح: الإدغام. جاء في العين ١/ ٤٩.

"التشديد علامة الإدغام".

٢٦- ذل ق:

والمصطلح: الذَّلَق. جاء في العين ١/ ٥٠ في الكلام على الأحرف الستة:

(١) قلت: صنعة الليث، وقد قدّمت في كتابي هذا ما كان رأي أوائل اللغويين من أن نصيب الخليل في "العين" طريقته في ترتيب الأصوات، وطريقته في درج المواد، وما كان له من أجوبة عن سؤالات الليث. وعلى هذا فان تحشية الكتاب كانت لليث وغيره.

(٢) أقول: لم يكن الذين صنفوا في "المعرب" ومنهم أبو منصور الجواليقي أهل علم باللغات غير العربية.

"إِعْلَمُ أَنَّ الحُرُوفَ الذُّلُقَ والشفوية سِتَّة (ر ل ن ف ب م) وإِنَّمَا سُمِّيتَ هَذِهِ الحُرُوفُ ذُلُقًا لِأَنَّ الذَّلَاقَةَ فِي المُنطِقِ إِنَّمَا هِيَ بِطَرَفِ أَسَلَةِ اللِّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ وَهُمَا مَدْرَجَتَانِ هَذِهِ الأَحْرَفُ السِتَّةُ " .

٢٧- رب ع:

والمصطلح: الرُّبَاعِيّ. جاء في العين ٤٨/١ :

"والرُّبَاعِيّ من الأفعال نحو: دَحْرَجَ، حَمَلَجَ، قَرَطَسَ، مَبْنِيّ على أربعة أحرف " .

٢٨- رخ م:

والمصطلح: الترخيم. جاء في العين ٢٢٢/٤ :

"الخِطْيِيّ مُرَحَّمة الياء على بناء خِلْفِيّ، الياء مُرَحَّمة، اسم امرأة " .

أقول: كأني أرى ان هذا لم يكن للخليل ولا لمن دونه، لأن "الخِطْيِيّ" و "الخِلْفِيّ" مقصوران خِشْمًا بالألف مقصورة، فهل يُعقل ان الخليل جعل هذه الألف ياء، ولم يكن للياء موضع سوى الرسم. وعلى هذا فلم يكن هذان الاسمان من باب الترخيم الذي يعني حذف الآخر وهو في باب النداء كقولهم: يا حارٍ والأصل: يا حارث.

٢٩- ز ج ر:

والمصطلح: الزجر.

أقول: انظر: "أدو" . وانظر: العين ٤٨/١ . وفي العين ٣١٠/٣ :

ويراد بالزجر "الأصوات والحكايات تُحَرِّكُ أو آخرها على غير إعراب لازم " .

أقول: و "الزجر" أصوات لزجر الحيوان.

٣٠- زي د:

والمصطلح: الزيادة. جاء في العين ٢٧٤/١ :

وربما أدخلت العرب النون في مثل هذه زائدة وليست من أصل البناء، نحو قولهم: يَعدُّو العِرَضَنِيّ والعِرَضَنَّةَ، وهو الذي يشتق في عدوه، أي يعترض في شقّ.

٣١- س ك ن:

والمصطلح: إسكان. جاء في العين ٣٥٤/٥ :

" فإذا مررت [أي وصلت الكلام] سكّنت النون، لأنّها بِيْنَت في الأصل على التّسكين وصيّرت الهاء تاء كقولك: رأيتُ هَنَّةً مقبلةً، لم تُصَرَف لأنّها اسم معرفة للمؤنث " .

٣٢- س ن خ:

والمصطلح: سنخ. جاء في العين ٢١١/٤ :

" وسنخ الكلمة أصل بنائها.

أقول: وانظر: أس س.

٣٣- ش د د:

والمصطلح: التشديد.

أقول: انظر: دغ م. وهو التثقيب أو التضعيف.

٣٤- ش ذ ذ:

والمصطلح: الشاذ. جاء في العين ٣٢٦/١ :

" وعسر الأمر علينا يعسر عسراً، وهو شاذٌ لاختلاف تصريفه في الفعل والنعت " .

أقول: وصاحب هذه الصنعة حكم بالشذوذ على الفعل " عسر " ، وكأنه رأى ان القاعدة فيها هو على " فَعَلَ " قاصراً هو " فَعَلَ " بفتحتين.

واذا كان هذا الكثير في " فَعَلَ " ولكنه لا يمكن أن يقال فيه ما قال صاحب صنعة العين لأن في طائفة غير قليلة ما ينأى عن هذا.

٣٥- ش ق ق:

والمصطلح: الاشتقاق. جاء في العين ١٠٤/١ :

" واشتقاق العتاهية من " عتَه " مثل كراهية وكراهة " .

أقول: وفي هذا القول أن المصدر يؤخذ من الفعل.

وكان هذا يندرج في مسألة من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. غير أنني أرى أن المصدر والفعل مادة واحدة، أريد أن "ضَرَبَ" و "ضَرَبَ" مادة واحدة، فإذا أردنا معرفة الأصل فإني أذهب إلى الاسم الجامد الذي ليس مصدراً. وقد يكون لي أدلُّ على هذا فأقول مثلاً: إن "الأنس" لا بد أن يلمَحَ فيها "الأنس" أو "الأنسان".

وقد ذهبت في هذا السبيل فكان لي مواد كثيرة تدلُّ على ما أريد.

٣٦- ش م م:

والمصطلح: الإشمام. جاء في العين ٢٢٤/١ :

"والإشمام أن تشمَّ الحرف الساكن حرفاً كقولك في الضمَّة: هذا العمل، وتسكت، فتجد في فيك إشماماً للام لم يبلغ أن يكون واواً ولا تحريكاً يُعْتَدُّ به ولكن شمة من صحَّة خفيفة.

أقول: قد يكون لنا أن ندرك هذا القول الذي لا يشير على قدر الضمَّة في قولنا: هذا العمل، إذا ما كان لنا أن نستعين بالأجهزة الصوتية الحديثة.

٣٧- ش ي ع:

والمصطلح: الشَّيعة. جاء في العين ١٧٠/٧ :

"ويراد بالشَّيعة ما يُسمَّى الإِتباع الذي عرفناه في مادة "وصل" باسم الصَّلَّة.

٣٨- ص در:

والمصطلح: المصدر. جاء في العين ٢٩٩/١ :

"والصَّراعة مصدر الاضطراع بين القوم. والمَطْلَع مصدر من طَلَعَ.^(١)

أقول: وليس في هذا مصطلح المصدر لدى النحاة، وذلك لأنَّ "الصراعة والاضطراع" كلاهما مصدر. وكان العبارة تشير إلى أن "الصَّراعة" أصل في "الاضطراع". ثم أن "المطلع" قد يكون

(١) وقرئ: "حتى مَطْلَع الفجر، وهذه قراءة الكسائي. انظر: النشر في القراءات العشر ٤٠٣/٢، وكذلك القراءات السبع لابن مجاهد ص ٦٩٣.

مصدراً ميمياً للزمان أو المكان.

٣٩- ص ر ف:

والمصطلح: التصريف. جاء في العين ٣٦١/٢ :

" وليس في التصريف مفعالة غير " معزابة " . وجاء في موضع آخر ٣٥٢/١ :

" ولم أسمع من " الزعارة " فاعلاً ولا مفعولاً ولا مصروفاً في وجوه " .

أقول: وعلى هذا كان التصريف في عبارة العين أبنية الكلمة المختلفة.

وأريد أن أقول: لم أجد مصطلح " الصرف " الذي عرفه المتأخرون فقالوا: " النحو والصرف " .

فأما ما ورد في العين ١٥٣/٣ : " ويقال نُصِبَ " سُبْحَانَ اللَّهِ " على الصرف " فلا أراه معنى

الصرف المعروف لدينا، وهل أقول: أريد بنصب " سبحان " كونه مما ألحق بالمصدر؟

٤٠- ص غ ر:

والمصطلح: التصغير. جاء في العين ٥٠/١ :

" فإذا أردت معرفتها [أي ما حذف من حروف الكلمة] فاطلبها في الجمع والتصغير

كقولهم: أيديهم في الجمع، ويديته في التصغير " .

وجاء فيه ١٤٣/٨ : " والتصغير في كتاب سيبويه عبّر عنه بـ " التحقير " .

٤١- ص و ت:

والمصطلح: الصوت. جاء في العين ٥٥/١ :

" وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصَّلْصَلَة والزَّلْزَلَة وما أشبههما، يتوهمون في جِسِّ الحركة ما يقوهمون في جَرَسِ الصوت " .

وجاء فيه ٤٧/١ : " فِدَبَّرَ ونظر [أي الخليل] إلى الحروف كلها وذاتها، فَوَجَدَ مخرج الكلام كله من الخلق، فصَيَّرَ أولها بابتداء أدخَلَ حرفٍ منها في الخلق " .

أقول: وفي قول الخليل هذا أراد بـ " الحرف " الصوت وإن لم يذكره بلفظه.

ونمضي في علم الخليل الذي جعله منهج كتاب العين فنجد فيه ٥١/١ :

"لأنّ الذلاقة في المنطق إنما هي بطَرَفِ أَسْئَلَةِ اللسان والشفَتين، وهما مدرجتان هذه الأحرف الستّة " .

أقول: وواضح ان " المراد بالأحرف هنا أصواتها " .

وقد أجد " الصوت " مع الحرف والصرف كما في الكلام على إبدال الأصل وهو الواو بغيره، (١) قال: " وصارت الواو في " يخاف " ألفاً لأنّه على بناء " عَمِلَ ويعْمَلُ " فألفوا الواو استثقالاً وفيها ثلاثة أشياء: الحرف والصرف والصوت، ورُبِّمَا ألقوا الحرفَ وأبقوا الصرف والصوت، ورُبِّمَا ألقوا الحرف بصرفها وأبقوا الصوت، فقالوا: يخاف وأصله يَخَوْفُ " .

وهل لي أن أقول: أراد بالصّرف الرسم المحذوف وأبقوا " صَوْتَهُ " بمعنى الحركة ؟

٤٢- ض د د:

والمصطلح: الأضداد. جاء في العين ٣٣٥/٥ :

"مَكَدَّتِ الناقَة [بمعنى] نَقَصَ لِبْنُهَا من طول العهد. وَمَكَدَّتِ الناقَة إذا دَامَ لِبْنُهَا فلم ينقطع، فلا أدري أمن الأضداد هي أم لا؟

أقول: ورد هذا في " التهذيب " عن اللّيث.

٤٣- ض م ر:

والمصطلح: الإضمار، جاء في العين ٣٣٠/١ :

"وأما قولك: قد أَسْرَعَ فَإِنَّه فعل مجاوز يقع معناه مُضْمَرًا على مفعولٍ به، أي أَسْرَعَ المشي وغيره، لمعرفته عند المخاطبين، اسْتَعْنَى عن إظهاره فَأَضْمَرَ " .

(١) أفاض النحاة في هذا الإبدال وسمّوه "إعلالاً" وتأويله لديهم سلب العِلّة، وحبّتهم ان الواو والياء ضعيفتان لا تحتملان الحركة.

أقول: وحبّتهم ضعيفة، وان الواو والياء إذا حُرِّكتا فهما صوتان صحيحان [أي صامتان] وليس من اصوات المدّ

[الصائتة].

٤٤- ض ي ف:

والمصطلح "الإضافة". جاء هذا في مصطلح "المجرور". وجاء أيضاً في ٣٥١/٨ "لي حرفان متباينان قُرنا، اللام لام الملك، والياء ياء الإضافة".

٤٥- ط و ع:

والمصطلح: المطاوعة. جاء في العين ٤١٠/٧ :

"وتقول: طَرَدْتُ فُلاناً فَذَهَبَ، ولا يقال: فَاطَرَدَ في الفعل".

أقول: وللاستاذ مصطفى جواد درس مستفيض في "أسطورة المطاوعة" في كتابه: "المباحث اللغوية في العراق" (١)

٤٦- ظ ر ف:

والمصطلح: الظَّرْف. جاء في العين ٤٣/٢ :

"عند" حرف الصفة فيكون موضعاً لغيره، ولفظه نصب لأنه ظرف لغيره".

أقول: وقوله: "الصفة" من مصطلح الكوفيين، فكيف لا يذكره الخليل في كتاب سيبويه؟

٤٧- ع د و:

والمصطلح: التَّعَدِّي. جاء في العين ٢١٠/١ :

"والتَّمَعُّكُ الفعل اللازم، والتَّمْعِيكُ متعدّد، وهو التَّقَلُّبُ في التراب.

٤٨- ع ر ب:

والمصطلح: المُعَرَّب. جاء في العين ٣٥١/٦ :

"والمُعَرَّب هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعية لمعانٍ في غير لغتها. وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوّه به العرب على منهاجها، أو تغييره وتلحقه بكلامها، فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع نحو دِرْهَمٍ وَبَهْرَجٍ.

(١) طبع في مطبعة العاني ببغداد.

وانظر المصطلح ٢٤ "الدخيل" .

٤٩- ع ر ف:

والمصطلح: المعرفة. جاء في العين ٣٩٠/٤ :

"ولا يقال: رجل غدر، لأن "غدر" عندهم في حد المعرفة وإذا كان في حد النكرة صرف فتقول: رأيت غدرًا من الناس" .

٥٠- ع ط ف:

"أو: حرف عَطَف يعطف به ما بعده على ما قبله" .

٥١- ع م د:

والمصطلح: العِمَاد. جاء في العين ٢٠٧/٥ :

"ورجلٌ فقيرٌ وُقيرٌ، جُعِلَ آخره عماداً لأَوَّلِهِ" .

أقول: وهذا سمي في غير كتاب العين "الإتباع" كما في كتاب الفراء "الإتباع والمزاوجة" وكتاب "الإبدال" لأبي الطيب اللغوي وفيه الإتباع. وفي الصحاح لابن فارس باب الإتباع. وقد فُسِّرَ هذا في العين ٤٠٦/٨ فجاء: "فكرهوا أن يكون اسم مغلق فُعِمِدَت الفاء بالميم."

٥٢- ع ن ن:

والمصطلح: العَنَنَةُ. جاء في ابعين ١٣٧/١ :

"والقطعة في طيِّء كالعَنَنَةُ في تميم" .

أقول: وما زالت العننة في نطق العامة في بعض البلدان في المراكز القروية في طائفة من الالفاظ، وأنت تسمع في قرى جنوبي العراق وبلدان الخليج من يجعل "السؤال" سُعالاً.

٥٣- غ ب ر:

والمصطلح: الغابر. جاء في العين ٣٢١/٨ :

"والعرب لا تقول: وَدَعْتُهُ فَأَنَا وَادَعْتُ في معنى: تركته فأنا تارك، ولكنهم يقولون في الغابر: لم

يَدَع.

أقول: و "الغابر" هو الدائم والباقي، ولغة التنزيل من هذا في قوله تعالى:

"فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ" الاعراف ٨٣ .

وفي قول صاحب العين: "لم يدع" فائدة أرادها وهي ان الفعل "وَدَعَ" من الأفعال المهجورة وإن وردت في قراءة خاصة، ولكن الغابر، أي الدائم، يَدَعُ معروف كثير. ومثل "وَدَعَ" "وَذَرَ" الذي بمعنى هجر في الاستعمال بخلاف "يَذَرُ" .

٥٤- غ ري:

والمصطلح: الإغراء. جاء في العين ١٠٦/٤ :

"وَيَّةٌ منصوية إغراء، يقال: وَيَّةٌ فلانٍ اضْرِبْ، ومنهم من يُنَوِّنُهُ، قال:

وَيْهًا يَزِيدُ وَوَيْهًا أَنْتَ يَا زُفْرُ

أقول: قال النحاة في "وَيَّة": إنها اسم فعل أمر نُصِبَتْ على المصدر.

٥٥- غ ل ق:

والمصطلح: مُغْلَقٌ. جاء في العين ٤٠٦/٨ :

"فَكَرِهُوا أَنْ يَكُونَ اسْمٌ بِحَرْفٍ مُغْلَقٍ فَعُمِدَتْ الْفَاءُ بِالْمِيمِ مِنْ "قَم" .

أقول: وقوله: "مُغْلَقٌ" انه بالفاء وحدها بعدها ضمٌ "فو" .

٥٦- غ وي:

والمصطلح: غاية. وجاء في العين ١٤/٥ :

"وَأَمَّا "قَطُّ" فَإِنَّهُ الْأَبَدُ الْمَاضِي، تقول: مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ، وَهُوَ رَفْعٌ، لَأَنَّهُ غَايَةُ مِثْلِ قَوْلِكَ: قَبْلُ وَبَعْدُ"

٥٧- ف خ م:

والمصطلح: التفخيم. جاء في العين ٣١٧/٣ :

"والْحَيَوَةُ كُتِبَتْ بِالْوَاوِ لِيُعْلَمَ أَنَّ الْوَاوَ بَعْدَ الْيَاءِ، وَيُقَالُ: بَلْ كُتِبَتْ عَلَى لُغَةٍ مِنْ يُفَحِّمُ الْأَلْفَ إِلَى الْوَاوِ نَحْوَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ".

وجاء أيضاً: "و (ها) بفخامة الألف وبإمالة الألف: حرف هجاء" في ١٠٣/٤.

أقول: والإفاضة في أمر إمالة الألف في "صلاة" تحسم المسألة.

٥٨- ف ع ل:

والمصطلح: الفعل. جاء في العين ٣١١/١:

"وكلُّ شيءٍ لم يُطَقَّ فهو صَعْبٌ، وأمرٌ صَعْبٌ وَعَقَبَةٌ صَعْبَةٌ، والفعل من كلِّ صَعْبٍ يصْعُبُ صُعُوبَةً".

أقول: وقد يُطَلَقَ الفعل في كتاب العين وسائر كتب اللغة من المعجمات ويُراد به المصدر.

وجاء أيضاً الفاعل والمفعول في ٦٥/٢ ويُراد به بناء فاعل وبناء مفعول أي اسم الفاعل واسم المفعول.

وجاء مراداً فاعل الفعل كما في قول صاحب العين ٣٣٠/١:

"وأما قولك: قد أسرع، فإنه فعلٌ مجاوز يقع معناه مضمراً على مفعولٍ به، أي أسرعَ المشي وغيره.

٥٩- ف ه م:

والمصطلح: استفهام، جاء في العين ٣٥٢/٣:

"هل: حرف استفهام، وكذلك الألف [أي الهمزة]".

٦٠- ق ص ر:

والمصطلح: القَصْر. جاء في العين ٢٩٧/٣، ٢٠٧/٣، ١٠٢/٤:

"وَاللُّحَى مَقْصُورٌ جَمْعُ اللَّحِيَّةِ، وَفِي لُغَةِ اللَّحَى.

أقول: وقد عرض أيضاً لما هو مقصور مثل الهَوَى.

٦١- ق ط ع:

والمصطلح: القطع. جاء في العين ٢٠٩/٤ :

"النَّصَبُ فِي الْحَالِ، وَالْقَطْعُ وَالتَّوَقُّفُ وَإِضْهَارُ الصِّفَاتِ " .

أقول: لم أهتمدِ إلى " القطع " أأريدُ به المقطوع من النعت؟ وأما " إضمار الصفات " فهو إضمار حروف الجرّ.

وأقول: لقد مرّت بنا " العَنَنَةُ " لغة تميم ويقابلها القَطْعَةُ لدى طيء.

٦٢- ق س م:

والمصطلح: القَسَم. جاء في العين ٣٨٧/٣ .

"وَأَيُّمُنْ حَرْفٌ وَضِعَ لِلْقَسَمِ " .

أقول: وكأني أراه جمع "يمين" ، والنون أصل ، وتوهموا زيادتها وقالوا: أَيُّمُ اللَّهِ.

٦٣- ق و د:

والمصطلح: الانقياد. جاء في العين ٥٢/٢ :

"فَإِذَا أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ [الْشَّمِيرَ لِبَعْدُ] " مِنْ " صار في حدّ الأسماء كقولك: من بعد زَيْدٍ، فصار مِنْ " صفة وخفض "بعْدُ" ، لأن " مِنْ " من حروف الخفض. وإنّا صار "بعْدُ" مُنْقَادًا لـ " مِنْ " وتحوّل من وصفيته إلى الاسمية لأنه لا تجتمع صفتان، وغلبة " من " لأنّ " مِنْ " صار صدر الكلام فغلب " .

أقول: ليس لي أن اعزو هذه الحذقة المشكلة إلى الخليل وأراه صنعة كوفي أراد بأدواته أن يبتعد عن ساحة الخليل وسعة نظره.

٦٤- ق ي س:

والمصطلح: قياس. جاء في العين ١٩٠/١ :

"قلت للخليل [والقائل الليث]: من أين قلت: عكش مُهْمَلٌ، وقد سَمَتِ الْعَرَبُ بَعْكَاشَةً؟

قال: ليس على الأسماء قياس " .

أقول: هذا صحيح، وأنت تدركه إذا رجعت لكتاب الاشتقاق لابن دريد فإنه جعله لشرح الأعلام وتفسيرها ففيه مواد كثيرة جعلت مُرَجَّلَةً لا يعرف لها معنى.

٦٥- ك س خ:

والمصطلح: الكسْع. جاء في العين ٥١/٢ :

" يجعله نعتاً للدال، ويكسعه بدالٍ أخرى ثلاثة لينمّ النعت، لأنّ النعت لا يمكن حتى يصير ثلاثة أحرف " .

أقول: وهذا يعني ان الكسْعَ زيادة في الكلمة لاحقة.

٦٦- ك م ن:

والمصطلح: كمين الفعل. جاء في العين ٢١٥/٣ :

" وقوله: مَرْحَباً، أي انزل في الرُّحْب والسَّعة، قال اللَّيْث: وسئل الخليل عن نَصْبِهِ، فقال: فيه كمين الفعل، أراد: انزل أو أَقِم فَنُصِبَ بفعل مضمر، فلما عُرِفَ معناه المراد أُمِيَّتَ الفعل " .

أقول: قول الخليل " كمين الفعل " يشير إلى أن عصر الخليل طوال القرن الثاني لم يشهد فيه تقدُّم المصطلح الفني.

٦٧- ك ن ي:

والمصطلح: الكِنَاية. جاء في العين ١٢٨/٢ :

" كَتَى عن عبد العزيز قيل ان يُظْهَرَه ثم أظْهَرَه، والمراد بـ " الكناية " هنا الإضمار " .

وجاء فيه ٢٠٩/٨ :

" وأما " ذه " و " ذي " و " ذا " في هذه وهذي وهذا فأسماء مكنيات وليس في البناء فيها غير الذال، والألف وغيرها التي بعدها زائدة.

أقول: كأنَّ الفراء أفاد ممَّا قدمه الخليل حين جعل الكناية بمعنى الإضمار، والمكني بمعنى الضمير

والمضمر.

ومن هنا جرى الكوفيين على ما كان عند الفراء.

٦٨- ك و س:

والمصطلح: التكاؤس. جاء في العين ٥١/٢ :

"التكاؤس ونحو ذلك (أي دَاوَدَ يُدَادِدُ، وَيَأْبَبُ يُبَابِبُ)، كذلك من الحكايات المتكاوسة الحروف بعضها على بعض، وقلما هي تُستعمل في الكلام".

أقول: وأريد بـ "التكاؤس" ضم الحروف بعضها إلى بعض فلا يكون منها فائدة.

وقد ذكر السيوطي في المزمهر ما جدّ من مصطلح أهل العروض فقالوا:

المتكاوس من القوافي ما توالى فيه أربع متحرّكات بين ساكتين.^(١)

٧٠- ل ث غ:

والمصطلح: اللَّثَغَةُ. انظر المصطلح "بدل".

أقول: وقد عرض المبرد في الجزء الأول من الكامل فأشار إلى الرُّتَّة والحُكْلَة واللَّثَغَة وغيرها.

وفي التعريفات للجرجاني تعريف باللثغة مفيد.^(٢)

٧١- ل ز م:

والمصطلح: اللازم. جاء في العين ٦٥/٥ :

"نَقَصْتُهُ أَنَا يَسْتَوِي فِيهِ اللَّازِمُ وَالْمَجَاوِزُ".

أقول: وقد جمع في هذه العبارة مصطلح البصريين وغيرهم.

٧٢- ل غ و:

والمصطلح: لغة. انظر المصطلح "بدل".

(١) المزمهر ٢٦٨/١.

(٢) التعريفات (ط. دار الشؤون الثقافية - بغداد) ص ٥٤.

وجاء أيضاً في العين ١/١٦٨ : "العَضْد فيه ثلاث لغات: عَضْد وعُضْد وعُضْد.

أقول: و " اللغة " في هذه العبارة وسائر المعجمات تعني لغة قبيلة أو جماعة أو جهة ما.^(١)

٧٣- ل ي ن:

والمصطلح: اللَّيْن. جاء في العين ٧/٢٤٢ :

" وكلُّ مصدر من المنقوص والمليّن يكون على بناء الصّدى والنّدى، فالنّعت بالتخفيف نحو: صَدِرَ ونَدِيَ " .

٧٤- م د د:

والمصطلح: المَدَد. جاء في العين ٣/٣١٣ :

" وتقول: إنّ هذا الذّهب والفِضة لحَسَن الحِماء، ممدود، أي خَرَجَ من الحِماء المسنون " .

وجاء أيضاً في: ٣/٣١٥ " فإذا جَعَلْتَهُ [الحاء] مَكْدُوتَهُ، تقول: هذه حاءٌ مكتوبة " .

٧٥- م ل ك:

والمصطلح: المِلْك. انظر المصطلح " إضافة " .

٧٦- ن ب هـ:

والمصطلح: تَنْبِيه. جاء في العين ٤/١٠٢ :

" وأما هذا وهاذاكَ فإنّ الهاء فيها دَخَلَتْ للتنبية، وكذاكَ " ها " في قولك:

ها أنا، وها هوذا، وها هوأولاءٍ، في ولا يجوز ها هم هؤلاء " .

وجاء أيضاً في ٤/٣٥٢ : " ألا " معناها في حالٍ " هلا " وفي حال تنبيه، يريد التحضيض في الأولى والعرض، والاستفتاح في الثانية " .

٧٧- ن ح ت:

والمصطلح: النَّحْتُ. جاء في العين ١/٦١ :

(١) وقد تستعمل " لغة " في إخراج كلمة بهيئة تبتعد عن البناء المتعارف المعلوم.

"نَسَبَهَا [أي العَبْشَمِيَّة] إلى عبد شَمْس، فأخَذَ العين والباء من "عَبْد"، وأخَذَ الشين والميم من "الشمس"، وأَسْقَطَ الدال والسين، فَبَنَى من الكلمَتَيْن كلمة، فهذا من النحت.

وجاء فيه أيضاً: "قال اللَّيْث: قلْتُ للخليل: ما مِثْلُ هذا في الكلام (أي حَيَّهْل) أن يجمع بين كلمتين فيصير منها كلمة واحدة؟ قوال العرب: عبد شمس وعبد قيس، فيقولون: تَعَبَشَمَ الرجلُ، وَتَعَبَقَسَ، عَبَشَمِيَّ وَعَبَقَسِي [انظر ٥/٣].

أقول: فَلِمَ لم يكن ما في الجزء الثالث مع ما جاء في الجزء الأول؟ ألا يعني هذا شيئاً من العَبَث أضافه أحدهم ونسبه إلى ما كان من سؤال الليث؟

٧٨- ن ح و:

والمصطلح: النحو. جاء في العين ٧٣/٢:

"وأهل النحو يقولون: النَّعْتُ خلف من الاسم يقوم مقامه".

وجاء أيضاً ٢٠٠/٢ في الكلام على "عَسَى":

وأهل النحو يقولون: هو [أي عَسَى] فعلٌ ماضٍ.

أقول: ولم أرَ مصطلح "النحو" في تراجم النحويين الأوائل مِمَّن عاصروا الخليل ومن خلفه، بل إنني وجدت "العربية" وقد أرادوا النحو الذي عرفناه.

٧٩- ن د ب:

والمصطلح: النُّدْبَةُ. جاء في العين ٣٥٩/٨:

"تقول في الاعتزاء: يالْقَلَانِ، يالْتَمِيم بنصب اللام. إنها لام مفردة، ولكنها تُنْصَب في الذي يُنْدَب، وَتُكْسَر في المندوب إليه. ومثاله ما جاء في الأثر أن عُمَرَ - رضي الله عنه - قال حين طُعِن: يالْلهِ لِلْمُسْلِمِينَ.

٨٠- ن س ب:

والمصطلح: النَّسَب. جاء في العين ٦١/١:

"...نَسَبَهَا [أي عَبْشِمِيَّة] إلى عبد شمس. جاء أيضاً: وناقاة عيسرانيَّة، وهي التي تُرَكَّب قبل أن تُراض، والذكر عيسرانيّ كالمنسوب ".
٨١- ن س ق:

والمصطلح: النَّسَق. جاء في العين ٢١٨/٨ :

"و" ثُمَّ " حرف من حروف النَّسَق لا تُشْرِك ما قبلها بما بعدها، إلاَّ أنَّها تبين الآخر من الأوَّل " أقول: و" النَّسَق " هو العطف. وليس لنا ان نقول: إنَّ النَّسَق " مصطلح كوفي خاص بهم ^(١) فقد استعمله النحاة جميعاً فقالوا: عطف النَّسَق.

٨٢- ن ص ب:

والمصطلح: النصب. انظر المصطلح في " حول " .

وجاء ايضاً في العين ٣٢٧/٧ : " ويقال: سَوَّءٌ لفلان، نصب، لأنه ليس بخير، إنما هو شَتَمٌ ودعاء " .

٨٣- ن ع ت:

والمصطلح: النَّعْتُ. جاء في العين ٢٤٠/١ :

"والمسجدُ الجامع نَعْتُ به، لأنه بجمَع أهله، ومسجد الجامع خطأ بغير الألف واللام، لأن الاسم لا يضاف إلى النَّعْتُ فلا يقال: هذا زيْدُ الفقيه " .

أقول: وليس لنا أن نذهب كما ذهب المخزومي إلى أن النعت خاص بالكوفيين وذلك لوروده في المصادر النحوية كافة.

٨٤- ن ف ي:

المصطلح: النفي. جاء في العين ٣٤٩/٨ :

" لا " : حرف يُنْفَى به ويُجحد " . وجاء فيه أيضاً ٣٦٩/٨ : " وأما لات فلإنها يُنْفَى بها، كما يُنْفَى بـ " لا " .

(١) ذهب المخزومي إلى هذا في " مدرسة الكوفة " (ط. الحلبي في القاهرة) ص ٣١٥ .

أقول: وفي هذا الذي أثبتّه اجتمع النفي والجد، فليس لنا ان نذهب إلى القول: إنّ الجحد خاصّ بالكوفيين.

٨٥- ن ك ر:

والمصطلح: النكرة. انظر المصطلح المعرفة في "ع ر ف" :

٨٦- ن و ن:

والمصطلح: التنوين. جاء في العين ٣٤٦/١ :

"وتقول: جاء القوم عُشَارٌ، وَمَعَشَرٌ، وثَلَاثٌ ثَلَاثٌ إلى عشرة، بغير تنوين .

وقريب من هذا في ٢٩٧/٣ و ٦٣/٨ .

٨٧- ه ج و:

والمصطلح: الهجاء. جاء في العين ٢٤٨/٨ :

"وإنّما نكتب الهمزة على التلّين لأنّها لا حظّ لها في الهجاء والكتابة .

٨٨- ه م ز:

والمصطلح: الهمز. جاء في العين ٢٩٥/٣ :

"وَحَلَيْتُ السَّوِيقَ، ومن العرب هَمَزَه فقال: حَلَاثُ السَّوِيقَ، وهذا غَلَطٌ .

أقول: وهذا العبارة تشير إلى إبدال الياء الأصلية همزة.

وجاء من هذا في موضع آخر في ٣١٣/٣ :

"وتقول: هذا هَمُوكَ ومررتُ بِحَمِيكَ ورأيتُ هَمَاكَ، مُحَقَّفٌ بلا همز، والهمز لغة رديئة .

٨٩- و ح د:

والمصطلح: الواحد. جاء في العين ٢١٦/٢ :

"والعدد اسم جامع للواحد والجمع والثنائية والتأنيث والتذكير .

٩٠- و ص ف:

والمصطلح: الصفة. ما جاء في العين ٤٣/٢ :

"عند": حرف الصفة فيكون موضعاً لغيره، ولفظه نَصَبٌ لآئه ظرف لغيره. لا يكاد يجيء إلا منصوباً لآئه لا يكون إلا صفة معمولاً فيها أو مضمراً فيها فعلاً إلا في حرف واحد".

أقول: ووضع "الصفة" للظرف غير سديد لأننا نجد صانع "العين" يريد بها حرف الجر كما في ٥٢/٢ و ١٦٦/٥ :

"فإذا لم يكن "قَبْلُ وَبَعْدُ" غاية بعدهما نَصَبٌ لأنها "صفة"، وصار "مِنْ" صفة وَخُفِضَ بَعْدُ" لَأَنَّ "مِنْ" حرف من حروف الخفض".

أقول: وإني لأرى اضطراب هذه العبارة الأخيرة التي جُعل فيها الظرف "قَبْلُ وَبَعْدُ" صفة اصطلاحاً، ثم بَرَزَ فيها ان حرف الخفض "مِنْ" صفة أيضاً؟؟

وأنت تجد "الصفة" التي لم نَرها في كُلِّ ما أثبتته سيبويه في الكتاب، وهو كثير جداً، ونحن نراه في مواضع أخرى من "العين" فقد جاء في ٣٨٤/٧ :

"وَنُصِبَ" النهار" على الصفة. والمراد الظرف.

وجاء في ٦٧/٨ : "إلى" حرف من حروف الصفات".

أقول: أليس لي أن أقول: قد كان في كتاب العين صنعة كوفية غير القدر الكبير الذي كان للثي بن المظفر.

٩١- و ص ل:

والمصطلح: الوَصْل. جاء في العين ١٩٥/١ :

"وأُكْتَع حرف يُوصَل به "أجمع" تقوية له "ليست له عربية" مؤنثة "كتعاء، تقول: جمعاً كتعاء، تقول: جمعاً كتعاء، وجمعُ كُتْع، وأجمعون أكتعون، كل هذا تأكيد".

أقول: وكان ينبغي أن يكون هذا في مادة "تبع"، ولكنني سايرت صاحب العين.

وإني لأرى هنا بعض البعد بين اللغويين والنحاة، فالذي جعله اللغويون من باب الإتياع جعله النحاة من باب التوكيد اللفظي.

لقد جاء هذا الإتياع أيضاً في ١٧٢/٨ في قول صاحب العين:

"وَبَظًا" صلة لـ "خَطَا" في قول الأغلب في صفة فرس:

خاطي البضيع لحمه خطًا بظًا

أقول: ولم يرد مصطلح "الوصل" بل حل محل "الصلة" التي هي شيء في اسم الموصول لدى النحاة.

وإني لأذهب إلى قول ثعلب في "مجالسه": قال عنها بعض الأعراب [والكلام على خطا بظًا] في قول الأغلب وقد سئل عن معناها: شيء نتد به كلامنا.

وجاء في العين ٢٦١/٨:

"وَأَمَّا رَمٌّ في قولهم: "مالك عن هذا الأمر حَمٌّ ولا رَمٌّ" فصلة كقولهم: حَسَنٌ بَسَنٌ".

وجاء "الوصل" في مواضع أخرى من "العين" منها في ٢٨٣/١:

"وبعض العرب يصل بـ "بعض" كما يصل بـ "ما" كقول الله -عز وجل-: "فبها رحمة من الله" ^(١)، وكذلك ببعض في هذه الآية "وإن يك صادقاً يُصَبِّكُم بعض الذي يعدكم" ^(٢).

والمراد بـ "الوصل" في هذه العبارة "الزيادة" فقد زيدت "الباء" في الآية الأولى كما زيدت بعض "في الآية الثانية".

ويؤيد كون "الصلة" تعني "الزيادة في عبارة صاحب "العين" قوله في ٨٦/٥ في قوله -تعالى- "لا أقسم" ^(٣) بمعنى أقسم، و"لا" صلة.

وقد أجد في مصطلح صاحب العين سعة تخرج المصطلح عن حده لدى أهل العلم، فقد جاء في

(١) آل عمران ٥٩.

(٢) غافر ٢٨.

(٣) البلد.

٢٠٥/٨ قوله: " فَإِنْ وَصَلَتْهَا [أَيِ إِذْ] بِكَلَامٍ يَكُونُ صَلَةً وَلَا يَكُونُ خَبَرًا، كَقَوْلِ

الشاعر: "عَشِيَّةٌ إِذْ يَقُولُ بَنُو لُؤَيٍّ".

٩٢- وق ت:

والمصطلح: مُؤَقَّت. جاء في العين ٢٠٥/٨:

"وإنَّها جاء "إِذ" سبع كلمات "مُؤَقَّتات" في حِينَئِذٍ وَيَوْمَئِذٍ وَلَيْلَئِذٍ".

أقول: ولم يذهب إلى الظرف أو الصفة.

٩٣- وق ع:

والمصطلح: الواقع. جاء في العين ٢٥/٢:

"وَكُلُّ فِعْلٍ واقِعٌ لَا يُحَرِّكُ مَصَدْرُهُ نَحْوَ الطَّعْمِ، لِأَنَّكَ تَقُولُ: طَعَمْتُ الطَّعَامَ".

أقول: وليس لنا ان نطلق هذا القول قاعدة على صدقه كثيراً لأن ما يبتعد عنه في العربية كثير أيضاً في الأفعال الواقعة "المتعدية".

٩٤- وق ف:

والمصطلح: الوَقْف، جاء في العين ٣١٥/٣:

"الحاء حرف هجاء مقصور موقوف، فإذا جعلته اسماً تقول: هذه حاء مكتوبة"

أقول: وقد اراد بقوله "مقصور" أن يلفظ "حا" باللف.

٩٥- وك د:

والمصطلح: التوكيد. جاء في العين ٢٤٢/١.

"ورجل تجاعة أي كثير التَّمَجُّعِ مِثْلُ عَلَامَةٍ وَنَسَابَةٍ" وقال: يُدْخِلُونَ هذه الهاءات في نعوت الرجال للتوكيد".

أقول: والمراد هنا بناء المبالغة، وفعالة أكثر من فَعَال. وليس هذا هو التوكيد وبابه واسع لدى النحويين.

وجاء في العين:

"وقالوا: مغزابة، تأكيد النعت، وكذلك الهاء في تأكيد النسابة ونحوها، ويقال: أُدْخِلَتِ الهاء في هذا الضرب من نعوت الرجال، لأنّ النساء لا يوصفن بهذه النعوت " .

وفي ١٥٢/٢ : "تقول: جَمْعَاءُ كَتَعَاءُ وَجُمُعُ كُتْعُ" . وفي ١٩٥/١ مثل هذا: وَأَجْمَعُونَ أَكْتَعُونَ، كل هذا تأكيد.

أقول: وقد يكون لنا ان نلاحظ الخلط بين ما هو لغوي وما هو نحوي إذا نظرنا إلى ما جاء في الصلة " وما جاء هنا من " التوكيد " .

وأختم ما كان لي من وقفات وأنا أستقري كتاب العين.

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الباب الخامس العيش في تراث الخليل بن أحمد

ويبدو هذا مما تُسب إليه وهو صنعة آخرين أرادوا أن تتفق صنعتهم فنحلوها أبا عبد الرحمن.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أحياء للتراث أم إساءة له؟!

يُهرع نفر من المحققين إلى نشر نصوص مزيفة، ويمجتهدون في تحقيقها، بل يبالغون ويتجاوزون الحد، ويقدمون بين يدي هذه النصوص مقدمات يبسطون فيها أن النص مزيف، وأنه نسب إلى الخليل بن أحمد ولم يعرف شيء من هذا، ولكنهم يثبتون على غلاف الكتاب شيئاً غير هذا،

فيقول الدكتور رمضان عبد التواب مثلاً: كتاب الحروف للخليل بن أحمد الفراهيدي^(١).

أترأه ظن أن صناعته هذه قد توهم الدارسين أن الكتاب للخليل، وأنهم بذلك يقبلون عليه، ثم هو يروج بعد ذلك، أم تراه قد فعل هذا استجابة لرغبة الناشر التاجر الذي لا يهمه إلا رواج الكتاب؟ ولو أنه أثبت على غلاف الكتاب عبارة: "المنسوب إلى الخليل بن أحمد"، لم يكن للكتاب قيمة، ولم يفز الناشر بما يحقق له الربح.

إن كان هذا أوداك فالرغبة في النشر، أو الشهوة فيه -إن جاز لي هذا أوداك التعبير- ضرب من التدليس.

ولننظر فيما أثبتته الدكتور عبد التواب في "مقدمته"، ثم نضيف إلى ذلك ما وقفنا عليه من فوائد، وكل ذلك يجعلنا نطمئن إلى أن الكتاب لم يكن للخليل، بل هو منحول عليه في حقبة متأخرة.

قال الدكتور رمضان في (ص ١٢ - ١٣):

"والكتاب الذي نشره اليوم في "الحروف" ينسب للخليل بن أحمد، ولم يذكره واحد ممن ترجموا له، فقد ذكروا أنه ألف: الإيقاع، والجمل، والشواهد، والعروض، والعوامل، والعين، والمعنى، والنغم، والنقط والشكل. ولم يعدوا هذا الكتاب من مؤلفاته".

ويضيف الدكتور رمضان:

"ويبدو أن الكتاب مزيف، ومع ذلك، فقد كان معروفاً لدى الإمام أحمد بن محمد الرازي (المتوفى حوالي سنة ٦٣٠هـ) الذي ذكر له روايتين في كتابه: "الحروف"، كما كان معروفاً لدى الحافظ الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨هـ)، الذي اختصره وكتبه بخطه. كما أن الإمام الفيروزآبادي (المتوفى سنة ٧٤٨هـ)، الذي اختصره وكتبه بخطه. كما أن الإمام

الفيروزآبادي (المتوفى سنة ٨١٧هـ)، ذكره في كتابه: "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" وكذلك اقتبس منه الإمام السيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ) في كتابه: "الزهر".

أقول: كأن المحقق الدكتور رمضان قد عزّ عليه بعد قوله: "يبدو أن الكتاب مزيف" أن يذهب إلى آخر المطاف، فراح يعطي نصه المزيف شيئاً من الثقة في ذكره أن الرازي والذهبي والسيوطي قد ذكروا الكتاب، ونقلوا منه.

ولكن المحقق سكت عن خلو كتب المتقدمين الذين جاؤوا بعد الخليل من شيء من هذا النص المزيف، فلم يشر ابن فارس في "معجم المقاييس"، ولا في "المجمل" إلى الكتاب، وليس في جهرة ابن دريد، ولا في "لسان العرب" شيء من هذا الكتاب.

والغريب أن مادة الكتاب المنسوبة إلى الخليل في هذا النص قد أخذها المتأخرون، وقيدوها بالخليل، وأنها لم تُرو عن أحد من معاصري الخليل، ولا من سبقه، أو خلفه بقليل أيضاً، وأكثر من هذا أني لم أجد شيئاً من مادة الكتاب في "كتاب العين" ^(١)!! ثم قال الدكتور رمضان عبد التواب:

"ومن العجيب اختلاف المخطوطات فيما بينها في التعبير، ونسبة البيت الواحد من أبيات الاستشهاد إلى أكثر من شاعر في هذه المخطوطات، بمعنى أن ينسب البيت في مخطوطة إلى شاعر معين، ثم ينسب البيت نفسه في مخطوطة أخرى إلى شاعر آخر، ويروي الفيروزآبادي معظم أبيات الكتاب غير منسوبة إلى شاعر معين".

ثم يسأل المحقق الدكتور رمضان فيقول:

"فمن هو الذي زيف هذا الكتاب؟ وما عمر هذا التزييف؟ إننا لا نعرف ذلك بالطبع، وعلى أية حال، فإن مخطوطة "أياصوفيا" مكتوبة في القرن الثامن الهجري.

هذا إلى أن كلاً من الفيروزآبادي في "بصائر ذوي التمييز" قد أشار إليه "ومرتضى الزبيدي أخذ عنه في 'تاج العروس' جملة واحدة، ذكر فيها بيت من أبيات الكتاب في غير سياق الخليل، هو:

(١) قلت: "لم أجد شيئاً من مادة الكتاب في كتاب العين" وأنا أريد بذلك الأصلين المتأخرين اللذين كانا أساساً لنشرتنا. ومن غير شك أن شيئاً كثيراً من مادة كتاب الحروف وكتاب الجمل لا بد أن كان في بعض نسخ العين القديمة كنسخة ابن فارس ونسخة الأزهرى.

نونان لم يخططها قلم في كل نون من النونين عينان^(٢) فهو ثاني بيتين في : " كتاب فيه ما يقرأ من آخره كما يقرأ من أوله " للتبريزي، نشره كروتكوف في مجلة كلية الآداب والعلوم، ببغداد سنة ١٩٥٨ م.

كما يوجدان في كتاب: " ألف باء " للبلوي (٣٥٢/٢)، وفي كتاب: " إعراب ثلاثين سورة " لابن خالويه.. " .

ويخلص المحقق في آخر مقدمته إلى القول:

" ومع ما يكتنف هذا الكتاب من شك في مؤلفه، فلن يخلو نشره من فائدة..! " .

أقول: إذا كانت المادة مزيفة، ومعاني الحروف " محض خيال " كما قال المحقق، فاية فائدة نلّمسها في المكذوب ؟

شهوة النشر جعلت محقق كتاب " الحروف " لا يثبت على غلافه أنه منسوب منحول

إنه لم يشك في نسبته إلى الخليل بن أحمد؛ وكذلك الإمام السيوطي في كتابه " المزهر " والإمام الرازي في كتابه: " الحروف.. " .

أقول: كأن المحقق الدكتور رمضان أراد بعبارته الأخيرة أن يرمّ بناءه الذي شاده بادئ ذي بدء، فذهب إلى آخر الشوط، فيدّعي نسبة الكتاب، ذلك أن مادة الكتاب تعلن أنه مزيف كما يستفاد من قول المحقق:

" غير أن ما يثير العجب حقاً، هو معاني الحروف نفسها، تلك الحروف التي تطلق على حروف الهجاء كذلك، ففي قليل من الحالات يمكن إيجاد علاقة بين معنى الحرف وأصله، مثل " الباء " و " النون " ومع حروف " الكاف " يمكن ربط معناه: " المصلح للأمور " بالأصل: " كاف " وما عدا ذلك من المعاني فهو خيال محض " .

أقول: لقد اعترف المحقق بأن المعاني المثبتة التي ادّعى نسبتها إلى الخليل " خيال محض " ، وكان عليه أن يقول: إنها كذب وافتعال.

وقال المحقق:

"وأبيات الاستشهاد في الكتاب لا توجد في دواوين الشعراء الذين تنسب إليهم ولا في أي مكان آخر، فيما عدا المفتعل؟

ألم أقل: إنها شهوة للنشر، ولم لم يثبت على الأصول المخطوطة للكتب وهي سبع، وكل منها يختلف عن الآخر في المادة وفي نسبة الشواهد، وفي الطول والقصر.^(٣)

ولننظر إلى شيء من مادة الكتاب دليلاً على أنه من مادة مزيفة لا قيمة لها، ولا يمكن أن تكون من علم الخليل بن أحمد:

الألف: الرجل الحقير الضعيف، قال أوس:

هنالك أنت لا ألف مهينا

وقد علق المحقق فقال:

في (ب وز)^(٤): هو الرجل، وفي (ج): هو الفرد من الرجال، وقيل: هو الرجل الغريب، وفي (هـ): الألف: الفرد من الرجال، وفي (م): الإلف: الرجل الذي لا زوج له، ولكن كل فرد لا شبيه له ألف، وفي "البصائر" ١١/٢ الألف: الرجل الفرد.

أقول: إذا كان هذا هو النص على اختلافه في هذه الأصول المخطوطة، فكيف جاز للمحقق أن يختار كلاماً مغايراً مضاداً من نسخة أخرى، وهو الرجل الحقير الضعيف؟

ثم إن الشاهد قد نُسب في اختيار المحقق إلى أوس، وهو في (ب): أبو نواس، وفي (ج): قيل للسيد الحميري، وفي (هـ): ومنه قول السيد [كذا].

ثم اختلفت الأصول المخطوطة في نص الشاهد، ففي (ج) "فلا ألف هناك ولا مهيب" وفي (هـ): هنالك لا ألف ولا مهيناً، وفي البصائر ١١/٢:

هنالك أنت لا ألف مهين كأنك في الوغي أسد زئير

وفي (ب وز): "وقيل السخي والفرد في الفضائل".

أقول: وهذا الاختلاف والعبث في كل معنى من المعاني المثبتة في الكتاب بحسب ما جاء في

الأصول المخطوطة.

ولا بد من اختيار معنى آخر، وهو ما جاء في "الخاء" :

الخاء: شعر الاست [إذا كثر وطال] قال المنقري:

لأستك خاء في التواء كأنه حبال بأيدي الساقيات المواسح
وقد جاء في تعليق المحقق:

في (ب وز): "هو شعر..."، وفي (م): الخاء: "شحم الاست إذا كثر، وقيل: العجلة؟؟؟"،
وفي "البصائر" ٥٢٠/٢: قال الخليل: "الخاء عندهم: شعر العانة وما حولها"، وفي "تاج
العروس": "والحاء: شعر العانة وما حولها، وأنشد الخليل....".

وأما ما ورد في قائل البيت فالاختلاف كثير، ففي (أ): "المنقر [كذا]، وفي (ه): "وقال بعض
الأعراب"، وفي (ج): "قال الشاعر"، وهو غير منسوب كذلك في "البصائر" ٥٢٠/٢، و"تاج
العروس".

أقول: فكيف اختار المحقق النسبة إلى المنقري؟ سماحه الله.

ثم يأتي الاختلاف في كلمات الشاهد، وهو أمر عجيب، وقد أثبت ذلك المحقق.

وشاهد ثالث أختتم به هذا الموجز، وهو معنى "الذال": "الذال: عُرف الديك، قال الحارث
الشكري:

به برصٌ يلوح بحاجبيه كذالِ الديك يأتلق ائتلاقاً

وقد علق المحقق فقال:

في "البصائر" ٤/٣: "قال الخليل: الذال: عُرف الديك"، وفي "تاج العروس": "وما
يستدرك عليه: الذال: عُرف الديك، قاله الخليل"، وفي (ب): "هو عُرف...".

أقول وينبغي أن نلاحظ أن الفيروز أبادي في "البصائر" والزبيدي في "تاج العروس" يقيدان
المعنى بأنه مما قاله الخليل.

ولكن أليس عجباً ألا تكون هذه الغرائب مذكورة في "كتاب العين" ، وهو صنعة الخليل كما يقال؟؟

ثم إن الحارث اليشكري الذي اختاره المحقق هو في (ب): الحارث البكري، وفي (ج) أبو العسنجور؟؟؟ وهو غير منسوب في "البصائر" ولا في "تاج العروس" . كما أن في نصّ الشاهد اختلافاً كبيراً في هذه الأصول المخطوطة.

أقول: أبعد هذه يحتفل المحقق فينشر هذه الصنعة؟

كتاب الجمل في النحو:

تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

أقول: هكذا كان مثبتاً على غلاف الكتاب؛ وعلى هذا يكون الكتاب من مصنفات الخليل بن أحمد.

نعم لقد ورد في مصنفات الخليل كما ذكر في المصادر كتاب "الجمل" والسؤال الآن: أهذا هو كتاب الجمل الذي أشارت إليه المصادر؟

أقول: لنحتكم إلى ما قاله المحقق الدكتور فخر الدين قباوة في مقدمته:

"أما بعد، فهذا كتاب الجمل في النحو المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي. أضعه بين أيدي العلماء والباحثين، ليكون مادة للدراسة والتوثيق والتحقيق، ولسوف يثير، فيما أرى، أمواجاً مختلفة أو متناقضة من الآراء والتوجيهات والنقد والتقويم، تساهم في توضيح معالمه وتسديد منعطفاته، وحل مشكلاته".

أقول: كأن المحقق أدرك أن هذا الكتاب غريب في مادته، بعيد عما عرفناه من علم الخليل في كتاب سيبويه. اتصف بأقوال وتوجيهات نحوية لا نجدها في غير هذا الكتاب، بل إن جل ما فيه قد عبّر عنه النحاة المتقدمون والمتأخرون بشيء آخر يبتعد عما في هذا الكتاب.

ثم إن المحقق قد أثبت في هذه الأساطير أن الكتاب منسوب إلى الخليل بن أحمد، فما باله لم يثبت

مثل هذا على غلاف الكتاب؟ أكان هذا الضرب من التمويه بل التدليس إرضاءً للناس، وعملاً على ترويح الكتاب؟

ليس هذا من أمانة العلم، ولا من شرائط النشر العلمي.

ولنتابع المحقق في مقدمته التي أراد أن يرمّ بناءها، فتوجه إلى الدارسين مستعيناً بهم على اجتياز العقبات والمعضلات والتحديات^(٥).

هذه كلها "تفتح أبواباً جديدة في ميادين المصطلحات والمذاهب والتوجهات والأحكام النحوية، وفي الهياكل الكبرى التي سيطرت على تاريخ النحاة والنحو".

أقول: هذا الذي ذهب إليه طالبأعون الدارسين يعقبه من تبعات نسبة باطلة، ألم يفتن إلى أن هذا الجديد الغريب في مادة الكتاب ومصطلحه لا يوجد في "كتاب" سيوييه، وهو من مصادرنا في معرفة علم الخليل في النحو واللغة؟؟.

لقد احتفل المحقق بهذا الكتاب المنسوب إلى الخليل فقال:

"فهو يحمل بين دفتيه ألواناً من العلم متميزة، ولمحات من الفكر قديمة مستجدة، ونماذج من النظرات النحوية واللغوية والبيانية تقتضي الاهتمام والتدقيق والتحرير".

أقول: لقد أطال الدكتور قباوة إطراء كتابه هذا وتجاوز الحد، وأهل الرأي يتفقون على غير هذا، لأن ما في الكتاب بعيد عن علم النحاة المتقدمين، فأين هي "النظرات النحوية واللغوية والبيانية" التي تقتضي الاهتمام والتدقيق والتحرير؟.

وقال الدكتور قباوة:

"وهو، وإن كان يعتمد منهجاً تقليدياً في تصنيف موضوعات الإعراب، يضع لهذه الموضوعات إطاراً خاصاً، وتفرعات متشعبة متشجرة [أراد مشتجرة] تمثل مرحلة عريقة في القدم لفهم معاني النحو وجزئياته وكيّاته".

أقول: كأن كل هذا أراد به المحقق أن يقلل من قولته: "المنسوب إلى الخليل"، فراح يشير إلى دقائق تميّز بها الكتاب.

ثم قال المحقق: وهو ينسب إلى الخليل إمام العربية تبويبات غريبة متميزة وتقسيات وتوجيهات وأحكاماً وأقوالاً ومصطلحات، ما كان يعرفها المؤرخون والدارسون.

أقول: هلا كان هذا دافعاً إلى أن يتحقق "المحقق"، وينظر في "كتاب سيبويه" فينظر علم الخليل ومصطلحه؟.

ويقول المحقق في هذا: "وهو يقدم عدداً وافراً من المصطلحات في الإعراب والصرف والأدوات، بعضه غريب كل الغرابة لا تجد له صدقاً في الكتب القديمة والمتأخرة والمعاصرة، وبعضه الآخر حمل في التاريخ دلالات انقرضت، أو خالفت ما عرفه النحو في مذاهبه واتجاهاته ورجالاته".

أقول: كان على المحقق أن يفطن إلى هذا، فيتأكد أن هذا الكتاب ليس للخليل، وأنه منحول عليه، ذلك أن المصطلح النحوي واللغوي غير وافٍ في كتاب سيبويه، وأن الخليل كان يصل إلى المادة النحوية بجملته يشرح بها ما يريد، فأين هذا من هذه الكثرة في المصطلح.

ولنا دليل آخر على أن الكتاب مصنوع محمول على الخليل نلتمسه فيما ذكر المحقق:

"وهو يورد مجموعة من الآيات الكريمة، في صور لا نجدها فيما وصل إلينا من تاريخ القراءات والتفسير للقرآن الكريم، وقد بدا لي أن بعض تلك الصور هو من أوهام المصنّف أو النساخ أو المستملين، فرددته إلى طريق الصواب، وأن البعض الآخر توجيه نحوي ليس له في القراءات نصيب".

أقول: وهل يعقل أن يكون هذا من علم الخليل؟؟

ويقول المحقق أيضاً: "وهو يروي عشرات من الشواهد الشعرية في مسائل الإعراب، ومعاني الحروف لا تجد لها موثلاً، أو لروايتها مصداقاً في مصادر النحو والشعر ومراجعها المعروفة، أو لا نستطيع تحقيق نسبتها، أو تحديد أصحابها من الشعراء والرجّاز".

أقول: وهذا كله لم يثن المحقق عن عمله وعن نسبة الكتاب إلى الخليل، وهو محض ادّعاء وكذب.

ويقول المحقق أيضاً: " وهو يبسط أحكاماً وتوجيهات في الإعراب واللغة والبيان تفتقدها كتب النحو والمعجمات وأمّهات المطوّلات والخواشي ومصادر علم العربية في تاريخه ودراساته وتقويمه " .

أقول: ومع هذا يبقى هذا المجموع المزيف من صنع الخليل كما يريد المحقق ؟ ؟

ويلتمس المحقق المعاذير ليظل متشبهاً بنسبة الكتاب إلى الخليل، فهو يقول:

" وهو يضم في طياته نصوصاً وعبارات وشواهد، لا يشك في أنها مقحمة ألحقها علماء أو نساخ أو قراء بعد الخليل، فالتبست بالأصل، وتناقلها الناسخون على أنها جزء منه في حين أنه يضم أيضاً أمثالها عرفت في مذهب الخليل وأقواله... " .

ويقول المحقق، فيشير إلى مسائل، هي حجة عليه، كقوله:

"...فبيما أنت مشدود إلى دقة التقسيم، وعمق الفكرة، وجلاء المعنى، وبعد النظر...، إذ يفجؤك ظواهر من الاضطراب والتداخل والإحالة، وبينما أنت مأخوذ بالتعريفات الدقيقة الوافية، والأحكام والقيود المسددة.. إذا بك تصدمك شذرات من التعريفات السطحية العامة الفضفاضة، والأحكام القاصرة.. وبينما أنت مستسلم لفصاحة الكلم ونصاعة العبارة... إذ تتعثر بتتواءات من تلويّ التعبير، وهلهلة النسخ، وانقطاع السياق " .

أقول: كأن الكتاب قد أخذ على المحقق تفكيره وجهده، فهو على عواره مشغول به، وهو يقول:

" وقد كنت كلما قرأت هذا الكتاب منذ اطلعت علي عام ١٣٨٠ هـ تحضرني هذه المعالم والمعاني متلاحقة تثقل كاهلي ونفسي وتشعرنني بالقصور والعجز أن أتصدى لها، أو أسير في ركايبها، فإذا بي أعرض عنها، وفي ضميري وخزات وحسرات " .

ويبدأ المحقق شيئاً آخر يدعوه " تاريخ حياة الكتاب " أشار فيه إلى أن المؤرخين والمعاصرين قد ازوروا عن الكتاب، واستخفوا به وأحاطوه بالطعن في النسب، والتوهين للسبب، والازدراء للقيمة العلمية.

وقال: " فأول ما يصادفك من هذا الكتاب مشكلة الاختلاف في اسمه. إنه يسمّى الجمل، وجمل

الإعراب، ووجوه النصب، والمحلى، وجملة آلات الإعراب، وجملة آلات العرب، وجملة آلات العرب، والنقط والشكل.... " .

أقول: إن هذه الاختلافات الغربية تدفعنا إلى أن نقول: إنه إذا كان الكتاب هو " الجمل " فكيف تخلو مادته عما يتصل بالجمل، وليس فيه من الجمل، إلا قول صاحبه في فاتحته:

هذا كتاب فيه " جملة الإعراب " ،... ثم يشرع بوجوه النصب، وهي كثيرة، يتبعها وجوه الرفع، ثم وجوه الخفض، ثم يتحول إلى جملة الألفات، وهي أنواع الألفات كآلف الوصل، وآلف القطع، وآلف الاستفهام...

ويتحول إلى اللامات، كلام الصفة، ولام الأمر، ولام الخبر، ولام الجحود، و...

ويأتي بعد ذلك جمل الهاءات كهاء السنخ!! وهاء التنبيه، وهاء التأنيث، و...

وكذلك التاءات والواوات، واللام ألفات، والفاءات والنونات والباءات، ومواد أخرى.

وجملة هذا كله لا يتصل بـ " الجمل " في أي وجه من الوجوه.

ويقول المحقق:

" ولعل مصدر نبذ الناس له أن أقدم خبر وصل إلينا عنه يتضمن الطعن في نسبة وزعزعة الثقة به. فأول ما نلقاه من تاريخ " كتاب الجمل " هذا هو موقف ابن مسعر المفضل بن محمد المعري (ت ٤٤٢ هـ) . فهو في ترجمة لأبي بكر بن شقير (ت ٣١٧ هـ) يقول عنه: " له كتاب لقبه الجمل، وربما نُسب هذا الكتاب إلى الخليل، يقول فيه: النصب على أربعين وجهاً، والرفع كذلك " (٦)

وقال المحقق: " وعندما ترجم ياقوت (ت ٦٢٦ هـ) للخليل بن أحمد الفراهيدي، ذكر له بضعة مصنفات فيها " كتاب الجمل " (٧) غير أنه كان قد عرض من قبل، لترجمة ابن شقير، وأورد فيها ما يلي:

" قرأت في كتاب ابن مسعر أن الكتاب الذي ينسب إلى الخليل، ويسمى الجمل، من تصانيف ابن شقير هذا " .

ولما ترجم صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) لابن شقير جاء في تلك الترجمة: ' ويقال: إن

" الجمل " الذي ينسب للخليل هو لابن شقير " (٨) .

وكان السيوطي (ت : ٩١١) يعتمد في ترجتي الخليل وابن شقير على معجم الأدباء...

ويقول في حديثه عن ابن شقير: " وقرأت في طبقات ابن مسعر أن الكتاب الذي ينسب للخليل، ويُسمى المحلّي، له " (٩) .

ويأتي صاحب " روضات الجنات " محمد بن باقر الخونساري (المتوفى سنة ١٣١٢هـ) فيورد مصنفات الخليل كما هي عند ياقوت والسيوطي (١٠) .

وصاحب " الذريعة إلى تصانيف الشيعة " محمد محسن يشير إلى أن الكتاب هو " النقط والشكل " ، وهكذا يستمر الشك في الكتاب ونسبته إلى الخليل لدى بروكلمان، والزركلي، زكحالة، ورمضان ششن.

وقطع محمد خير الحلواني بعدم نسبة الكتاب إلى الخليل مستدلاً على ذلك بما فيه من إشارة إلى كتاب مختصر للمؤلف نفسه، ومن نقله عن الخليل وعمن -عاصره، أو تأخر عنه، ومن ألغاز نحوية ومصطلحات كوفية أو غريبة، واضطراب وتخليط لا يمكن أن يصدر عن الخليل (١١) .

أقول: والكلام في تراث الخليل، وأمر نسبته إليه كثير جداً.

ثم عرض المحقق للنسخ المخطوطة، وما تشتمل عليه من شجون في اختلاف النص، وأسماء المخطوطات، وغير هذا.

ولكن المحقق مضى في التحقيق، والدرب وعرموحش، لكنه اجتهد فأكثر من تعليقاته خدمة للنص، وهذا هو دأبه في أعماله الجادة الأخرى.

ثم أتى إلى نص الكتاب، فأجد فيه وجوه النصب (ص ٣٤-١١٦)، وفيها الغرائب التي تتسم بخصوصية لا نعرفها في كتب المتقدمين والمتأخرين.

ومن هذا: " النصب من قطع " مثل قولك: هذا الرجل واقفاً، وها أنا ذا عالماً، قال الله جل ذكره: ﴿وهذا صراط ربك مستقيماً﴾. الأنعام ١٢٦: ، ومثله: ﴿وهذا بعلي شيخاً﴾. هود: ٧٢. على القطع، وكذلك ﴿وله الدين واصباً﴾. النحل: ٥٢، وكذلك: ﴿هو الحق مصدقاً﴾. فاطر ٣١: .

معناه: وله الدين الواصب، وهو المصدق.....، فلما أسقط الألف واللام نصب على قطع الألف واللام.

أقول: وهذا كله لدى النحاة من باب "الحال"، ولم أجد من قال بهذا القطع، والحال غير الصفة. وجاء في الكتاب: "النصب من التفسير" وكأنني أرى هذا مما جاء في "كتاب العين" وأدعي أنه من كلام الخليل.

قولهم: عندك خمسون رجلاً، نصبت رجلاً على التفسير وكأنني أرى هذا مما جاء في "كتاب العين"، وأدعي أنه من كلام الخليل.

أقول: والتفسير مصطلح كوفي بمعنى التمييز، وكيف يكون هذا من علم الخليل؟. ومن الغريب أن مصطلح التمييز، كقولهم: أنت أحسن الناس وجهاً، وأسمحهم كفاً غير ما ورد.

وفي الكتاب: النصب بـ (حتى) وأخواتها.

أقول: القول إن حتى ناصبة هو قول الكوفيين، وأما الخليل وبعده سائر البصريين فعندهم أن النصب بـ "أن" مضمرة بعد "حتى".

وفي الكتاب إشارة إلى الكوفيين في باب النصب بالتعجب فقد ورد:

"... وحدّ التعجب ما يجده الإنسان من نفسه عند خروج الشيء من عادته. وقال الكوفيون: هذا لا يقاس عليه، لأن قولهم: ما أعظم الله لا يجوز أن نقول: شيء عظم الله، فرد عليهم قولهم. وقال البصريون: لا يذهب القياس بحرف واحد.

أقول: الكلام على الكوفيين والبصريين لا يمكن أن يرد في نص الخليل بن أحمد؛ ذلك أن الكوفيين لم يكن لهم وجود حقيقي في حقبة الخليل بن أحمد.

ونقرأ في هذا الكتاب من الغرائب التي يشوبها الإغماض قول صاحب الكتاب:

"والنصب الذي فاعله مفعول، ومفعوله فاعل".

مثل قول الله - عز وجل - في آل عمران: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرَ﴾. الآية ٤:

والحدثان للمخلوقات لا للكبر. ومثل قوله: ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ مريم: ٤٠ والحدثان للشيب لا للرأس، ومثله: ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة " القصص: ٧٦ معناه: لتنوء العصبة بمفاتحه. وقيل: معنى " تنوء " تذهب ومن خصوصيات هذا الكتاب، وطريقة تأتية إلى الغرض شيء ينفرده، ومنه:

" والنصب من اسم بمنزلة اسمين " مثل قولهم: أتاني خمسة عشر رجلاً، ومررت بخمسة عشر رجلاً، وضربت خمسة عشر رجلاً. صار الرفع والنصب والخفض بمنزلة واحدة؛ لأنه اسم بمنزلة اسمين، ضم أحدهما إلى الآخر، فألزمت فيها الفتحة التي هي أخف الحركات. وكذلك نقول في معد يكرب، وحضر موت، وعلبك بمنزلة اسمين. أقول: ليس العدد المركب كأحد عشر وأخواته كالاسم المركب مزجاً.

خاتمة

وأنت تجد في هذا الكتاب من الغرائب والخصوصيات ما لا نعرفه من كلام الخليل الذي أثبت في كتاب سيبويه، ولا تسأل عن الموضوع المصنوع من الشواهد، ولا عن التفسير والتأويل الذي لم نعرفه لدى النحاة متقدميهم ومتأخريهم، فكيف ندعي نسبته إلى الخليل؟

وهذا نظير ما عرضنا له في الكتاب الأول، وهو " الحروف " ، وكلاهما مزيف منحول محمول على الخليل، وفي الذي بسطناه من كلام المحققين وكلام أهل العلم وما عرضناه من تعليقاتنا دليل كاف على ما ذهبنا إليه.

وهذا يدفعنا ألا نغلو، فتجاوز العلم حياً في النشر وتسويد الصفحات.

وأقول أيضاً: إذا كان الكتابان للخليل، وهما في علم العربية، في نحوها وصرفها ومعجمها، فقد كان لي أنا الذي حققت كتاب العين مع محقق آخر أن أقف في بعض مادته مما يتصل بما جاء في هذين الكتابين اللذين حملا على صاحب " العين " لم يكن لي هذا، فأذهب إلى أنها مزيفان كما ذهب المحققان. (١٢)

الهوامش:

- ١- كتاب الحروف: رسالة صغيرة تقع في خمس عشرة صفحة، ولم تكن هذه الصفحات مادة الكتاب، بل كان نصيب الكتاب من كل صفحة دون الثلث، وأكثر من ثلثي الصفحة هو تعليق المحقق الدكتور رمضان. وهذا يعني أن نص الكتاب لا يتجاوز أربع صفحات.
- والكتاب جزء من مجموع "في الحروف" نشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض سنة ١٤٠٢ هـ -١٩٨٢ م.
- ٢- أقول: هذا بيت من بيتين من أبيات الألغاز المصنوعة، والبيت الأول، وهو ما كنا نحفظه ونحن صبية شداة، هو:
عينان عينان لا عينان باصرة
في كل عين من العينين نونان
وبعده نونان نونان.....
-
- ٣- أشار المحقق إلى وجود نص الكتاب في "أعيان الشيعة" للسيد محسن الأمين، وقد نبه المحقق إلى ذلك صديقه الدكتور حاتم الضامن.
- أقول: وصاحب "أعيان الشيعة" يدرج الخليل بن أحمد بين رجال الشيعة، وهو يذكر النص بهذه المناسبة. والذي نعرفه من مصادرنا أن الخليل كان شديداً في السنة، وأنه تحول إلى الأباضية فردّه إلى السنة صاحبه أيوب السخيتاني.
- ٤- الأحرف هي رموز المخطوطات التي اختارها المحقق.
- ٥- التحديات، كلمة رزقت الشيوخ، واستعملت جمعاً لتقابل الأصل الأجنبي الذي ترجمت عنه. وليس لنا أن ندخل "التحديات" و"الأطر" في الكلام على مادة نحوية قديمة.
- ٦- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين، ص ٤٨-٤٩، ومعجم الأدباء ١١/٣، وبغية الوعاة، ١/٣٠٢.
- ٧- معجم الأدباء، ٧٤/١١.
- ٨- الوافي، ٣٤٩/٦.
- ٩- بغية الوعاة، ٣٠٢/١.
- ١٠- روضات الجنات، ٣/٣٩٣.
- ١١- المفصل في تاريخ النحو العربي، ٢٥٨/١-٢٦٢.
- ١٢- ولاني بيقين أن ما ورد في هذين الكتابين قد استفيد مما ورد في "كتاب العين" من إضافات ليست من علم الخليل.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الباب السادس

وهو ما أضفته إلى الكتاب:

التحقيق من تحقيق "كتاب العين"

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

كلمة في التحقق من كتاب العين^(١)

أقول: قرأت هذا العمل الحسن الذي اجتهد في بسطه استاذ لبناني هو الدكتور شربل داغر، فوجدت صاحبي هذا من أهل الجدد من أعدّهم بعض المجتهدين اللغويين في عصرنا. لقد تابع في مسيرته في هذا المبحث أولئك المبامين من "البستانيين" و "الشدياق" وغيرهم ممن تفتخر بهم العربية.^(٢)

وقلت من يكون هذا المجتهد "الشربل الداغر" ؟ إني لأعرف ممن سُمّي بـ "داغر" الأستاذ خليل اسعد داغر، ولكنني لم أدرك "شربل"، وأظنني لو كنت أملك "اللباب" للقداحي أو غيره لكان لي فائدة.

وأعود إلى "عمله" لأقول: إن جلّ ما كان لأخي الأستاذ شربل كان في "أوراقي" التي تحدّثت عنها في أول كتابي هذا، وليس لي منها الآن إلا اليسير، وقد تركتها حبيسة في داري ببغداد.

وقلت: لما كان صاحبي قد سبقني إلى نشر "فوائده" فليس لي أن أبسطها بحسب ما كان لي في "أوراقي"، فقد رأيت أنه سبقني وهل لي أن أضمها إلى كتابي هذا، مشيراً إلى أنه أربى علي في هوامشه "الغنية البارعة".

ولو تبيأ لي أن أحصل على أوراقه فأبسطها هنا لكان للقارئ أن يقول: إن الأستاذ شربل قد ذكر هذا، وكأني سطوت على ما نشره. وقد يكون هذا من قالة السوء العاشرين. لقد عدلت عن هذا فعمدت إلى ما كان من بحث الأستاذ شربل فأدرجته في الكتاب.^(٣)

(١) بحث للاستاذ الدكتور شربل داغر من الأساتذة اللبنانيين نشره في مجلة مجمع اللغة العربية المصري في الجزء الخامس والسبعين ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

(٢) قد يكون لي أن أستبعد عن هذه الفئة المجتهدة الأب لويس شيخو الذي غلبه هواه وكان لي "منجده" و "شعراء النصرانية" ما أستظهر به.

(٣) لقد عز علي أن أدرج عامة ما حرّره الأستاذ داغر بسبب ما اعتورني من مشكلة الطبع التي لم أجدها لدى العاملين، فكان لي هذا الذي بين أيدي القراء.

التحقيق من تحقيق "كتاب العين"

للأستاذ الدكتور شربل داغر

لم يحظ تحقيق "كتاب العين"، الذي قام به الباحثان العراقيان، الدكتور الراحل مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، بما يستحق من عناية المتابعين التراثيين والنقاد والعلماء، على الرغم من قيمة هذا الحدث الكبير في تاريخ اللغة العربية.

فهل تملك العربية اليوم معجمها الأول؟

وهل وصلنا فعلاً كتاب الخليل "الوحيد" في نسخته الجديدة المطبوعة؟

وهل تنهى عملية التحقيق هذا الخلاف الذي شارك فيه العلماء القدامى والمحدثون، حول نسبة هذا الأثر الفريد؟

لا نبالغ إذا قلنا: إن "كتاب العين" يمثل حالة سجالية في تاريخ التأليف اللغوي والمعجمي العربي، منذ الخبر الأول عن تأليفه حتى أيامنا هذه، وهو سجال يعود إلى ظروف تأليفه من جهة، وإلى أسبقيته الحاسمة والتميزة في التأليف المعجمي العربي من جهة ثانية. لن نستبعد تفاصيل هذا السجال أو حججه، فالشواهد القديمة والتأليف الحديثة في هذا الشأن عديدة^(١)، وسنكتفي بتبيين أسباب الخلاف وبواعثه، وهي على ما تبيننا، نعود إلى ظروف تأليفه في المقام الأول.

١- "كتاب العين" - المشكلة:

٢- قد يكون مفيداً ذكر الرواية التي ساقها ابن النديم في "الفهرست" عن "كتاب العين"، وهي التالية: "قرأت بخط أبي الفتح بن النحوى صاحب بنى الفرات، وكان صدوقاً منقراً بباحثاً - قال أبو بكر بن دريد: وقع بالبصرة "كتاب العين" سنة ثمان وأربعين ومئتين قدم به وراق من خراسان، وكان في ثمانية وأربعين جزءاً فباعه بخمسين ديناراً، وكنا نسمع بهذا الكتاب التاسع والعاشر من مجلة "البلاغ"، ثم توقف عن إكمال ذلك بعد تكليف وزارة الإعلام العراقية

(١) يمكن العودة إلى كتاب "الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث" للأستاذ محمد حسين آل ياسين لانتخاذ فكرة واسعة ومفيدة عن هذا السجال، ص ٢٣٠ - ٢٤٥.

للدكتورين مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي بتحقيق الكتاب^(١) فما مشكلة الطبعة المحققة؟

كابد غير محقق مشاكل تحقيق هذا المعجم بسبب تأخر المخطوطات الزمنية من جهة، واشتمالها على أغلاط وزيادات عدد من النسخ، من جهة ثانية. فمخطوطات الكتاب، التي عمل عليها المحققان، تعود في أقدمها إلى سنة ١٠٥٤ هـ، أي أنها مخطوطات متأخرة. كما لاحظ الدكتور الفرطوسى في دراسته "محاولة جديدة في دراسة كتاب العين" في سنة ١٩٨٧، وجود مخطوطات أخرى من "كتاب العين" أشار إليها الباحثون فيما مضى، مثل بروكلمان والدكتور صلاح الدين المنجد، دون أن يشير إليها المحققان.

وكانت كلما صدرت محاولة لتحقيق هذا الكتاب يتناوب عليها الدارسون بالنقد مبينين أخطاءها وعثراتها، حتى إن الدكتور درويش توقف عن تحقيقه للمعجم، كما أسلفنا القول، بسبب من هذه المصاعب. ماذا بإمكاننا أن نضيف على هذا النقاش حول المشكلتين؟ هل نقول على زيادة حجج أى على دحض بعضها أو تصحيح بعضها الآخر؟ في هذا السجال، الذي أفاض فيه القدماء ولا يخلو منه أى كتاب عربي حديث عن النحو أو المعاجم؟

يمكننا أن نثير السؤال، بداية، ذلك أن هذه الحجج - فيما عدا القليل منها - تقوم على الظن والتخمين، ليس إلا: فهذا "يربأ" بالخليل أن يقول هذا القول، وذاك يجد أن "التخليط" (على ما يعتقد وجوده في المعجم) لا يمكن أن "يُنسب" للخليل، إلى غير ذلك من "التجاذبات"

١ - طريق شمر بن حمدويه (٢٥٥ هـ الذي رواه عن محارب، عن الليث)،

٢ - طريق ابن درستويه (٢٨٥ هـ الذي أخذه عن حفيد الليث، عن الليث)،

(١) استقيننا هذه المعلومات من دراسة الدكتور صلاح مهدي الفرطوسى "محاولة جديدة في دراسة كتاب العين" المنشورة في "مجلة المجمع العلمي العراقي"، ص ٢٤٢-٢٦٩.
ونجدها أيضاً في كتاب آل ياسين المذكور أعلاه وكان الشيخ محمد حسين آل ياسين قد تنبه عند نشره لمقدمة كتاب العين "لهذه المشكلة، فشد في عنوان دراسته على أنه نشر المقدمة "في أرجح نصوصها"، مجلة "البلاغ" بغداد، العددان التاسع والعاشر في ١٩٧٧.

٣- طريق أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، الذي أخذه عن علي بن إبراهيم القطان، عن أبي العباس أحمد بن إبراهيم المعداني، عن أبيه إبراهيم بن إسحاق، عن بندار بن لزة الأصفهاني ومعروف بن حسان، عن الليث).

٤- طريق أبي علي الغساني (الذي أخذه عن الحافظ أبي عمرو بن البر، عن الوارث بن سفيان، عن القاضي منذر بن سعيد، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن ولاد النحوي، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن مهدي، عن أبي معاذ عبد الجبار بن يزيد، عن الليث).

٥- طريق ابن خير الأشبيلي (٥٧٥هـ)، الذي أخذه عن أبي الحسن يونس بن محمد بن مغيث، عن القاضي أبي عمر أحمد محمد بن يحيى بن الحذاء عن أبي القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جبرون، عن القاضي منذر بن سعيد البلوطي، عن أبي العباس أحمد بن الوليد المعروف بولاد التميمي النحوي، عن أبيه محمد بن الوليد، عن أبي الحسن علي ابن مهدي، عن أبي معاذ عبد الجبار بن يزيد، عن الليث).

وصلتنا، إذن، من هذه الروايات^(١) الطريق الأولى، طريق أبي معاذ عبد الله ابن عائذ التي عمل عليها المحققان العراقيان. ولكن، ألا نجد، والحالة هذه في المظان مواد عائذة إلى الروايات الأخرى؟ وردت في عدد من المعاجم العربية القديمة نُقُولٌ عِدَّةٌ عن "كتاب العين"، كما في "التهذيب" للأزهري أو في "لسان العرب" لابن منظور وفي غيرها، وقام المحققان بمقارنة هذه النقول مع النسخ التي اعتمدوا عليها، ما عزز الثقة بطبعتها المحققة.

هذا ما قمنا به بدورنا، مع معجم لم يتناوله المحققان بالمراجعة، وهو "مقاييس اللغة"، لابن فارس (٣٩٥هـ)، ووجدنا أن هذه العودة نافعة، لأن ابن فارس يصرح في بداية معجمه بتعويله على نسخة من "كتاب العين" وصلته عن طريقين آخرين، من الطرق الستة المعروفة لـ "العين"، وهما طريقا بندار بن لزة ومعروف بن حسان: فأعلاها (أي المعاجم العربية) وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، المسمى "كتاب العين" أخبرنا به علي بن إبراهيم القطان، فيما قرأت عليه،

(١) أفاض الباحث في تبين سند الرواية في كتابه المرسوم بـ "الدراسات اللغوية عند العرب"، ص ٢٣٠ - ٢٣٤، كما رسم "شجرة" تبين طرق هذه الرواية.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المعداني، عن أبيه إبراهيم بن إسحاق عن بندار بن لزة الاصفهاني، ومعروف بن حسان عن الليث، الخليل^(١).

أي أن مقارنة مادة "مقاييس اللغة" المأخوذة من "كتاب العين" بالمادة الواردة في طبعة "العين" المحققة تمكننا من زيادة الوثوق بهذه الطبعة، وتخفف بالتالي من الهوة الزمنية الواقعة بين النسخ "المتأخرة" التي أعتمد عليها المحققان العراقيان، ونسخة ابن فارس التي تعود إلى القرن الهجري الرابع على الأقل، فما كانت الخطأ المعتمدة؟

عدنا إلى المداخل اللفظية في معجم ابن فارس، مكتفين بمراجعة نقول "العين" الواردة في جزء وحسب من أجزائه الستة، هو الجزء الأول، وقارناها بما يقابلها في المعجم الخليلي المحقق. فما كانت حصيلة المقارنة؟

يمكننا القول، في صورة إجمالية، إن حصيلة المقارنة أتت إيجابية. فغالب ما ينقله ابن فارس عن الخليل موجود في "كتاب العين" في طبعته المحققة.

ولبيان ذلك سنقدم بعض الأمثلة:

- ينقل ابن فارس عن الخليل التعريف التالي: "الألّ والألّان: وجهها السكين ووجهها كل عريض" (ص ١٩)، ونقرأ في "العين" التعريف نفسه: "الألّ والألّان: وجهها السكين، ووجهها كل شيء عريض" (٣٦٢/٨).

- نقرأ في المدخل اللفظي "أمّ" الدلالات التالية المأخوذة من "كتاب العين" حسبما يوردها معجم ابن فارس: "قال الخليل: كل شيء يُضم إليه ما سواه مما يليه فإن العرب تسمى ذلك الشيء "أمّا". ومن ذلك أمّ الرأس وهو الدماغ، (ص ٢٢)، وهو ما نقع عليه في كتاب الخليل: "أعلم أن كل شيء يُضم إليه سائر ما يليه يُسمى ذلك الشيء "أمّا". فمن ذلك أمّ الرأس وهو الدماغ" ٨/٤٢٦.

يمكننا أن نعدد الأمثلة، وهي ترد في ما يزيد على ٢٠٥ مدخلاً لفظياً في الجزء الأول من مقاييس

(١) "معجم مقاييس اللغة"، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد بن هارون ستة مجلدات، طبعة دار الخليل، بيروت، ١٩٩١، إلا أن تاريخ طبعته الأولى يعود إلى سنة ١٣٦٦هـ.

اللغة " ، لكن ابن فارس لا يورد في بعض الأحيان المادة المنقولة حسبما نجدها في طبعة " العين " المحققة، إلا بعد أن يجرى عليها في بعض الأحيان شيئاً من التعديل الصياغي، كما تبين ذلك في هذه الأمثلة:

- يفيد ابن فارس في المدخل اللفظي " أَزَّ " : " قال الخليل: الأَرُّ حمل الإنسان الإنسانَ على الأمر برفق واحتمال " (١٣) ، وهو ما نقع عليه في " العين " علة هذه الصورة: " الأَرُّ: أن تحمله على أمر برفق واحتيال حتى يفعله كأنه يزين له " (٣٩٨/٧).

- يفيد ابن فارس أيضاً: " قال الخليل: الأَرُّ غليان القدر (ص ١٣-١٤) وهو ما نجده في كتاب العين في القول التالي: " وأَزَّتْ القدر أزيزاً، واثترت اثرازاً " (٣٩٨/٨).

يمكننا أن نعدد الأمثلة، إذن، إلا أنها لا تفيدنا الشيء الكثير، سوى أن الاختلافات طفيفة للغاية مما لا يحسب له أي حساب في طرق التأليف القديمة، حيث كان النساخ لا يتأخرون أحياناً عن استعادة النقول في صورة صياغة مخالفة بعض الشيء. إلى هذا، فإن " مقاييس اللغة " لا يستعيد وحسب المتن التعريفي لعدد من الألفاظ، بل الشواهد الشعرية المتصلة بها في " كتاب العين " .

كما وجدنا في الجزء الأول من " مقاييس اللغة " معطيات أخرى تؤكد التشابه (حتى لا نقول التطابق التام) بين روايته عن " كتاب العين " والرواية الأخرى المدرجة في طبعة " كتاب العين " . يؤكد ابن فارس في غير مدخل لفظي من المجلد الأول أن هذا اللفظ أو ذاك " مهمل " في " كتاب العين " ، وهو ما نجده مهماً فعلاً في الطبعة المحققة:

- يفيد " مقاييس اللغة " ، على سبيل المثال، في المدخل اللفظي " أبث " :

والقول التالي: " قال الخليل: أُمُّ التناثف أشدُّها وأبعدها " (ص ٢٣) .

- سقط من مادة " أبر " في " كتاب العين " القول التالي الوارد في " مقاييس اللغة " في ما أخذه من الخليل حسب قوله: " قال الخليل: المآبر النائم، واحدها مثير. (قال النابغة، ديوانه، ص ٤٠) .

وذلك من قولٍ أتاك أقوله

ومن دَسَّ أعداءٍ إليك المآبرا

ويقال إنه لذو مثير، إذا كان نهاماً.

قال:

ومن يك ذا مثير باللسان ن يسنح به القول أو يبرح " (ص ٣٥)

- سقط من مادة "أبو" القول التالي: "قال الخليل: الأب معروف، والجمع آباء وأبوة. قال: أحاشي نزار الشام إن نزارها أبوة آبائي ومني عميها

قال: وتقول: تأبيث أباً....." (ص ٤٤)؛ ثم يستعيد معجم "مقاييس اللغة" ما نجده في كتاب العين " (٤١٩/٨).

- سقط في مادة "أمت" القول التالي: "قال الله تعالى "لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً". قال الخليل: العوج والأمت بمعنى واحد" (ص ١٣٧)، وهو ما نجده ناقصاً في "كتاب العين" (ص ٨/١٤١)، حيث ترد الآية القرآنية دون الجملة التالية "العوج والأمت بمعنى واحد"، غير أن معناها وارد في "كتاب العين": "والأمت: أن تصب في السقاء ماءً فلا تملؤه فينشني، وذلك الشني هو الأمت، وإذا ملئ وتمدد فلا أمت فيه" (١٤١/٨).

- سقط من المدخل اللفظي "أنف" القول التالي: "قال الخليل: أنف اللحية طرفها، وأنف كل شيء أوله" (ص ١٤٧)، ولا يرد في مادة "كتاب العين" (٣٧٧/٨-٣٧٨)، إذ سقط منه الجزء الأول من التعريف وحسب، أي: "أنف اللحية طرفها".

- سقط من مادة "أيي" القول التالي: "قال الخليل: خرج القوم بأيتهم أي بجماعتهم" (ص ١٦٨) الذي لا نجده في "كتاب العين".

- سقط من المدخل اللفظي "بعو" القول التالي: "قال الخليل: هو (أي البعو) العارية، يقال استبعيث منه، أي استعرت. وقال أيضاً: البعُو القَمَرُ، يقال بعوته بعواً: أي أصبت منه وقمرته. قال: صحا القلب بعد الإلف وارثد شأوه وردت عليه ما بيعته ثم اضُرّ (ص ٢٢٦)، ما لا نجده في "كتاب العين" (٢٦٥/٢).

كيف جرى الأمر؟ أهى هفوات الناسخين العروفة؟ ربما، ولا سيما أن العدد محدود بالمقارنة مع

عدد عمليات الأخذ الواردة في مواده ٢٠٥ مدخلاً لفظياً. ولعلنا نجد هفوات الناسخين في هذا الأمر أيضاً: وهو أننا نقع على مواد "أول" في "مقاييس اللغة" في مدخلين لفظيين في "كتاب العين": "إيل" (٣٥٨/٨) و "أول" (٣٦٨/٨).

الفروقات محدودة في نهاية المطاف، بين الرواية عن "كتاب العين" التي أخذها ابن فارس في معجمه "مقاييس اللغة" عن طريق بندار بن لزة ومعروف ابن حسان، وبين رواية أبي معاذ عبدالله التي تعود إليها الطبعة المحققة من "كتاب العين". كما يمكننا أن نزيد على هذه المقارنة سنداً قوياً، هو في أساس ما قام به المحققان العراقيان، وأدى إلى عودتهما المستديمة عند تحقيق الكتاب إلى نقول المعاجم الأخرى عن "العين"، فلا يخلو مدخل لفظي في الطبعة المحققة من إحالات ومقابلات مع مواد "تهذيب اللغة" أو "لسان العرب" أو غيرهما، وهي معاجم أخذت رواية "العين" عن طرق أخرى.

نخلص من هذه المقارنة إلى الاستنتاج التالي: في الحد الأدنى تكون الرواية (أو النسخة) واحدة بين ما وصل إلى ابن فارس ونسخ المحققين المتأخرة، ما يسد ثغرة في هذه الفترة الزمنية الطويلة، وفي الحد الأعلى قد تكونان روايتين (أو نسختين) مختلفتين بما يسد الفترة الزمنية من جهة وما يعزز وثوقنا في النص نفسه. إن مجموع هذه التحققات أدت بنا إلى الاقتناع التالي: إن الطبعة المحققة توافق، على الرغم من بعض السقطات المحدودة والتعديلات الصياغية الطفيفة عدداً واسعاً من الروايات القديمة، والتي تعود في الأكيد منها إلى ما قبل سنة ٢٤٨هـ.

يبقى أن نضيف ملاحظة على الطبعة المحققة، وهي التالية: "إن عودة المحققين العراقيين إلى بعض المعاجم ساعدتهما في تحقيق طبعتهما وفي عزو الأبيات الشعرية إلى أصحابها"، ولكن دون أن يعودا في صورة تامة إلى "مقاييس اللغة"، ولو فعلاً ذلك لوجدنا من المعطيات ما عزز طبعتهما وما مكنتهما أيضاً من نسبة بعض الأبيات الشعرية إلى مؤلفيها. فالمحققان يوردان بعض الشواهد الشعرية دون هوية قائلها، التي لم يقعوا عليها في النسخ التي اعتمدوا عليها، ولا في المعاجم الأخرى التي عادا إليها، فيما وقعنا على عدد من الأبيات المنسوبة في "مقاييس اللغة" والواردة في طبعة "العين" دون عزو. وهي الأبيات التالية:

- في المدخل اللفظي "ألك" (ص ١٣٢)، في معرض الأخذ من كتاب الخليل، يرد الشاهد

الشعري التالي للنابعة وهو دون عزو في طبعة " العين " :
أَلْكُنِي يَا عَيْنُ إِلَيْكَ قَوْلًا سَتَحْمِلُهُ الرُّوَاهُ إِلَيْكَ عَنِّي
(من قصيدة له ديوانه، ص ٧٨ من خمسة دواوين العرب).

- وفي المدخل اللفظي " أني " (ص ١٤١) يرد الأمر نفسه، لا بل يرد البيت في صورة غير تامة، وهو للكُميت، حسبما يؤكد محقق كتاب " مقاييس اللغة " ، وهو البيت التالي:
قِفْ بِالْـدِيَارِ وَقُوفَ زَائِرٍ وَتَأَنَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَاحِرٍ
وَيُرَوِّى وَتَأَنَّى " (ويمكن العودة إلى بعض أبيات هذه القصيدة في " الأغاني " .
١٥ : ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤) .

- وفي المدخل اللفظي " أنث " (ص ٢٤٤/٨) يورد المحققان العراقيان بيتاً، بل يكملانه تبعاً لوروده في " التهذيب " وفي " لسان العرب " ، ويعزوانه لذي الرمة، إلا أن محقق " مقاييس اللغة " يذهب مذهباً آخر (ص ١٤٤) ، وهو أن البيت للفرزدق، وأنه يشبه في جزء منه وحسب بيت ذي الرمة، ويورد البيت الصحيح:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ضَرَبْنَاهُ تَحْتَ الْأُنْثَيْنِ عَلَى الْكُرْدِ
(البيت في " ديوان الفرزدق " ص ٢١).

- هذا ما نفع عليه أيضاً في مادة " أم " في " كتاب العين " ، (٤٢٥/٨)، إذ يوردان بيتاً لأبي ذؤيب من دون عزوه، في حين توصل إلى ذلك محقق " مقاييس اللغة " (ص ١٦٦)، وهو في ديوان أبي ذؤيب، والبيت هو التالي:

فَلَمَّا اجْتَلَاهَا بِالْأَيَّامِ^(١) تَحِيَّزَتْ ثَبَاتٌ عَلَيْهَا ذُلُّهَا وَاكْتِئَابُهَا
وغير ذلك أيضاً من الشواهد الشعرية.

٣ - حجج الشك في " كتاب العين " :

عالجنا فيما سبق الروايات القديمة لـ " كتاب العين " بالمقارنة مع الطبعة المحققة، وتبيننا التوافق بينها.

(١) الأيَّام (بكسر الهمزة): الدخان.

أي أننا عملنا للتحقق من التطابق (ولو مع بعض التعديلات الصياغية أو السقطات القليلة) بين المخطوطات "المتأخرة" التي اعتمد عليها المحققان والنبذات الواردة عن "العين" (وعن روايات أخرى) في مصادر قديمة إلا أن عملنا - على ضرورته - لا يجيب، ولا يتعرض لاساس المشكلة، وهو التالي: قام غير عالم من علماء العربية، بعد اطلاعهم على الروايات التي أشرن إليها، بنقد عدد من المواد المدرجة فيها، نافين نسبتها إلى الخليل. فما هذه الملاحظات؟

يمكننا أن نتحدث عن ثلاثة أنواع من الملاحظات:

١ - ورد نقول في "العين" عن رجال بعضهم من تلاميذ الخليل، أو من الأعراب الذين ما عرفوا في البصرة، بل في خراسان.

٢ - ورد اجتهادات في النحو لا تناسب عقلية وأحكام مدرسة البصرة، بل أهل الكوفة.

٣ - "تخليط" الشراح والنساج في مواد "العين".

إذا كان بعض هؤلاء العلماء تحدث عن "تخليط" في الكتاب، فإننا لا نستطيع معرفة هذا التخليط في صورة حصرية، بل تقديرية وحسب.

وتناولوا في ملاحظاتهم هذه على الأرجح الإشارة إلى الزيادات التي يضيفها الشراح والنساج على متن نسخهم، والتي لا تلبث أن تزداد على المتن الأصلي مع تقادم الوقت، وهي حالات معروفة في عدد من الكتب العربية القديمة^(١). ويسوق الدكتور عبد الحميد الشلقاني في معرض دراسته لمعجم الخليل، تفسيراً مقنعاً لهذه الظاهرة، وهو أن عدداً من الوراقين كانوا ينجحون إلى هذه الزيادات "رغبة في إضافة ما يروونه مفيداً إلى صلب الكتاب، ومعجم كالعين كان يقبل الإضافة إلى مادة من مواده دون أن يؤثر ذلك فيما قبل هذه المادة أو بعدها، فإذا أعيد نسخ الكتاب ضمت هذه الشروح والتعليقات عليه"^(٢). التفسير مقنع، ولكن هل أصابت "كتاب العين" هذه الزيادات؟

- الإجابة ممكنة إذا توصلنا إلى الرد على السؤالين، أي معرفة ما إذا كانت هناك زيادات تعود

(١) مثل كتاب "النوادر" لأبي زيد الانصاري الذي يتضمن زيادات تربو على النصف من مادته، وتعود لرجال عاشوا بعده، أو مثل كتاب "النوادر" للأصمعي الذي أنكر أكثر من ثلاثة، بعد أن وقعت بين يديه نسخة منه، على ما ورد خبره في "تهذيب اللغة" ٥/١.

(٢) في "رواية اللغة"، دار المعارف القاهرة ١٩٧١.

فعلاً لرجال غير متوقعين في "كتاب العين" أو لآراء مناقضة لما قاله الخليل، أو لاحقة على عصره.

- وكان أبو بكر الزبيدي (-٣٧٩هـ) هو الذي دفع إلى النقاش هاتين المسألتين^(١)، مستنكراً وجود نقول في "كتاب العين عن الأصمعي (-٢١٣هـ) وأبي عبيد (-٢٢٤هـ)، وابن الأعرابي (-٣٢١هـ) وغيرهم، ممن أخذوا العلم عن الخليل أو كانوا شباباً عند وفاته. كما استغرب عدد من الباحثين المحدثين - بعد عمل الأب الكرملي على الجزء الأول من "كتاب العين"، أو بعد نشر الدكتور درويش للجزء الأول أيضاً- ورود نقول عن سيبويه، وهو تلميذ الخليل، أو عن أبي سعيد والضيرر وابن أحمد وعرام وزائدة ومبتكر وحساس "ممن لا يعرف لهم ذكر في البصرة"، بحسب عبارة الدكتور يحفل "كتاب العين" بمادة غزيرة تعين:

١- المصادر اللغوية التي استقى منها الخليل (أو غيره) مادة الكتاب.

٢- المصادر الأدبية والدينية والعلمية والأخبارية التي نهل منها.

إلى غير ذلك من المصادر التي تصل المعجم بزمان ما، والتي تحده في نهاية المطاف.

هي تحده بقدر ما تحدده، أي تعين الأفق لـ "كتاب العين". فنحن نقوي، عند مطالعة هذه النبذات ذات الحمولات "الإبلاغية" من عزوها (أو عدم عزوها) إلى عصر الخليل، في صورة قد لا تكون قاطعة في كل الأحوال، إلا أنها لا تخلو -حتى مع النبذات الصعبة- من احتمالات الترجيح والتحقيق.

٣- أصول "العين" اللغوية

يشتمل "كتاب العين" على مادة لغوية غنية، يمكن اعتبارها العملية "الأولى" و"الأوسع" في جمع اللغة العربية منذ القرن الثاني الهجري، فبعد أن اقتصر الأمر، مع أبي عمرو بن العلاء وقبله، على جمع ألفاظ "نادرة" أو غير معروفة، أو على جمع ألفاظ في موضوع بعينه، قام مشروع "كتاب العين" على جمع ألفاظ العرب، فلا "يخرج عنها شيء" إلا أن عملية الجمع هذه لم تكتف بالجمع الدلالي، بل تعدته إلى رصد أحوال العربية تبعاً لـ "لغاتها" أي لألسنة القبائل في الجزيرة العربية.

(١) وردت الأخبار عن هذه الملاحظات في مقدمة "مختصر العين"، وفي المزهري ص ٤٢/١ - ٤٣.

يحفل المعجم ببادء واسعة عن " اللغات " فما وقعنا عليها في أي معجم^(١)، لا بل في التأليف اللغوية بـ " لغات القبائل " لعرضها من جهة، ولتبين صلتها بما عرف من جمع الخليل للغة في البوادي

(١) نبذات من " لغات " القبائل في " كتاب العين " :

" غير أن العامة قد لهجوا بالخطأ: يقولون: فلان أدى للأمانة، وهذا في النحو غير جائز " (٩٨/٨) ؛ " الفاثور عند العامة الطسّست خان، وأهل الشام يتخذون خواناً من رخام يسمونها الفلثور وفي بعض كلام أهل الشام، والجزيرة: على الفاثور الواحد يعني على البساط الواحد والقوثير: الجواسيس، الواحد فاثور في كلام أرمينية " (٢٢١/٨) ؛ " و " فعيل لغة لسفلى مضر: نعيم وبئيس يكسرون الفاء في فعيل إذا كانا حرف الثاني منه من حروف الحلق الستة، وبلغتهم كسر الضّئين ودهين، وأما من كسر كثير، وأشياء ذلك من غير حروف أحلق فلأنهم ناس من أهل اليمن، وأهل الشحر يكسرون كل فعيل وهو قبيح إلا في أحروف الستة، وفيها أيضاً يكسرون صدر كل فعل يجيء على بناء عمل نحو قولك: شهد وسعد " (٣١٧/٧) ؛ " الجنبخ " تعني: في لغة مضر " الضخم " ، وفي لغة أهل السواد " الخاية الصغيرة " ، وفي لغة أهل اليمن " القملة الضخمة " (٣٢٨/٤) .

- ربعة " الكشكشة: لغة لربيعة، يقولون عند كاف التانيث: عليكش، أليكش، بكش بزيادة شين " (٢٦٩/٥) ؛ ربعة تغلط فتقول: الذّكر للذكر " (٣٢٧/٥) ؛ ٩١/١ وغيرها.

- الكلوة: لغة في الكلوية لأهل اليمن " (٤٠٥/٥) ؛ " الجرين: موضع البيدر بلغة اليمن " (١٠٤/٦) ؛ الشرف: (٢-٣/٦) ؛ " المّصد: لغة في الضّمّد، في بابه، يمتنية، من المقلوب " (٢٤/٧) ، " لأن العرب في بعض لغاتها يكسرون الفاء في كل موضع عنه حرف من حروف الحلق نحو الضّئين والبعر والشّهد، زناس من أهل اليمن مما يلي الشّحر وعُمان يكسرون " فاء " فعيل كله فيقولون: للكثير " كثير " (١٧٥/٧) ؛ " الزب: اللحية... وزب الصبي: معروف، وهو ذكرّه بلغة أهل اليمن " (٣٥٣/٧) ؛ " المتزم: السن بلغة أهل اليمن " (٧/٣٧٦) ؛ " الذّظ: الشّل بلغة أهل اليمن " (٥/٨) ؛ " البّرت: الفأس بلغة اليمن، والبرت بلغتهم السّكر الطبرزد " (١١٨/٨) ؛ " التلم: مَسَقُّ الكراب في الأرض بلغة اليمن " (١٢٦/٨) ؛ وأهل اليمن يقولون: وآتيث وواسث وواكلث ونحو ذلك، ووامرث من أمرث، وإنّا يجعلونها وواو على تخفيف الهمزة في يواكل ونحو ذلك (٨/١٤٧) ؛ " اليتم، بلغة اليمن: نظير البركة " (٣٨٨/٨) وغيرها.

- الحميرية: العكسوم الحمار بالخيرية " (٣٠٥/٢) ؛ الحجمة: العين بلغة حمير " (٨٨/٣) ؛ كل جارية هيّخة " (٣/٣٥٩) ؛ " الشخاف: اللبن بالحميرية " (١٧٢/٤) ؛ " الحमित: اسم السمين " (٢٤٢/٤) ؛ " القباية: المفازة بلغة حمير " (٢٢٩/٥) ؛ " الشنكرة: الإصبع بالحميرية " (٣٠١/٦) ؛ " ألبكت بلغة حمير: المهز المضمون " (٨/١٢٥) ؛ " وفي لغة حمير: ثب معناها: أقعد، والثواب: الفِراش بلغتهم " (٢٤٦/٨) ؛ " البِل: ألباح بلغة حمير " (٣١٩/٨) ٢٣٤/٣ وغيرها.

- الفارسية: " دهليز: إعراب دليج، فارسية " (١٢٣/٤)، المهندس " مشتق من الهندزة، فارسي صيرت الزاي سيناً " (١٢/٤)، " السختيت: كلمة يُقال: هي فارسية اشتقها رؤية من " سخت "، فقال (ديوانه، ص ٢٦).

هل ينجيني حلف سختيت أو فضة أو ذهب كبرت (١٩٤/٤)

" طرخان اسم رجل بلغة خراسان " (٢١٦/٤)، اليارجان، كأنه فارسي " (١٧٤/٦)، " الجوم: كأنها " فارسية " الفارسية (٢٤٣/٧)، " التنين: نجم من نجوم السحاب وليس بكوكب ولكنه بياض خفي يكون جسده في شيع من الماء وذنبه دقيق أسود فيه التواء يكون في البرج السابع من رأسه، وهو ينتقل كتنتل الكواكب للجواري، واسمه بالفارسية " هشت أير " في حساب النجوم، وهو من النحوس " (١٠٨/٨) وغيرها.

العربية من جهة أخرى.

٤ - (أ) "لغات" القبائل:

في غير مادة في المعجم نقع على تعريفات تبين لنا الاختلافات في نطق هذا اللفظ أو ذاك، أو في

- السريانية: "القندع والقندع، بالفتح والضم: الديوت وأظنها بالسريانية" (٢٩٦/٢)؛ "متى... وهي بلغة السريانية متى" (١١٢/٨) وغيرها.

- الحبشية: "طه" في الحبشية تعني "يا رجل" (٣٤٧/٣).

- إفريقية: "الزقوم" يعني الزبد والتمر في لغتهم (٩٤/٥) وغيرها.

- عن الخفجيين: ٢٠٦/١،

- عن العراق: "الشقلة: كلمة حيرية عبادية لهج بها صيارفَةُ العراق في تعبير الدينار" (٢٤٥/٥)؛ "الْبَرْزَنكان:

كساء أسود بلغة العراق" (٤٣٢/٥)؛ "الأسجاج والأستيج من كلام أهل العراق" (٤٩/٦)؛ "النشوط: كلمة

عراقية، وهو سمك يُمَقَّرُ في ماء وملح" (٢٣٨/٦)؛ والبراني "الواحدة: بَرْثِيَّة" (٢٧٠/٨)؛ ٣٥٥/١؛ ٣٣٨/١؛

٣٩/٣ وغيرها.

- السواد: "الجُنُح: الخابية الصغيرة بلغة السواد" (٣٢٨/٤)؛ "الكُسُيج: الكُشب في لغة أهل السواد" (٥/

٤٢٤)؛ "الشَيْلَم والشَّالَم، بلغة أهل السواد: الزَّوان، يكون في البر" (٢٦٥/٦)؛ ٢١٧/٦ وغيرها.

- البصرة: "وأهل البصرة في أسواقهم يُسمون الساقى الذي عليهم بالماء: بِيَابًا" (٤١٥/٨)؛ "الخلال: البلح

بلغة أهل البصرة" (١٤١/٤)؛ ٤٤/٣؛ ٣٨٥/٣؛ ٢٥٥/٤؛ ٤١١/٥؛ ٢٨٦/٦ وغيرها.

- أهل الشام "الأندر: البيدر في لغة أهل الشام" (٢٢/٨) وغيرها.

- حصص: "وبعض أهل الشتم بثقله (القَرْبوس) وهو خطأ" (٢٥٢/٥)؛ ٢٢/٣ وغيرها.

- الجوف: "شَلَطُ السكين بلغة أهل الجوف" (٢٣٦/٦)؛ ٣٠٧/٣ وغيرها.

- عُمان: "الهَيْس: أداة الفَدَّان بلغة عُمان" (٧٢/٤)؛ "البَرْخ: الجرف بلغة عُمان" (٢١١/٤)؛ "البَرْخ:

الرخيص"؛ وشرح ملابسات الشراء في أسواق عُمان (٢٥٦/٤)؛ "الْوَيْج: خشبَةُ الفَدَّان بلغة عُمان" (١٩٧/٦)؛

غيرها.

- لغة الأنباط: "قومٌ ينزلون سواد العراق" (٤٣٩/٧)؛ "قوله: لا دهل، أي لا تخف بالنبطية"، و"القمل":

الجمل" (٩٦/٢)؛ "العَسْطوس من رءوس النصارى بالنبطية" (٣٢٧/٢)؛ "الهَبُور: الشعر النابت بالنبطية"

(٤٧/٤)؛ ١٥٦/٤ وغيرها.

- القبطية: "البُهار - قبطية - ثلاث مئة رطل" (٤٨/٤) وغيرها.

- مصر: "هَيْت" من كلامهم (٨١/٤)، "الْوَهين" أي مساعد الأجير في العمل، في كلامهم (٩٣/٤)؛

الفقوس: البطيخ، بلغة مصر: الذي لم ينضج" (٦٧/٥)؛ "القيطون: المُخدع في لغة البربر ومصر" (١٠٣/٥)

وغيرها.

- قصة عن اختلاف معنى "راعنا" بين المسلمين (أي: أجعل علينا سمعك)، وبين اليهود (أي، وهو عندهم

شتم) ١١٩/٢؛ "هيا شراها، بالعبرانية: ياحي ياقيوم" (٤٠١/٣)؛ "الهَبُول: الهباء المنبث بالعبرانية، ويقال:

بالرومية، وهو الذي تراه من ضوء الشمس في البيت" (٨٩/٤)؛ "المَرْجَبَةُ المقلّاع بالعبرانية" (١١٤/٦)؛ "نشرين:

اسم شهر من شهور الخريف بالرومية" (٢٤٥/٦)؛ "النَّطاسى والنَّطيس: العالم بالطب، وهو بالرومية النسطاس،

وما أنطسه" (٢١٥/٧) وغيرها.

تعيين دلالته، بين قبيلة وأخرى. فـ "الفائور" يتخذ، على سبيل المثال، غير دلالة بمجرد أن تنتقل من منطقة لغوية إلى أخرى: فهو يعني "عند العامة" (عامة البصرة على الأرجح) "الطست خان"، وعند أهل الشام "خوانا من رخام" وعند أهل الجزيرة "البساط" وعند أهل أرمينية "الجالسوس" لا أقل من أربع دلالات مختلفة، بل متباينة، للفظ واحد! هذا ما نقع عليه في الفاظ أخرى مثل "الجنبخ"، التي تعني "الضخم" في لغة مضر، و "الخاوية الصغيرة" في لغة أهل اليمن.

يمكننا أن نعدد الأمثلة، وهي تقدم لنا عينات واسعة مما جمعه الخليل ودرسه من لغات القبائل، لا سيما في الحجاز ونجد وتهامة، فالخليل يجمع الألفاظ ويوردها دون أن يعلنها أحيانا. ذلك أنه "سمعها" وحسب أو "بلغته"، وفق ما يصرح في غير مادة لفظية. وتفيدنا هذه المواد في تبين عدد من خواص لغات القبائل، في مبانيها وتراكيبها النحوية والصوتية والدلالية. فالخليل يميز بين لغة الأعراب في البادية ولغة "العامة" أو "الأمصار"، في هذا العهد بدا لنا مفيداً التوقف أمام هذه المادة اللغوية المتصلة.

"وهذا الباب مهمل عند الخليل" (ص ٣٣)، وهو ما لا نجد له أثراً في طبعة "كتاب العين".

- يؤكد ابن فارس: "أما الخليل فذكر في بنائه (تور) ما ليس من أصله، وهو استوأرت الوحش" (ص ٣٥٧)، وهو ما نجده فعلاً في طبعة "العين": "استوأر (...) الوحش" (١٣٤/٨).

- مثال آخر: "وذكر الخليل كلمة غيرها أصح منها، قال: التوع كسرك لباً أو سمناً بكسرة خبز ترفعه لها" (ص ٣٥٩)، وهو ما نجده فيب "طبعة العين": "التوع: كسرك لباً أو سمناً بكسرة خبز ترفعه بها" (٢٢٦/٢).

إلى هذا يقع ابن فارس على تعريفات يوردها على أنها للخليل، كما ترد في مخطوطته عن "كتاب العين". ولكن يشكك في صحة نسبتها للخليل، كما في قوله هذا: "وفي الكتاب المنسوب إلى الخليل: يقال تركتُ الحبل شديداً، أي جعلته شديداً. وما أحسب هذا من كلام الخليل" (ص ٣٤٦) ! بل، هو من كلام الخليل، حسبما يرد في الطبعة المحققة: "تقول: تركتُ الحبل شديداً، أي: جعلته" (ص ٣٣٦/٥).

إذا كان العدد الأغلب من نقول ابن فارس عن نسخة " العين " التي كانت بحوزته، نجده في الطبعة المحققة من معجم الخليل، فإننا نقع على عدد يسير منها لا نجد له أثراً في الطبعة المحققة.

وهو عدد يسير فعلاً إذ لا يتجاوز ستة مداخل لفظية من أصل ٢٠٥ مدخلاً (ما يوازي ٨, ٢ بالمئة من مجموع النقول).

فابن فارس ينسب إلى الخليل أقوالاً لا نجد لها، أي هي ساقطة، من الرواية التي تستند إليها الطبعة المحققة، وهي المداخل اللفظية التالية: "أل" (ص ١٨)، و "أرط" (ص ٨١)، و "أرث" (ص ٩٣)، و "أنت" (ص ١٤٣)، و "بدح" (ص ٢١٤ - ٢١٥)، و "جح" (ص ٤٠٥) إلى هذه المداخل اللفظية، نتبين أيضاً سقوط بعض الاشتقاقات أو الدلالات في ثمانية مداخل لفظية، هي التالية: "أبر" و "أتن"، و "أم" و "أبو"، و "أست"، و "أبى" و "أنف" و "بعو":

- سقط من مادة "أم" القول التالي: "قال الخليل: الأم الواحد والجمع أمهات، وربما قالوا أمّ وأمّات" (٢١)؛ لا سيما في البصرة ويعدّ الناطق الذي "يترك عنعنعة تميم وكشكشة ربعة" من الفصحاء. كما يقارن بين اللغات عامة: فـ "الشينات كلها قبل اللام" بخلاف ما هي عليه في عدد من الألفاظ الحميرية، والنون تدخل في بعض ألفاظ أهل حمص. على أنها غنة وليست بأصيلة، وبنو تميم يجعلون بدل الهمزة العين على حين تجعل ربعة مكان الكاف المكسورة شيئاً، وغيرها من التعيينات.

يحتفل "كتاب العين" بمادة واسعة عن لغات القبائل والمواضع التالية: ربعة، وتغلب، وبنى الحارث، وتميم، ونهامه، وهذيل، والمدينة، والجزيرة، والحجاز، والغور، ومكة، ومضر، وبنى سعد، واليمن، وحمير، والكوفة، والبصرة، والعراق، والسواد، الشام، وحمص، والجوف، وعمان، ولغة الأنباط، واللغة القبطية، ولغة مصر، والعبرانية والفارسية وغيرها، دون أن يكون هذا التعداد نسقياً.

بدا لنا مفيداً أن نتناول "اللغات" العربية على حدة، على أن ننصرف لاحقاً إلى تبين غير العربية منها، لا لطبيعة "اللغات" العربية المتقاربة وحسب (واختلافها البين عن غيرها) بل لأن الخليل نفسه عمد في غير موضع إلى تبين صلات التقارب مثل التخالف بين هذه اللغة أو تلك في الجزيرة

نجد الخليل يكتفي في بعض الأحيان بإيراد ما جمعه وحسب دون معالجة أو تحليل، سواء أكان ما جمعه يتعلق بدلالة أو بکیفیه نطق. فیفیدنا، علی سبیل المثال، أن لفظ "القشمة" یرد فی لغة تغلب، وأن "العرجلة" تأتي فی لغة تمیم "الحرجلة" وأن "المعصوب" یعنی "الجائع" فی لغة هذیل، إلى غیر ذلك من الأمثلة، ونقع أحياناً علی لطائف دلالتہ فی هذا الشأن مثل هذه: "ثب" معناہ "اقعد" فی لغة حیر أي بخلاف ما هب علیہ العربیة الحالية. أو هذه: "تقول هذیل: أكل حتى اقترت، فی الناس و غیرهم، والاقترار الشبع". وهو خلاف ما تعرفه العربیة الحالية. ولا يتأخر أحياناً عن سرد الحکایة التي تكاد تنحصر ملاحظات الخلیل فی لغة هذیل علی الجانب الدلالي، إذ یسرد عدداً واسعاً من الألفاظ والدلالات الخاصة بهم: "القُمعل: القدح الضخم" ؛ "الكرهاء: أعلى الثُقرة" ؛ "الخموش: البعوص" ؛ "الفريج: البارد" ؛ و"رُيدُ السيف فرِنْدُه" و"كتاب منمل: مكتوب" و غیرها، وإلى هذا فإنه یعین لنا بعضاً من المنتجات والمسمیات، الخاصة بهم، مثل: الفتر" ، وهي "سهام صغتر" ؛ أو "الرابة" وهي "خرقة تجعل فیها القداح" و غیرها.

لا يتوانی الخلیل فی غیر موضع عن الجمع وعن إبانة التخاليف بین لغة تمیم ولغة الحجازة ف"الكَلَمَة" حجازية و"الكَلَمَة" تمیمیة؛ و"الداوية" تعنی فی لغة الحجاز "مفازة ملساء" وهي الدّوية عند تمیم، و غیرها كما يتوقف أمام بعض مسمیاتهم الخصوصية، مثل تسمیتهم الإجاص مشمشاً" ، ویعالج بعضاً من تراکیبهم الخصوصية: یثبتون الباء والواو فی "صید" و"عور" فیما یقول غیرهم: ؛ "صَادُ یَصَادُ وعَارَ یَعَارُ" و غیرها.

یتضمن المعجم مسرداً واسعاً عن لغة الیمن، لا سیما فی دلالاتها: "القُشعر" تعنی "القشاء" و"القُنْفُعة" ؛ و"القبجة" "المرأة" ؛ و"الکحب" "البروق" و غیرها. كما یتبین فیها بعض ظواهر "القلب": فما ینطقونه "المضد" هو عند غیرهم "ضمد" ؛ أو "العنکوة والعنکباء" عندهم هو عند غیرهم "العنکبوت" ، إلى غیر ذلك.

غیر أن الخلیل لا يتأخر عن رصد أحوال اللغات عند قبائل عدة، أو لغة الأمصار، لا سیما فی البصرة، أو یتوقف عند مدن بعینها مثل حمص وعُمان و غیرها، وهو رصد نافع لأنه یرصد فی غالب

الأحيان حال العربية في زمن الفراهيدي. كما يعالج في بعض الأحيان لغة العامة في العراق. وإذا كانت ملاحظات الخليل لا تخلو في هذه "اللغات" العربية من التفاتات نبهة ونافعة، فإن جمعه لألفاظ ومسميات من اللغات غير العربية، مثل الفارسية والعبرانية والأفريقية وغيرها، لا يضرب جديداً في غالب الأحيان. فهو يستعيد ما هو معروف عن بعض الألفاظ غير العربية في القرآن، مثل "الزقوم" الأفريقية، أو يورد عدداً من الألفاظ التي باتت شائعة في الكلام الساري أو المعروفة ٢٩٢ تحديداً، أو ربما أقل من ذلك، طالما أن عدداً من لم تُنسب إليهم أبياتهم قد ذكروا). اللافت في هذه القائمة هو ضعف تمثيل الفترة العباسية من جهة، وقوة تمثيل الفترتين الجاهلية والأموية، وهو تدبير طبيعي لاعتبارين: يعود الاعتبار الأول إلى أن جامعي اللغة الأوائل قيدوا سجل "فصاحة زمنية" جعلوها في الجاهلية أساساً وحتى في عدد محدود من شعراء الفترة العباسية الأولى. أما الاعتبار الثاني فيعود إلى "زمنية" كتاب العين، حيث إن الخليل عاد إلى عدد محدود من معاصرة بالطبع. ولكن إذا كان عدد الشعراء العباسيين محدوداً بمقارنته بشعراء العترتين الجاهلية والأموية، فإن هذه النسبة تزداد في عدد الشواهد الشعرية العباسية: فعدد الشعراء العباسيين لا يتجاوز ١٠، ٤ بالمئة على حين يبلغ عدد الشواهد الشعرية العباسية ٣٠، ١٧ بالمئة من مجموع الشواهد.

سبعة شعراء يتصدون هذه القائمة، ممن استشهد بشعرهم أكثر من مئة مرة، وهم بالترتيب: رؤبة العجاج (٤٨٥ بيتاً)، العجاج (٢٣٥)، ذو الرمة (٢٧١)، الأعشى (٢٠٤)، ليبيد بن ربيعة العامري (١٧٣)، مطيع بن إياس (١٦٦) وامرؤ القيس (١١٥).

٤- (ب) ٢: الأمثال

يبقى علينا أن نشير إلى إن "كتاب العين" يشتمل في مواده على عدد كبير من الأمثال^(١): يرد

(١) نبذات من الأمثال الواردة في "كتاب العين":

"المثل: الحديث نفسه، وأكثر ما جاء في القرآن... (بمعنى) الخبر.. فصار عن ذلك مثلاً" (٢٢٨/٨)؛ "ما لفلان حافظه ولا نافظة" (١٨/٢)؛ "لا تَعْطِينِي، وَتَعْطُغْنِي" (٢٢٨/٢)؛ يروى لنا في مادة "عصو، عصي" (ص ٢/ ١٩٨) كيف ذهب أحد الأبيات الشعرية مثلاً، وهي قصة عرقوب من أهل يثرب، "أكذب أهل زمانه موعداً" (٢٩٦/٢)؛ "أبي الحَقِينِ العَذْرَةَ" (٥٠/٣)؛ "يَأْكُلُ خُصْرَةً وَيَرْبِضُ حَجْرَةً" (٧٥/٣)؛ "يَوْمٌ بِيَوْمِ الْخَفْضِ الْمَجْوَرِ" (١٠٨/٣)؛ "أَعْنِ صَبُوحِ تَرْقُوقِ" (١٢٧/٣)؛ "إِذَا طَلَعَ الذَّابِحُ أَنْجَحَرَ النَّابِحِ" (٢٠٣/٣)؛ "جَهِيْزَةُ"

المثل مثل "شاهد" "الألنبيج: حمل شجرة بالهند تُربَّب بالعسل على خلقة الخوف، مُجرَّف الرأس يُجلب إلى العراق وفي جوفه نواة كنواة الخوج، ومنه اشتقَّ الأنجبات التي تُربَّب بالعسل من الأثرَج والأهليلجَة ونحوها". ذلك أن هذه المواد المختلفة تجلب لنا صورة عن الظروف المادية والزمنية المعيشة لإنتاج "كتاب العين" وتساعدنا بالتالي على تبين "تاريخيته" الزمنية والمعروفية في أن واحد.

يشتمل هذا الكم على أسماء أحياء وقبائل، وعلى أخبار عن الأيام الجاهلية وعن العادات والألعاب فيها، وعن عدد من الأقوام في فباداتهم، سواء الوثنية أو اليهودية أو المسيحية، وعن معارفهم في النجوم والحساب، وعن الأيام الإسلامية مع الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة، عدا ما بلغ الخليل من "قَصص" السالفين.

٥ - (أ): الأسماء

يتضمن المعجم قائمة واسعة من أسماء الأعلام^(١) الدالة على البشر أو على المواضع الجغرافية.

يضرب بها المثل في الحمق (٣٨٥/٣)؛ "لا تَهْرَفْ حتى تَعْرِفَ" (٤٥/٤)؛ "أذهب هنيئة ولا تَنكَه" (٩٤/٤)؛ المعزى تُبْهَى ولا تُبْنَى (٩٧/٤)؛ بَلَغَ قوله قاموس البحر (أي قعره الأقصى - ٨٨/٥)؛ "لَقَيْطَى خُلَيْطَى" (١٠١/٥)؛ "وافق شَنْ طَبَقَة" (١٠٨/٥)؛ "دُون هذا خَرَطُ الْقَتَاد" (١١٢/٥)؛ "نَزاف نَزاف لم يَبْقَ في البحر غيرُ قُداف" (أي غير حفنة) (١١٩/٥)؛ "حتى يَؤُوبَ الْعَنَرِيُّ الْقَارِظُ" (١٣٣/٥)؛ "ليس قطاً مثل قطى" (٥/١٩٣)؛ "قد جاء غرثانُ فارِيكِواله" (٣٦٦/٥)؛ "هي أكثر الأرض سَمَنَةً وَعَسَلَةً" (٣٦٩/٥)؛ "أطرقَ كرا إن النعام بالْقُرَى" (٤٠٠/٥)؛ "الْعَبْرُ يَضْرُطُّ والمكواة في النار" (٤٢١/٥)؛ "حَالُ الجَرَضِ دون القريض" (٦/٤٢)؛ "ناجِزٌ بناجِز" (٧١/٦)؛ "إن الْعَجَزَ والتواني تزاوجا فأنجبا الْفَقْرَ" (٩٢/٦)؛ "أنا جَذِيلُهُ الْمُحَكِّكُ، وَعُدْنُهَا الْمَرْحَبُ، وَحَجَرُهَا.

(١) قائمة من أسماء الأعلام الواردة في "كتاب العين" :

- أسماء مواضع: "الجزيرة بالبصرة: أرض نخل بين البصرة والأبُلَّةِ خُصَّت بهذا الاسم، وجزيرة العرب محلُّها لأن البحرين بحر فارس الحبش ودجلة والفرات قد أحاطت بجزيرة العرب، وهي أرضها ومعدنها (٦٢/٦)؛ الأهواز: اسم سبعُ كور بين البصرة وفارس، لكل واحدة منهن اسم، على حدة، ويجمعهن الأهواز" (٧٣/٤)؛ الكرخ: اسم سوق ببغداد" (١٥٦/٤)؛ "كاوان: جزيرة في بحر البصرة" (٤٢١/٥)؛ "دمج: اسم جبل" (٤/٢٣٦)؛ "رُخَذَ: اسم مدينة" (٢٤٤/٤)؛ "خُرَيْبَة: موضع بالبصرة يُسمى بُصيرة الصغرى" (٢٥٦/٤)؛ الغوطة: موضع بالشام، كثير الماء والشجر" و"الغوطة: مدينة بدمشق" (٤٣٥/٤)؛ "الْعَوْر: تهامة ومايل اليمن" (٤٤١/٤). أبو القبيس: جبل مشرف على مكة (٨٦/٥)؛ "القيروان: اسم مدينة (١٤٣/٥)؛ "وفي غور

نتعرف على "هالة"، وهي أم حمزة بن عبد الله عبد المطلب، أو على الأسماء التي بلغت الخليل عن أخبار الأولين، مثل أسماء ولد آدم أو جد إبراهيم عليهما السلام وغيرهما. وإذا كانت التعينات الجغرافية قليلة بل مقتضبة.

الشام موضع يقال له: قُبْرُس " (٢٥٢/٥) ؛ "الدَّكْص": اسمُ نهر بالهند، بلغتهم " (٤٢٥/٥) ؛ "البصرة... نزها المسلمون أيام عمر بن الخطاب، وكتبوا إليه: إنا نزلنا أرضاً بَصْرَةَ فَسُمِّيَتْ بَصْرَةَ" (١١٨/٧) وغيرها.

- أسماء أشخاص: "هالة: أم حمزة بن عبد المطلب" (٨٩/٤) ؛ هي بن أبي وهيان بن بيان من ولد آدم (١٠٧/٤) ؛ شالغ: جد إبراهيم (١٧٠/٤) ؛ "ذو جلدن: اسم رجل من مقالة اليمن" (٨٣/٦) ؛ "تدمر: اسم مدينة بناها الجان بإذن سليمان بن داود"، وهو يستعيد في هذا التعيين بيتاً للنايعة (ديوانه، ص ١٣) ؛ وخيرس الجرنّ إني قد أذنت لهم يَبْنُونَ تَدْمَرَ بالصَّفاحِ والعَمَد " (٤٠/٨) وغيرها.

- هذيل: بنو لحيان: حتى من هذيل (٢٩٧/٣).

- قبائل متفرقة وغير معنية: بنو ثقيف: قبيلة (٣٦/٥) خشينة: حتى من العرب (١٧٠/٤) ؛ "شعفر بطن من بني ثعلبة يقال لهم: بنو السعلاة" (٣١٣/٢) ؛ بنو عيش: قبيلة، وهم بنو عائشة (١٨٩/٢) ؛ عتيب اسم قبيلة (٢/٧٧) ؛ بنو ذريح: حتى العرب (٢٠٠/٣) ؛ هداد: حتى من العرب (٣٤٨/٣) ؛ "هزان" قبيلة أيضاً (١٥/٤) ؛ هُذَيْل " اسم قبيلة (٣٩/٤) ؛ باهلة حتى من العرب (٥٥/٤) ؛ جل وجلان (١٨/٦) ؛ بنو جُشَم قبيلة من هوزان (٤٠/٦) ؛ حتى جديس في اليمامة (٤٧/٦) ؛ جديلة: قبيلة (٧٩/٦) ؛ "النَّجْدَات" قومٌ من الحرورية ينسبون إلأى نجدة الحروري (٨٥/٦) ؛ قبيلة من بنى الهون بن حُزَيْمة؛ وهم من القارة (٢٧٨/٦) ؛ سدوس (١٨٥/٧) ؛ بنو راسب (٢٥٠/٧) ؛ زينة (٣٧٤/٧) ؛ إزاد (٣٧٨/٧) ؛ طوغ (٤٦٧/٧) ؛

وردت الأخبار جمعه اللغة في البوادي في "إنباه الرواة" ص ٢٥٧/٢-٢٥٨، وفي "معجم الأدباء" ص ١٣/١٦٩.

- النَبِيث: حتى من الأنصار (١٣٠/٨) ؛

- اليمن: "سَبَأ": اسم رجل يجمعُ عامَّةَ قبائل اليمن وهو اسمُ بلدة أيضاً سَكَنَتْهَا ملكتهم بلقيس" (٣١٥/٧) ؛ عُرَيْثَة: اسم حتى من اليمن ؛ "معافر: قبيلة من اليمن" (١٢٤/٢) ؛ "يَنْعَم: حتى من اليمن" (١٦٣/٢) ؛ عقرس: حتى من اليمن (٢٩٢/٢) ؛ "جُرْهُم" حتى من اليمن (١١٧/٤) ؛ "العَوْقَة: حتى من اليمن" (٢/١٧٤) ؛ حدان: حتى من اليمن (٢٠/٣) ؛ الحُرْقَة: حتى من اليمن (٤٥/٣) ؛ "الهَزْر" قبيلة من اليمن (١٣/٤) ؛ بهراء حتى من اليمن (٤٩/٤) ؛ قَرْن: حتى من اليمن منهم أويس القرنى (١٤٢/٥) ؛ "الناقم: حتى باليمن" (٥/١٨١) ؛ القساملة: حتى من اليمن (٢٥٣/٥) ؛ السكاسك والسكاسكة: حتى من اليمن (٢٧٢/٥) ؛ قيس كبة: حتى من اليمن (٢٨٥/٥) ؛ شاكر: قبيلة من اليمن من همدان (٢٩٣/٥) ؛ (٢٧٢/٦) جنادة ؛ "جُذَام اسم حتى من اليمن هم من بنى أسد من خزيمة (٩٧/٦) ، جرم (١١٩/٦) ، شُبَام (٢٧٢/٦) صداء (١٤٢/٧) ، سد (٧/١٨٤) ، بنو مسلية (٢٩٨/٧) ، أوس من خزيمة (٩٧/٦) ، بُثَانَة (٣٧٣/٨) ؛

- الشام: "حُدَس" حتى من اليمن بالشام" (١٣١/٣) ؛ "جَفْتَنَة: قبيلة من اليمن، ملوك بالشام (١٤٦/٦) وغيرها.

- النجوم: "الشَّعْرَى العَبُور: نجم خلف الجوزاء" - (٢٥٢/١ و ١٢٩/٢) ؛ "وسعدُ بُلْع: نجم يجعلونه معرفة" (١٥١/٢) ؛ العَوْت: نجم في السماء (...)، وهي من نجوم السنبلية من أنواء البرد في الربيع، إذا طلعت وسقطت جاءت بالبرد، ويُقال لها في عَوَاء البرد" (٢٧٠/٢ و ١٧١) ؛ "الرامج: نجم: يقال له السَّكَاك المَرْزَم" (٢٢٦/٣) ؛ "الفكة: النجوم المستديرة، التي إلى جانب بنات نعش، وهي التي بسميها الصبيان: قصعة المساكين" (٢٨٤/٥) ؛

أن أهل قريش يُنسبون إلى فهر بن غالب ابن النضر بن كنانة، وأنها تتوزع إلى أفخاذ وأحياء مثل: بنى هبار، وبنى معيط وغيرهما. بل يتيح لنا المعجم في بعض الأحيان أن نتبين تكوين عدد من القبائل، منها:

"الكَلْبُ من النجوم بحذاء الدَّلُو من أسفل، وعلى طريقته نجم أخمر يُقال له: الرأعي" (٣٧٦/٥)؛ "كيوان: نجمق يُقال له: زَحَل" (٤٢١/٥)؛ "الجدى: نجم في السماء" (١٦٧/٦)؛ "البَرْجيس: من أسماء النجوم" (٢٠١)؛ "النَّسْران: نجمان في السماء يقال لأحدهما الواقع وللآخر الطائر، معروفان" (٢٤٢/٧)؛ "النَّوَّة: من أنواء النجوم، وذلك إذا سقط نجمٌ بالغداة فغاب مع طلوع الفجر، طلع في حياله نجم في تلك الساعة على رأس أربعة عشر منزلاً من منازل القمر سُمي بذلك السَّقُوطُ والطلُوعُ نواءً من أنواء المطر والحَر، البرد" (٣٩١/٨) وغيرها.

- منازل القمر: "سعد الذابح، وسعد بُلْع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، نجوم من منازل القمر وهي برزج الجدى والدلو" (٣٢١)؛ "الصَّيْقُ والضَيْقَةُ: منزلٌ للقمر بلزق الثريا مما يلي الدبران، تزعمُ العرابُ أنه نحسٌ" (١٨٦/٥)، "والنَّعَّاثم: من منازل القمر" (١٦٢/٢)، "الأَذْحَى: منزل في السماء بين النعائم وسعد الذابح، يقال له: البَلْدَةُ" (٢٨٠/٣)؛ "العُفْر من منازل القمر" (٤٠٧/٤)؛ "الإكليل" من منازل القمر" (٢٧٩/٥)؛ الهالة: دائرة القمر" (٨٩/٤) "الصَّرْفَةُ: كوكبٌ واحدٌ خلف خراتى الأسد، إذا طَلَعَ أمامُ الفجر فذاك أولُ الخريف، وإذا غابَ مع طلوع الفجر فذاك أولُ الربيع، وهو من منازل القمر" (١١٠/٧). "البلدة: موضع لا نجومٌ فيه بين النعائم وسعد الذابح ليس فيه كواكب عظام تكون علماً، وهي من منازل القمر، وهي من آخر البروج، سُميت بلدةً وهي من برج القوس خالية إلا من كواكب صغار" (٤٢/٨)، وغيرها.

- الكواكب: "الذابح: كوكب يقال له: سَعْدُ الذابح من منازل القمر فإذا طلع الذابح انجحر النابح" (٢٠٣/٣) "المريخ من الكواكب بهرام" (٢٦١/٤)؛ "العيوق: كوكب بحيال الثريا إذا طلع علم أن الثريا قد طلعت" (٢/١٧٩)؛ "عطارد: كوكب لا يُفارقُ الشمس، وهو كوكب الكتاب" (٣٢٧/٢)، الكوكب "خُضار" (١٠٣/٣) وإذا اجتمعت الكواكب الخمس مع الكواكب المضئية من كواكب المنازل سُميت الوُضُح (٢٦٦/٣). "سُهَيْل: اسم كوكب يرى بالعراق ولا يرى بخرسان ويُقال: إن سُهَيْلاً كان عشاراً على طريق اليمن ظلوماً فمسخه الله كوكباً (٧/٤) "الزهرة: اسم كوكب (١٣/٤) "السها: كوكب صغير. يقال: هو الذي يسمى أسلم مع الكوكب الأوسط من بنات نعش (٧٢/٤) "الخُنُس: الكواكب الخمسة التي تجرى وتختس في مجراها حتى يخفى ضوء الشمس، وختونُها: اختفاؤها بالنهار" (١٩٩/٤)؛ "الساكان: كوكبان ينزل أحدهما بالقمر من برج السنبلة" (٣١٨/٥)؛ "الشرطان: كوكبان، يقال: إنهما قرنا الحَمَل، هو أولُ نجم من الربيع" (٢٣٤/٦)؛ "الفارطان: كوكبان متباينان أمام سرير بنات نعش" (٤١٩/٧)؛ "الرديف: كوكب قريب من النَّسْر الواقع" (٨/٢٣)؛ "الترام من كواكب الجوزا" (١٣٩/٨)؛ "النثرة: كوكب في السماء كأنه لَطُحُ سَحَاب حبال كوكبين صغيرين تُسميه العرب نثرة الأسد وهو من منازل الشمس والقمر، وهو في علم النجوم من بروج السرطان" (٢١٩/٨) وغيرها.

- البروج: "العُقْرَب: برج في السماء، وطلوعها في حد الشتاء" (٢٩٧/٢)؛ "الحَمَل: بَيج من البروج الأثني عشر" (٢٤٠/٣)؛ "الحوت: برج من بروج السماء ثلاثون درجة" (٧٨/٦)؛ "السَّرطان: برج في السماء منه أنف الأسد" (٢١١/٧)؛ "هقعة (٩٦/١)؛ عوهق (٩٧/١)؛ رقع (١٥٧/١)؛ "العذرة" (٩٥/٢)؛ "الذراع" (٩٨/٢)؛ "الشهور: الأرز: حسابٌ من مجارى القمر، وهو فضولٌ ما يدخل بين الشهور والسنين" (٣٩٨/٧) وغيرها،

- أحياء وقبائل بنى تميم: عرين، الحبطات، يربوع، بنو العنبر، البراجم، صوفة، مازن، وغيرها.

- بنو ربيعة: بنو حنيفة، رقاش، بنو ذهل بن شيبان، بنو ذهل بن ثعلبة، هنب، بنو هنب، يشكر، وغيرها؛ كما يفيدنا المعجم أيضاً بوجود أحد أحياء هذه القبيلة: "أنهار" تحديداً، في اليمن، في عهد الخليل.

- بنو عبد القيس: العمور، عدوان، خفاجة، بنو قشير بن معب، بنو قشر بن عكل، بنو غيظ، ثقيف، لُكيز، شن، وغيرها كما أيضاً قبائل الأزد، وهي معلومات تتأتى من مصدرين على ما تبين لنا: من المعتقدات الشعبية، التي تصل بين الظواهر الفلكية وبين وقوع أو حدث أفعال مناخية أو إنسانية بعينها؛ أو من "علم التنجيم" أو من "المنجم" حسبما يفيدنا الخليل في غير موضع.

أو في إسلامهم أو المسيحين واليهود، وغيرهم من الأقوام ممن جمع الخليل (أو وصلته) أخبارهم.

٥- (د) - ١: أخبار الجاهلية

بدا لنا ضرورياً البدء بعرض ما يسوقه الخليل من أخبار عن عرب الجاهلية^(١)

(١) - نبذات عن أخبار الجاهلية في "كتاب العين":

- في المعتقدات: "الشنع: جُعِلَ الكاهن" (٢٥٨/١)؛ منازل الجن (١١٤/٥)؛ وضع العرب كعاب الأرنب في أرجلهم خشية الموت (٣٢٦)؛ "العتيرة" (الذبح للأصنام في رجب) - ٦٥/٢؛ عبادة الأصنام (١٤١/٥)؛ ذبائح العرب في رجب (١١٣/٦)؛ "التابعة: جنية تكون مع الإنسان تتبعه حيثما ذهب" (٧٨/٢)؛ "توعم العرب أن تالجن لا تدخل بيتاً فيه الحَزَى" وهو نبات شبه الكرفس (٢٧٤/٣)؛ مداواة داء الكلب (٣٧٥/٥)؛ علاقة الجاهلين بالهلال (٢٧/٣) وغيرها.

- عن الشعراء: إبليس امرئ القيس (٢٥٣/٥)؛ قول امرئ القيس عند مقتل والده (٥٢/٣)؛ "كامل" فرس بنى امرئ القيس (٣٧٩/٥)؛ "مِسْحَل" اسم جنى الأعشى (١٤٠/٣)؛ اسم ناقة ذى الرمة: "صيدح" (٣/١١٣)؛ عادات الخطابة في النادي (٢٢٢/٤)؛ "دار الندوة" بمكة (٧٦/٨)؛ قصة ذى الرمة مع مية (١٥٦/٣)؛ السموئل بن عاديا "أوفي أهل زمانه" (٢٦٧/٧) وغيرها.

- من القصص: قصة سطيط الكاهن من بنى ذئب (١٢٩/٣)؛ قصة ملك اليمن أبرهة حين ساق الفيل إلى البيت "وأهلكه الله (٤٩/٤)؛ ذو يزن ملك اليمن (٣٨٧/٧) قيدر أجد العرب (١٣٣/٥)؛ "شمر" ملك اليمن (٢٦١/٦) حكاية موت ملك اليمن الحارث بن أكل المرار (٢٦١/٨) حكاية ابن جلا (١٨١/٦)؛ "قُبَاع بن ضبة أحق أهل زمانه" (١٨٣/١)؛ هَبْجَةُ القيسي: "أحق بنى قيس بن ثعلبة (١١٢/٤)؛ "عوج بن عوق صاحب الصخرة الذي قتله موسى" (١٥٨/٢)؛ قصة الضحَّاك بن عدنان الذي "يقال مَلَكُ الأرض" (٥٨/٣)؛ "تَبَع":

وهي أخبار واسعة تتصل بمعتقدات، وبقصصهم أو بعبادتهم، أو بألعابهم سواء للصغار أو الصبيان أو الرجال، أو تتصل بأيامهم الشهيرة، أو بأخبار شعرائهم وغيرها.

فهو يبين لنا عدداً من التدابير السحرية التي تؤمنهم المكار والمخاوف، كأن يضعوا كعاب الأرانب في أرجلهم خشية الموت؛ أو صلاتهم بالجن وطردها، كأن يضعوا فب البيوت نبات

اسم ملك من ملوك اليمن، وكان مؤمناً (٧٩/٢٠)؛ مزقياً أحد ملوك اليمن (٩٥/٥)؛ قصة الضب "قاضي الدواب والطيور" (١٣٩/٣ و ١٤/٧)؛ ذكر "عكراش أرمى أهل زمانه" (٣٠٣/٢)؛ "باقة" الأحق (١٧٠/٥)، عرقوب اليربسي "أكذب أهل زمانه موعداً" (٢٩٦/٢)؛ عامر بن الظرب "حكيم العرب" من قيس (٨/١٥٩) معلومات عن الأحاييش "الذين انضموا إلى بنى الحارث في حربهم مع قريش (٩٨/٣)؛ أخبار عن حي "جُرْهُم" اليسى وعن نزولهم في مكة وزواج إسماعيل فيهم ولحادهم في الحرم وإياد الله لهم (١١٧/٤)؛ ما حدث لجد النبي مع الشريد (٥-٤/٣) قصة موت ملك اليمن أبي وقصى عند اقتناهم في أمر البيت (١٦٧/٤)؛ قصة مقتل أحد جلساء النعمان (٢٢٧/٧) "وإساف: اسم صعم كان لقريش، ويقال: إن إسافاً وثلاثة كانوا رجلاً وامرأة دخلا البيت فوجدوا خلوة، فوثب إساف على نائلة فمسخها الله حجربن" (٣١٢/٧)؛ قصة "سهار" باني الأطام (٣٤٣/٧) وغيرها.

- عن العادات: مواسم أسواق العرب في الجاهلية وموسم الحج (٣٢٢/٧)؛ "وثيد" البنات (٩٧/٨)؛ رفادة "قريش (٢٥/٨)؛ و"المرباع كانت العرب إذا غزت أخذت رئيسهم رُبِعَ الغنمة وقَسَمَ بينهم ما بقى" (٢/١٣٣)؛ "التكليم" أو عادات أضيافة عند خولان بن عمرو بن قُضاعة (٣٧٩/٥)؛ قصة زواج الأعراب في الأحياء (٦٤/٣)؛ زواج امرأة ليقظ بن عدى بعد موته (١٤٣/٧)؛ "العَدَس: برة من جنس الطاعون قلما يُسَلَّم منها، وبها مات أبو لهب" (٣٢١)، حال "الصعاليك" (٣٧٧/٣)؛ الاستقسام (٣٧٠/٧) طمر الماء في بيض النعام الفلورات في الشتاء (١٢٠/٨) وغيرها.

- عن أيام العرب: - "يوم حليلة: وقعة كانت في الجاهلية" (٢٤٧/٤٣)؛ أقوال العرب في الغارات (٧٢/٤)؛ "المناجزة" في الحرب (٧١/٦)؛ "يوم بزأخة من أيام العرب معروف" (٢١١/٤)؛ مسميات الرمي في النضال (١٨٦/٤)؛ عادات الحروب في الجاهلية والفتح (١١٢/٦)؛ "يوم الوقظ" بين غيم وبكر (٢٠٠/٥)؛ عن حرب عكاظ (٣٥/٧)؛ سبب اندلاع الحرب بين بكر وتغلب (٢٠٥/٧) وغيرها.

- عن الألعاب: لعبة الصبيان "المَقَّة" أو "المَطَّة" (٢١/٥)؛ لاعب البقري (١٥٨/٥)؛ "الجماع" لعبة للصبيان (٨٨/٣)؛ "السحارة" لعبة للصبيان (١٣٥/٣)؛ الفسخش في لعب الصبيان (١٧٢/٤)؛ لعبة "المفايلة" عند فتيان الأعراب وصبيانهم (٣٣٥/٨)؛ لعبة "مداد قيس" للصبيان (٦١/٨)؛ "مخارجة لعبة لفتيان العرب" (٤/١٥٩)؛ "المخراق" منديل لعبة للصبيان (١٥٠/٤)؛ لعبة الجبائي (١٤٨/٦)؛ لعبة "القلو" (٢١١/٥)؛ لعبة لصبيان العرب (١٧/٤)؛ "الزُدُو" من لعب الصبيان بالجوز (٣٧٧/٧)؛ لعبة "الطَّت" للصبيان (٤٠٣/٧)؛ لعبة "الطُّبنة" أو الرحى للصبيان (٤٣٨/٧)؛ "الهباب: لعبة لصبيان العراق" (٣٥٦/٣)؛ "الزُوف" أو الخفة في الفروسية (٣٨٨/٧)؛ الرخ: من أدوات الشطرنج (١٣٩/٤ و ٣٦٢/٧)؛ لعبة الشطرنج (١٤٨/٢)؛ معلومات عن "قصب السباق" (٢١٣/٤)؛ "الطُّبْطابة" خشبة الفارس في لعبة الكرة (٤٠٧/٧)؛

"الحزى" كما يعرض لعدد من عاداتهم في عبادة الأصنام والذبائح وغيرها، وبين لنا شيئاً من عاداتهم في "وئيد" البنات و"الاستقسام" وزواج الأعراب، وعادات الضيافة، وطمر الماء في بيض النعام في الفلوات في الشتاء، وقسمة الغنائم وغيرها. أو يعرض لـ "أيام" الجاهلية، أي وقائعهم في الحروب القبلية مثل أيام حليمة، وبزاحة، والوقيظ، وعكاظ وغيرها، أو يشرح لنا شيئاً من فنونهم في القتال، مثل "المناجزة" أو مسميات الرمي في النضال، أو أقوالهم في الغارات وغيرها. أو يوضح لنا جوانب من الألعاب التي مارسوها لا سيما عند صبيان الأعراب، مثل ألعاب "البقيرى" و"المفايلة" و"القلو" و"الطث" و"المخراق"؛ أو ألعاب الفرسان، مثل "قصب السباق" و"الطبطابة" و"الأخطار" وغيرها، كما يتوقف أحياناً لسرد قصص الجاهلية، التب أصبحت مثل المعطيان المتعلقة بـ "البريد" وتقيدنا أن للبريد سككاً وأن "لكل سكة منها اثنا عشر ميلاً" وأن السفر الذي يجوز فيه قصر الصلاة أربعة بُرْد، وهي ثمانية وأربعون ميلاً بالأميال الهاشمية التي في طريق مكة. أو تفيدنا عن "الجهاد" في الرباطات الذي يقوم به "المطوعة" وهو "القوم الذين يتطوعون بالجهاد يخرجون إلى الرباط"، أو عن أوضاع الذميين، وهم "أهل العهد" أو عن عاداتهم مثل "البفكير" وهو "إيذاء الذمى برأسه" أو "الفلس" وهو "خاتم من رصاص يُخْتَم به عنق من يعطى الجزية" وغيرها. أو عن السفن الحربية في البصرة، وهى "الحراقات" أي "سفن فيها مراعى نيران يُرمى بها العدو في البحر بالبصرة، وهو أيضاً بلغتهم: القلائن والفحامين". وعن عادات أهل البصرة ونسبياتهم، مثل الساقى "الذى يطوف عليهم بالماء في الأسواق، وهو البيّاب" وعن طلب الزواج من العربي في "كابل": "وإنما الاستفحال على ما بلغنى من أهل كابل عن علوجها أنهم إذا وجدوا رجلاً من العرب جسيماً جميلاً خلّوا بينه وبين نسائهم رجاء أن يُولّد

و"الإخطار" وهو الإحراز في اللعب بالجوز (٢١٤/٤)؛ الاحتفال عند صيادي الطيور (٣٠٠/٣) صيد البزاة (١٦١٥) وغيرها.

وهو على القضاء (٢٣٠/٨)؛ قصة طلب رجال كابل إخلاء نسائهم بالعرب (٢٣٤/٣)؛ و"مُزاحم أو أبو مُزاحم أول خاقان وُلّى وقَاتَل العرب، فُقُتِلَ زَمَنَ أسد بن عبد الله القسرى" (١٦٧/٣) موضع في البصرة حيث نبحت الكلاب على عائشة (٣١٠/٣)؛ إشباع على بن طالب لرفع النون (١٧١/٥)؛ خطب الحسن بن على بن أبي طالب أمام معاوية (٢٤٣/٥)؛ ما قاله الإمام على مرة (٢٣٥/٧)؛ "أبو فراس" كنية الفرزدق (٢٤٥/٧)؛ دواعى تسمية "المهاجرين" (٣٨٧/٣)؛ "المذهب" الشيطان الذي يُفْتَنُ القراء (٤١/٤)؛ "الوهط" وهى ضيعة عمرو بن العاص في الطائف (٧٦/٤) غزو عمرو بن العاص لأرض في أرض الشام (١٩٥/٧) وغيرها.

فيهم مثله". أو عن عادة صبيان العرب الذين "إذا رأوا سُمانى قالوا: سُمانى لُبَادى البُدَى لا تُراعى، أي لا تفزعى والبُدَى لا تُرى، ولا يزلون يقولون ذلك وهي لا بدء، ويدورون بها حتى يأخذوها" وغيرها.

كما يشتمل المعجم على قائمة واسعة مكن التحريمات التي نهى الإسلام عنها، مثل: منع الجارية من الصلاة في بعض الأحوال، والتهى عن الأدهان في كل يوم، وعن "المُجْتَمَةِ"، أو عن أكل لحوم الحُمُر، أو عن: التلقى " وغيرها الكثير. كما نفع على أخبار من السيرة

من النصرارى يخالفون بقيتهم"، و"الركوسية" (وهم "قوم لهم دين بين النصرارى والصائبين، ويقال: هم نصرارى") إلا أن معلوماته عن "النصارى" تبدو متصلة بأخبارهم سواء في النبطية أو الرومية، لا بمسيحيى الجزيرة العربية. وهو بعدد لنا قسماً من عباداتهم مثل: القربان" أو "الحلوان" أو عدداً من رموزهم مثل "الصليب" وخلافه، أو أعيادهم مثل "الفصح" وغيره. ويتوقف أمام رجال دينهم، مثل "الراهب"، وهو "المتعبد في صومعة" أو "الوافه" وهو "القيم على بيت النصرارى" أو "الأسقف" و"القس" و"القسيس" و"الأبيل" و"الشماس" ملاحظاً أن الأخير منهم "يلحق وسط رأسه" و"يلزم البيعة" أي الكنيسة. كما يلاحظ أيضاً أنه يوجد في الكنيسة صنم على خلقة مريم" وغيرها.

٥- (د): ٤: أخبار اليهود

يقيم الخليل التمييز بين اليهود^(١) والصين"، و"قوم إلياس"، و"المجوس" والهند"،

(١): نبذات عن أخبار اليهود في "كتاب العين":

اليهود لغة وأصلاً (٧٦/٤) "السبط من أسباط اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطاً (٢١٩/٧)؛

- العبادات: "الشمعة" قراءة اليهود (٣١٣/٢)؛ وضع أحد أخبار اليهود سبعين كتاباً من صنوف العلم (٥/٣٠) "النذير" في الكنائس، وقد يكون ولداً (١٨١/٨)؛ "الأسفار أجزاء التوراة، وجزء منه سفر، والتوراة خمسة أسفار أي كتب. سفر يخرج من بنى إسرائيل من مصر وسفر لسيرة الملوك، وسفر الوصية وسفر مكرر" (٢٤٧/٧)؛ "الزبور" كتاب اليهود (٣٦٢/٧)؛ موارد بنى إسرائيل (٣١٣/٥)؛ "محارب" الصلاة عند بنى إسرائيل (٢١٤/٣) "صلاة اليهود" أو "التهنيم" في بيعهم أي الصلاة بأصوات خفية (٦٠/٤)؛ "وفي الحديث: كأنكم اليهود خرجوا من قُهرهم" أي: موضع مدارسهم الذى يجتمعون فيه كالعبيد يُصلون فيه" (٤٥/٤)؛

و "السودان" ، و "القبط" ، و "الكرد" ، و "الزنج" و "أهل كابل" . كما يفيدنا عن وقوع حروب بين هذه الأقوام والمسلمين، خاصة في عهد الفتح، أو عن عبادتهم. إلا أنها معارومات شديدة الاقتضاب.

٦- (هـ) الحساب

يشتمل المعجم على معطيات في الحساب^(١)، سواء أكان الحساب العادي في الجمع والضرب والجداء وغيرها أو "حساب الجمل". أما عمليات "الجداء" ف "يقال: جداء عشرة في عشرة فيقال: مائة". و "الجذر" هو "أصله الذي يُضرب بعضه في بعضه، وجملة البرجان. يقال: ما جذر مائة؟ فيقال: عشرة". كما يفيدنا أيضاً عن "حساب الجمل"، وهو "ما قُطِعَ على حروف أبي جاد".

المُحَرَّر في بنى إسرائيل: النذيرة كانوا يجعلون الولد نذيرة لخدمة الكنيسة ما عاش لا يسعه تركه في دينهم" (٣/ ٢٤)؛ مدينة لوط "سدوم" (٢٣٤/٧) وغيرها.

- قصص: تعليم موسى التوراة لبنى إسرائيل (١٢٩/٥ و ١٣٠)؛ قصة بغال سليمان بن داود (٣٢١)؛ قصة القوم "حَدَس" البغاليين في عهد سليمان بن داود (١٣١/٣)؛ عالقة في الشام في عهد موسى؛ (٣٠١/٢) الخضر: نبي معمر، محبوب عن الأبصار، وهو نبي من بنى إسرائيل، وهو صاحب موسى الذي التقى معه بمجمع البحرين" (١٧٥/٤)؛ قارون المنافق ابن عم موسى (١٤٣/٥)؛ عن طائر "الحداة" الذي يصيد الجرذان لسليمان بن داود (٢٧٨/٣) "المنشأة" عصا سليمان (٣٠٦/٧) "الهامة: رأس كل شيء من الروحانيين" (٩٩/٤)؛ صنع سفينة نوح (١٦٠/٦)؛ انتشار نسل فروخ من ولد إبراهيم (٢٥٣/٤) "أصف" كاتب سليمان (١٦٥/٧)؛ (٦٠/٤) وغيرها.

من أدوية اليهود (١٧٥/٥)؛ قلاع اليهود من قريظة (١٧٦/٧)؛ ما قاله تُبْع في يهود المدينة، بنى قريظو وبنى النضير (٢١٩/٧)؛ عيد اليهود يوم السبت (٢٣٨/٧) وغيرها.

(١): نبذات عن الحساب في "كتاب العين":

"هَوَز: حروف وضعت لحساب الجمل، الهاء: خمسة، والواو: ستة، والزاي: سبعة" (٧٣/٤)؛ "الواحد: أول عدد من الحساب" (٢٨١/٣)؛ عن العدد (٢٨٦/١) يقولون: عشرة دراهم وزن سبعة، لأنهم جعلوا عشرة دراهم وزن سبعة مثاقيل" (٣٤٥)؛ "الكسر من الحساب: ما لم يكن سهماً تاماً، وجمعه كسور" (٣٠٧/٥)؛ الكُنْدَر: ضرب من حساب الروم" (٤٢٩/٥)؛ "الجذر" (٩٣/٦)؛ حساب البرجان (١١٥/٦)؛ "الجُمْلَة: جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره" (١٤٣/٦)؛ "حساب الجمل: ما قُطِعَ على حروف أبي جاد" (٦/ ١٤٣)؛ "الضاد مع الضاد معفوم، لم تدخلا معاً في كلمة من كلام العرب إلا في كلمة واحدة وُضِعَتْ مثلاً لبعض حساب الجمل، وهي "صعفص" هكذا تأسيسها، وبيان ذلك أنها نُقِصَتْ في الحساب على أن الضاد ستون، والعين سبعون، والفاء ثمانون، والضاد تسعون، فلما قَبِحت في اللفظ، حُوِلَت الضاد إلى الضاد فقيل: صعفص" (٥/٧)؛ "الجداء: مبلغ حساب الضرب، ثلثة في اثنين، جداء ذلك: ستة" (١٦٩/٦) وغيرها.

٦- التحقق من "كتاب العين"

قمنا في الفقرات السابقة باستعراض عدد من الميادين والمعلومات التي يتضمنها المعجم في موادته المختلفة، بحيث بدا لنا النمعجم في عدد من مداخله اللفظية، وفي التعريفات المقابلة لها، أشبه بموسوعة ثقافية منه بمعجم مرادفات. وأفادنا هذا العرض في التعرف إلى جوانب من الخليفة الثقافية واللغوية التي ينهض عليها "كتاب العين" والأنغام في المعجم المحقق، بعد أن أفادتنا المصادر عن مساهمات الخليل، بل عن وضعه مؤلفاً في هذا الميدان.

أهي زيادات وهفوات النساخ؟ يمكننا أن نثير هذا السؤال، إلا أن هذه الملاحظات لا تتصل - على قيمتها- بمراد المعجم الأساسي، وهو ضبط ألفاظ العربية، "بحيث لا يخرج منها شيء"، حسب عبارة الخليل نفسه في تقديم معجمه. ولكن أهو معجمه حقاً؟

لا يتوانى عن طرح هذا السؤال علماء ودارسون، قدامى ومحدثون، منذ وصول نسخة "كتاب العين": إلى البصرة في سنة ٢٤٨هـ، من دون أن تصل هذه التحقيقات -على قيمة بعضها- إلى حل ناجز. إلا أنه بدا لنا مفيداً، قبل السعى في عملية الإجابة هذه، أن نتبين حدود المشكلة المطروحة، فلا تبدد الشكوك -وهي مصيبة وذات نفع في بعض الأحبا- أو لا تأخذ معها ... "كتاب العين" برمته.

يمكننا أن نتحدث عن هفوات وزيادات زأخطاء مطبعية "العين" المحققة -على الرغم من عمل المحققين المضى والثمين في التحقيق والتصحيح -من دون أن نغضى هذه المعايير من قيمة الكتاب المحقق بفضل جهود هذين العالمين خاصة وأنها أعاد إلينا هذا المعجم الفريد في أسبقيته، في غنى موادته اللغوية وهي طريقته المبتكرة في إحصاء العربية. ونحن لا نسوق هذا الكلام من باب التجامل أو الليات الاجتماعية، بل لأننا وجدنا أن نقد "كتاب العيك"، على الوغم من وجاهته وجديته وأحياناً، بلبل أكثر مما أوضح واقع المشكلة وحدودها.

انشغل القدامى والمحدثون بملاحظة بعض ظواهر التخليط في مواد المعجم أو الزيادات فيه، أكثر مما اشتغلوا على التحقق من موادته الأصلية والنافعة إذا جاز القول. فلا تفتح كتاباً في النحو واللغة والمعاجم في العربية، إلا وتلقى القسم الغالب من المادة المخصصة لـ "كتاب العين" مقتصرأ

على التشكيك به. وهو تشكيك يطيح بـ "إجمالي" الكتاب، إذا صح القول، لا ببعض بنوده وفقراته وحسب، على غرار ما فعله ابن جنى، يشافهم الخليل، من أن ينكر... عربية هذه النقول.

نخرج من هذا القول إلى الاستنتاج التالي. وهو أن "كتاب العين" موضوع، في أصعب الاحتمالات، في العقد الخامس من القرن الثالث الهجري (متخذين من وصول نسخته إلى البصرة في سنة ٢٤٨ هـ مـشراً زمنياً للتأليف)، وأنه منسوب في مادته اللغوية إلى جمع من العلماء العرب، بالإضافة إلى الخليل والليث.

هذا هو الحد التعريفي الأدنى لـ "كتاب العين"، ولكن ألا يسعنا الوصول إلى حد تعريفي أعلى، بعد مطالعنا الناجزة لأجزائه الثمانية المطبوعة؟ فمثل هذا الحد يقصر مشكلة المعجم في فترة زمنية لا تتعدى الثمانين عاماً (بين وفاة الخليل ووصول النسخة إلى البصرة)، وفي عدد من العلماء إلى جانب الخليل والليث. ولكن ألا نقوى على تعيين أدق للفتوة الزمنية، ولمشاركات العلماء في صياغته؟ هل يمكننا تعيين زمن تأليف "كتاب العين"؟

٦- (أ) زمن التأليف

إن طرح هذا السؤال قد يثير المشكلة تعقيداً: كيف لنا أن نعرف هذا الزمن إذا كنا مختلفين حول ظروف تأليف الكتاب أساساً؟ قد لا نقوى على الإجابة الأكيدة في هذا الشأن، إلا أننا وقعنا في كتاب العين "على مؤشر زمني يستحسن التوقف عنده"، وهو التالي: "باب الغين والكاف: وهو مهمل إلا الكاغد وهي خرسانية" (ص ٣٥٦/٤). المؤشر لافت في قيمته، ذلك أنه لا يعين لنا ورود هذه العبارة وشيوعها في "خرسان" وحسب، بل يشير أيضاً إلى أمر أهم، وهو أنه يعين لنا نعرفة أهل خرسان بالورق. كما نقع في مادة "ورق" على المعطيات اللغوية التالية: "الورق: آدم رقائق، منها ورق المصاحف، والواحدة من كل هذا ورقة. والوراقة: صنعة الوراق" (ص ٥/٢٠٩). وهذه المادة اللغوية لافتة هي الأخرى في قيمتها، إذ تعين لنا وحوود عبارة عربية لتسمية حوامل الكتابة، لاسيما المصاحف منها، ما يفيدنا في تبين معرفة المسلمين، لا في

- ومنهم من قال إن الخليل وضع رسم الكتاب من دون حشوة بسبب الموت الذي عاجله، فأكمل الليث الكتاب، وقد ورد خبر هذا الوعم في الرواية التالية: قال ثعلب (-٢٩١ هـ):

"إنما وقع الغلط في كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يحشه" (١)؛

- ومنهم من قال إن الخليل وضع قسماً من الكتاب، ثم قال ما لبث أن أكمله: قال الأزهري (-٣٧٠): "ولم أر خلافاً بين اللغويين في أن التأسيس المجمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب" (٢)، وهذه الرواية صيغة أخرى، بل طريقة "ساقها ابن المعتز (-٢٩٦هـ)، ويفيد أن زوجة الليث غارت من جارية اشتراها، فأغاظته بإحراق نسخة العين الوحيدة التي كانت بحوزته، "فاستدرك النصف من حفظه، وجمع على النصف الباقي علماء أهل زمانه" (٣)؛

- ومنهم أيضاً من أكد نسبة هذا الكتاب للخليل، مثل ابن دريد (-٣٢١هـ): "قد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي رضوان الله عليه كتاب العين، فأتعب من تصدي لغايته، وعنّى من سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلف، وكل من بعده له تبع، أقر بذلك أم جحد" (٤). فيما يمكننا أن نقول في أمر هذه النسبة؟

قلة من العلماء أخذت بموقف ابن جنى، الذي قصر دور الخليل في وضع "كتاب العين" على دور "إيماء". ماذا يعنى الإيماء في هذه الحالة؟ أليس هو صيغة أكثر تخفيفاً مما هي عليه الصيغة الأخرى التي تقول بوجود فاروق بين "رسم" المعجم "الذي خطه الخليل" و"حشوه" (الذي وضعه الليث)؟ ما نتبينه واقعاً في هذه الصيغ المختلفة هو أنها ليست سوى "تقديرات ظنية"، بل... روائية أحياناً مع ابن المعتز. يعود السبب الأساسي لاختلاف العلماء في أم نسبته إلى وصول الكتاب "المتأخر" إلى ألا تجلب إلينا طبعة "العين" المحققة شيئاً من الإجابة على هذا السؤال؟

٧- (ج) أسانيد "كتاب العين"

بدا لنا مفيداً التوقف أمام "الأسانيد" التي يعود إليها الخليل، والواردة في الطبعة المحققة، للتأكد منها (خاصة وأن الشكوك طاولتها في بعض الأحيان)، وتبين قيمتها، وتعين جهد الخليل

(١) في "مراتب النحويين"، ص ٥٧.

(٢) في "تهذيب اللغة"، ص ٢٨/١.

(٣) في "المزهر" للسيوطي، ص ٣٩/١.

(٤) في "الجمهرة"، ص ٣/١.

بالتالى في التاريخ اللغوي والمعجمي العربي. ماذا عن مراجعة اللغوية؟ عنن أخذ؟ لا يتأخر الخليل في غير موضع من معجمه عن الإشارة إلى أنه هو الذي جمع وقيد هذا المعنى أو ذاك، أو يفيد، على سبيل المثال، أن هذا المعنى يرد في كلام "العامة" أو ينفي أحياناً ما لم يبلغه: " (...). ولم أسمع منه فعلاً"، أو يورد أقوالاً عما كان يسمعه في البصرة، أو ما جمعه من بوادي الحجاز ونجد وتهامة^(١).

إلى هذا يتضمن المعجم في غير موضع من متن التعريفات أقوالاً أو أسانيد لغوية لعدد من الخلفاء والصحابه مثل: عمرو بن الخطاب وعلى يوسف وخالد ابن صفوان وغيرهم. أو يعود إلى تفسيرات أو تعاليل لغوية أو معجمية للغويين ومفسرين مجايلين أو سابقين له مثل أبى الدقش والحسن البصرى ومالك ابن نويرة ونصر بن سيار وابن عباس وأبو هريرة وأبو بكر سيرين وأبي عمرو بن العلاء وسيبويه والأصمعي وغيرهم.

إذا كنا نتبين في قائمة الأسماء هذه عدداً من اللغويين المعروفين ما لا نحتاج للتعريف بهم، مثل ابن عباس، أول المفسرين، وأبي عمرو بن العلاء (٦٨ - ١٥٥ هـ) ونصر بن سيار (والد الليث) وغيرهم، فإننا نقع على عدد من الأعراب ممن أخذ في البصرة أو خارجها^(٢). من هؤلاء الأعراب

(١): سماع الخليل عن الأعراب:

"لم أسمع له فعلاً" (٣٩٢/٣)؛ "والعبارة نفسها في (٣٩٣/٣) وقد سمعناهم يقولون: نَعْسَان ونَعْسَى، حملوه على وَسَّان ووسنى، وربما حملوا الشيء على نظائره، وأحسن ما يكون ذلك في الشعر" (٣٣٨/٣)؛ "وسمعت أهل البصرة يُحْطِثُونَ من يقول الجهاز بالكسر" (٣٨٥/٣)؛ "وسمعتنا من فصحاء العرب من يقول:: (٢/٢٢٤)؛ "قال الخليل: سمعت كلمة شنعاء لا تجوز في التأليف الرباعي. سئل أعرابي عن ناقته فقال: تركتها ترعى الثُعُغُغُ، فسألنا الثقة من علمائهم فأنكروا أن يكون هذا الاسم من كلام العرب. وقال القُدُّ منهم: هي شجرة يُتَدَاوَى بورقها، وقال أعرابي: إنما هو الخُعُغُغُ، وهذا موافق لقياس العربية" (٢٧٤/٢)؛ "... وإنما الاستفحال على ما بلغنى من أهل كابل..." (٢٣٤/٣)؛ "رأيت يمانياً سئل عن (٤٢١/٨) وغيرها.

(٢): علماء اللغة والأعراب الرواة في "كتاب العين":

- ابن سيرين: ٢٣/٧ وغيرها.
- ابن عباس: ١٦٨/٣، ٦٢/٤ وغيرها.
- ابن القرية: ٧٤/٢، ٢٤/٦ وغيرها.
- ابن مسعود (القارئ): ١٩٢/٥ وغيرها.
- ١٥٤/٦، ٣١٣/٥، ١٨٠/٦، ٢٧٢/٦، ١٠٤/٧، ١١٠/٧، ٢٢٥/٧؛ "رؤى عن الحسن أنه قال... (١٨/٨)؛ "وفي مواضع الحسن... (٣٣٨/٨)؛ ١٢٨/٨، ٢٧٧/٨، ٣١٧/٨ وغيرها.

نتعرف إلى:

- أبو سعيد الضير، وهو أحمد ابن خالد البغدادي، وقد تأدب على عوسجة الذي استقدمه عبد الله بن طاهر حسبما وردت أخباره في "معجم الأدباء".

إلا أننا نقع على عدد واسع من الأسماء مما لا نحسن التعرف إليهم في صورة مؤكدة:

- حماس: ٣٦٧/١ "قال حماس وأرويه أيضاً" (٤٠/٢)؛ ٧٥/٢؛ "الشث: شجرٌ طيبُ الريح مرُّ الطعم، ينبث في جبال العُور ونجد، قاله أبو القش.. قال حماس الشث لا ينبث في نجد" (٢١٦/٦)؛ ٢٥١/٦؛ ٢٨٠/٦؛ ٢٨٤؛ ٣٦٨/٨ وغيرها.

- الراجز: ٦٦/١ وغيرها.

- رافع: ١٠٩/٢.

- زائدة:

المجلد الأول: ٨٩، ٩٣ (مرتان)، ٩٧ (مرتان)، ١٠٣، ١٠٨، ١٣٤، ١٤٨، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٥، ٢٥٦، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٨ (مرتان)، ٣٢١، ١٤١، ٣١٤/٢، ٣٣٤، "قال زائدة: البلعوم باطنُ العُنق كله، وليس كما قال" (٣٤١/٢)، ٣٤٦، ٣٤٧، ٩٦/٣، ١١٥، المجلد السادس: ١٢، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٣ (مرتان)؛ ٣٤ (مرتان)، ٣٨، ٤٦/٦، ٨٩، ٩٢، ٩٤، ١٠٠، ١٠٥، ١٠٧، ١١١، ١٤٠، ١٤٥، ١٥٨، ١٩٥/٧ وغيرها.

- زيد بن ثابت: "كنت أجمع القرآن من اللخاف وصدور الرجال" (٢٦٥/٤)؛

- الساجع: ٦٦/١؛ ٩٥/٢؛ ٢٦٦/٢؛ ٣١٩/٨ وغيرها

- سيبويه: ٢٠٠/١.

شجاع: ٣٠٣/١، ٣٥٣/١، لا أعرف ولكن أعرف (١٢/٢)، ١٣٤/٢، ١٣٧/٢، ١٤٩/٢ (مرتان)، ٣٢٧/٢ وغيرها.

- شريح: ١٤٤/٦، ١٤٧/٧ وغيرها.

- اضير:

المجلد الأول: ٩٧، ١٤٥، ١٩٩، ٢٠٢، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٢٦ (مرتان)، ٢٧٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٦،

المجلد الثالث: ٢٨، ٩٢، ٢٧٤؛

المجلد الرابع: ٢٢٠، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٦، "سمعتُ أبا عمرو ويقول.. " (٤٢١/٤)؛ ٤٢٤/٤،

المجلد الخامس: ٢٧٣/٥، ٣٣٠/٥، ٣٦٩/٥،

المجلد السادس: ٢٩/٦، ٧٢/٦، ٢٩٨/٦،

المجلد السابع: ٢٧/٧، ٣٨١/٧.

عبد الله (راوية): ٢٠٦/٢،

عرام السُّمى:

- عرام: أهو عرام بن أصبغ السمي، الذي ذكره القفطي على أنه من الأعراب الذين استقدمهم عبد الله ابن طاهر إلى نيسابور، في "معجم الأدباء"، وواضع كتاب "أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه" ^(١)؟ لا نقوى جواباً عن هذا السؤال، ذلك أن الكتب القديمة تفيدنا عن نحوى اسمه "عرام" أيضاً، وهو أبو الفضل الفباس بن محمد. إلا أن عدداً من الباحثين المحدثين، ممن درسوا "كتاب العين" مثل الشالقلنى وياسين وغيرهما، يميل إلى الاعتقاد بأن المقصود هو الأعرابي.

- مبتكر: أهو مبتكر الأعرابي الذي سكن خرسان، على حسب ما ورد في كتاب "الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث" للباحث ياسين ^(٢)؟

أن علماء عديدين، مثل أبي عمرو وغيره، كانوا لا يتأخرون عن الثقل عن كراريس تلاميذهم، سيما وأن البعض منهم، مثل الأصمعي وأبي عبيدة، كان يرتب نقوله في كراسات خاصة. قال

المجلد الأول ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٨، ١٠٨، ١١٩، ١٢٤، ١٣٦، ١٤٥، ١٤٧، ١٨٩، ٢٠٧، ١٨٩، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٣١، (مرتنان)، ٢٥٤، ٢٥٦، (٣مرات)، ٢٨١، ٢٨٤، ٣٠٥، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢١، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٣١، "لم يعرفه عرام ولم ينكره" (٣٠٦-٤مرات)، "روى عرام... (٣٠٨)"، "لم يعرفه أبو ليلى، وعرفه عرام" (٣١١)، "لم يعرفه ليلى وعرفه عرام" (٣١٥)، "لم يعرفه عرام ولا أبو ليلى" (٣٢٥)، "إلا أن عراماً ذكر أنه سمعه من أبي ذؤيب" (٣٤١)، ١٣٩، ٢٨٦، ٣٣٧،
المجلد الثاني: ٥٩، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨، (مرتنان)، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٣١٧،
- القاسم (شارح الشعر أحياناً: ٤/٤٢٤، ٥/١٩٠، ٥/١٩٢، ٥/٢٠٧، ٦/٥٣،
- القبيبي: ١٤٧/٧.

- الليث: "سمعتُ هاتين بخرسان... (٣٢/٣) وغيرها.

- مبتكر الأعرابي: ١/١٣٩، ١/١٤٩، ١/٢٣٢، ٦/١٤٣.

- مزاحم: ١/٣٥٢، ٢/٣٤٧، ٦/٢٩، ٦/٥٦، ٦/٦١، ٨/١١٨.

- مقاتل: ٥/٢٢٨، ٥/٣١٣.

- موسى: ١/٢٨٤، ٢/١٩.

- نصر بن سيار: ٣/٢١٥، ٦/٢١٩، ٨/٣١٥.

(١) ورد خبره في "معجم الأدباء" (٣/١٧)، وواضع كتاب "أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من الأشجار وما فيها من المياه"، الذي حققه الأستاذ عبد السلام هارون في نطاق "نواد المخطوطات" في سنة ١٩٥٦.

(٢) ص ٧٦، ويشتمل الكتب على مسرد بأسماء الأعراب الفصحاء الذين شافهم العلماء وأخذوا عنهم مروياتهم.

الأصمعي: "جئت إلى أبي عمرو ابن العلاء، فقال لي: من أين أقبلت يا أصمعي؟ قلت: جئت من المريد. قال: هات ما معك" (١).

ولكن، إذا لم نجد صعوبة في ورود هذه القول في "كتاب العين" فإننا لا نقف الموقف من تقول أخرى لعدد من الأعراب، الذين استقدمهم عبد الله ابن طاهر إلى نيسابور، ومنهم عرام بن الأبي السلمي، أو من سكنوا في خراسان مثل مبتكر، أو من الأعراب ممن لم يعرفوا في البصرة مثل: أبو ليلى وزائدة وحماس وغيرهم.

وما يسترعى انتباهنا في هذه القائمة، بعد أن تبينا حقيقة القول في "كتاب العين" هي الأسماء التالية: عرام، وأبو ليلى، وزائدة، والضرير. فإذا كنا نجد في غير مجلد من المعجم نقولاً عن أبي الدقيش أو عن أبي خيرة، فهو أمر طبيعي إذ إيهما يعدان من أشهر الأعراب الذين عرفوا في عصر الخليل في البصرة، أما أن يتضمن المعجم نقولاً عدة من أعراب ما عاشوا في البصرة، بل في خراسان ونيسابور، فهو أمر يستدعي أكثر من سؤال. فنحن نلاحظ أن الكتاب يتضمن نقولاً عن عرام يزيد عن ٥٠ مرة، وعن زائدة ما يزيد عن ٥٤ مرة، وعن الضرير ٣٣ مرة؛ لا بل تعدد القول عن هؤلاء، إلى جانب الحسن البصري وأبي الدقيش وأبي خيرة، وأقواها في "كتاب العين" هل يعنى هذا أن الخليل شافهم في نيسابور أو خراسان؟ لا تؤكد المصادر مثل هذه الرواية أبداً، على الرغم من ورود خبر في ترجمته عن زيارة قام بها إلى خراسان عند تلميذه الليث.

انتبهنا إلى أمر آخر في توزع هذه القول، وهي أنها لا تأتي مستقة، فنحن نلاحظ، على سبيل المثال، أن القول عن الحسن البصري، أو أبي الدقيش، أو أبي خيرة (أي الذين عرفهم الخليل في يشرحه لي، فرجعت من الحج، وصرت إليه فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما في صدر هذه الكتاب". كما يصف الليث، على ما أقادنا ابن النديم أيضاً طريقة الخليل في وضع معجمه: "فكان يملئ على ما يحفظ، وما شك فيه يقول لي: سل عنه فإذا صح فأثبتته، إلى أن عملت الكتاب" (٢).

في رواية الليث معطيات عدة، لا تفيد وحسب عن "الأصل النظري الذي أنشأ عليه الخليل معجمه، بل عن ملابسات وضعه وشروط تأليفه أيضاً: وضع الخليل خطة المعجم كما أملى على

(١) ورد الحديث في "ضحى الإسلام" ص ٨١/٢، طبعة عاشر، بيروت، ١٩٣٥.

(٢) في الفهرست، ص ٦٤-٦٥.

الليث ما حفظه وعرفه في مواد الكتاب، وما "شك فيه" دعا الليث إلى أن "يسأل" عنه و"يثبته" ألا تكون "الزوائد" (أي النقول التي تعود لأعراب ما عرفهم الخليل وما شافهم) من عمل الليث نفسه، بإشارة من الخليل، بعد أن قُيِّض لليث معرفتهم واللقاء بهم في نيسابرو وخرسان؟

ربما، هذا ما نميل إلى ترجيحه، لا سيما وأن المعجم يجمع في غير مادة من مواده ما يؤكد أو ما يعزز مثل هذه الفرضية. في غير مادة نراه يجمع بين عرام وأبي ليلى، المقيمين في بلاد فارس: "لم يعرفه (أي هذا اللفظ أو هذا المعنى) أبو ليلى، وعرفه عرام"، أو "لم يعرفه عرام ولا أبو ليلى". كما لو أن أحداً - أي الليث على الأرجح يفتح عليها ألفاظاً لـ "التثبت" منها، وفي الوقت عينه.

كما نفع أحياناً على "تصحيح" يؤرده زائدة، على سبيل المثال، فيؤكد مثلاً: "قال زائدة: البلعوم باطنُ العنق كله، وليس كما قالط، أي "يصحح" ما سبق ذكره في مادة "بلعم" نفسها، وهو التالي: "البلعوم: البياض الذي في جحلفة الحمار في طرف الأنف". كما لو أن الليث عرض على زائدة ما سبق له أن جمعه، أي أنه كان "يتثبت" من المعاني كيف لا، ونحن نجد في المعجم أيضاً إضافات تحقق منها الليث نفسه، حيث يقول في إحدى المواد على سبيل المثال: "قال الليث: سمعت هاتين بخرسان...". كما نفع في المعجم على أشياء أخرى.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ملحق

في جملة ما جمعه السيوطي

مما يتصل بكتاب العين في الزهر ١/٧٦-٩٢

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أول من صنّف في جمع اللغة العربية المسألة السادسة عشرة: (١)

أول مَنْ صَنَّفَ فِي جَمْعِ اللُّغَةِ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ؛ أَلَّفَ فِي ذَلِكَ كِتَابَ الْعَيْنِ الْمَشْهُورِ؛ قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ فِي الْمَحْصُولِ: أَصْلُ الْكُتُبِ الْمَصْنُوفَةِ فِي اللُّغَةِ كِتَابُ الْعَيْنِ؛ وَقَدْ أَطْبَقَ الْجُمْهُورُ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ عَلَى الْقَدْحِ فِيهِ. وَقَالَ السَّيرَافِيُّ فِي طَبَقَاتِ النُّحَاةِ - فِي تَرْجُمَةِ الْخَلِيلِ: عَمِلَ أَوَّلَ كِتَابِ الْعَيْنِ الْمَعْرُوفِ الْمَشْهُورِ الَّذِي بِهِ يَتَهَيَّأُ ضَبْطُ اللُّغَةِ، وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ مِنَ السَّيرَافِيِّ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الْخَلِيلَ لَمْ يَكْمَلْ كِتَابَ الْعَيْنِ، وَهُوَ الظَّاهِرُ لَمَّا سَيَّأَتْ مِنْ نَقْلِ كَلَامِ النَّاسِ فِي الطَّعْنِ فِيهِ، بَلْ أَكْثَرُ النَّاسِ أَنْكَرُوا كَوْنَهُ مِنْ تَصْنِيفِ الْخَلِيلِ.

قال بعضهم: ليس كتاب العين للخليل، وإنما هو لليث (٢) بن نصر بن سيار الخراساني. وقال الأزهرى: كان الليث رجلاً صالحاً عمل كتاب العين ونسبه إلى الخليل لينتق كتابه باسمه، ويرغب فيه (من حوله). (٣)

وقال بعضهم: عمل الخليل من كتاب العين قطعة من أوله إلى حرف الغين، وكمله الليث؛ ولهذا لا يُشبه أوله آخره.

وقال ابن المعتز: كان الخليل منقطعاً إلى الليث، فلما صنف كتابه العين خصه به، فحظي عنده جداً. ووقع منه موقعاً عظيماً، وهب له مائة أُل (درهم) (٢)، وأقبل على حفظه وملازمته؛ فحفظ منه النصف، (وكانت تحت ابنة عمه) (٢)، واتفق أنه اشترى جارية نفيسة، فغارت ابنة عمه، وقالت: والله لأغيظنه، وإن غيظته في المال (فذاك ما) (٣) لا يُبالي؛ ولكن أراه مكباً ليله ونهاره على هذا الكتاب، والله لأفجعنه به؛ فأخرقته. فلما علم اشتد أسفه، ولم يكن عند غيره منه نسخة؛ وكان الخليل قد مات فأملى النصف من حفظه (٤)، وجمع علماء عصره، وأمرهم أن يكملوه على نمطه، وقال لهم: مثلوا [عليه] (٢) واجتهدوا؛ فعملوا هذا التصنيف الذي بأيدي الناس. أورد ذلك ياقوت الحموي في معجم الأدباء. (٥) وقال أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي في كتاب مراتب النحويين: أبدع

(١) المزهر للسيوطي ٧٦/١ - ٩٢.

(٢) اسمه الليث بن مظفر بن نصر، وإنما نسبه إلى جده لشهرته، وقال الأزهرى: هو الليث بن رافع بن نصر.

(٣) زيادة من معجم الأدباء.

(٤) في معجم الأدباء: فكتب نصفه من حفظه.

(٥) صفحة ٤٦ جزء ١٧.

الخليل بدائع لم يُسبق إليها؛ فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في كتابه المسمى كتاب العين؛ فإنه هو الذي رتب أبوابه، وتوفى من قبل أن يحشوه.

أخبرنا محمد بن يحيى قال: سمعت أحمد بن يحيى ثعلب يقول: إنما وقع الغلط في كتاب العين؛ لأنَّ الخليل رسمه ولم يحشه، ولو كان هو حشاه ما بقي فيه شيء؛ لأنَّ الخليل رجل لم يَر مثله، وقد حشا الكتاب أيضاً قوم علماء، إلا أن لم يؤخذ منهم رواية، وإنما وجد بنقل الوراقين؛ فاختل الكتاب لهذه الجهة.

وقال محمد بن عبد الواحد^(١) الزاهد: قال: حدثني فتى قديم علينا من خراسان، وكان يقرأ عليّ كتاب العين، قال: أخبرني أبي عن إسحاق بن راهويه قال: كان الليث صاحب الخليل بن أحمد رجلاً صالحاً، وكان الخليل عمل من كتاب العين باب العين وحده، وأحب الليث أن ينفق سوق الخليل، فصنّف باقي الكتاب، وسمّى نفسه الخليل، وقال لي مرة أخرى: فسمّى لسانه الخليل من حبه للخليل بن أحمد. فهو إذا قال في الكتاب^(٢): قال الخليل بن أحمد: فهو الخليل. وإذا قال: وقال الخليل مطلقاً، فهو يحكي عن نفسه، فكل ما في الكتاب من خلل فإنه منه لا من الخليل. انتهى.

وقال النووي في تحرير التنبيه: كتاب العين المنسوب إلى الخليل إنما هو من جمع الليث عن الخليل.

ذِكْرُ قَدْحِ النَّاسِ فِي كِتَابِ الْعَيْنِ

تقدّم في كلام الإمام فخر الدين أنَّ الجمهورَ من أهل اللغة أطبقوا على القَدْحِ فيه، وتقدّم كلام ابن فارس في ذلك، في المسألة الرابعة عشرة. وقال ابنُ جنى في الخصائص: أما كتابُ العين ففيه من التَّخْلِيطِ والخلل والفساد ما لا يجوزُ أن يُحمل على أصغر أتباع الخليل، فضلاً عن نفسه، ولا محالة أن هذا التَّخْلِيطُ لحق هذا الكتاب من قبل غيره؛ فإن كان للخليل فيه عملٌ فلعلة أوماً إلى عمل هذا الكتاب إيحاءً ولم يله نفسه، ولا قرّره ولا حرّره، ويدلُّ على أنه كان نحاً نحوه أنني أجد فيه معاني غامضة، ونزوات للفكر لطيفة، وصيغة في بعض الأحوال مستحكمة؛ وذاكرت به يوماً أبا علي

(١) في معجم الأدباء: عن أبي عمر الزاهد.

(٢) العبارة في معجم الأدباء.

فإذا رأيت في الكتاب: سألت الخليل، أو أخبرني الخليل، فإنه يعني الخليل نفسه، وإذا قال: قال الخليل فإنما يعني لسان نفسه.

فرايئه مُكرراً له؛ فقلت له: إن تصنيفه مُنساق متوجه، وليس فيه التعسف الذي في كتاب الجمهرة؛ فقال: الآن إذا صنّف إنسان لغة بالتركية تصنيفاً جيداً يؤخذ به في العربية أو كلاماً هذا نحوه. انتهى.

وقال أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي اللّغوي، مؤلّف مختصر العين في أول كتابه - استِدراكُ الغلط الواقع في كتاب العين - وهو مجلد لطيف، يخاطب بعض إخوانه:

وصل إلينا - أيّدك الله - كتابك تذكر فيه ما أولع به قوم من ضعفة أهل النظر من التحامل علينا، والتسرع بالقول فينا بما نسبوه إلينا من الاعتراض على الخليل بن أحمد في كتابه، والتخطئة له في كثير من فصوله، وقلت: إنهم قد استمالو جماعة من الحشوية إلى مذهبهم، وعدلوا بهم إلى مقالاتهم بما ليسوا به، وشنعوا القول فيه، وسألت أن أحسم ما نجم من إفكهم، وأرد ما بدر من غرب ألسنتهم، ببيان من القول مفصح، واحتجاج من النظر موضح .

وقد كنت - أيّدك الله في صحّة تمييزك، وعظيم النعمة عليك - في نظرك جديراً ألا تُعرّج على قوم هم بالحال التي ذكّرت، وأن يقع لهم العذرُ لديك بوجوه جَمّة؛ منها: تخلفهم في النظر، وقلة مطالعتهم للكتب، وجهلهم بخدود الأدب، مع أن العلة الموجبة لمقاتلتهم، والباعثة لتسرّعهم علة الحسد الذي لا يُدأوى سَقَمه، ولا يُؤسّى جرحه، فقد قال الحكيم:

كُلُّ الْعَدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَى إِفَاقَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةً مِنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ^(١)

أوليس من العجب العجيب، والتأدير الغريب أن يتوهم علينا مَنْ به مُسَكّة من: نظري، أو رَمَق من: فهم، تخطئة الخليل في شيء من نظره، والاعتراض عليه فيما دقّ أو جلّ من مذهبه، والخليل بن أحمد أُوْحَدُ العصر، وقريع الدّهر، وجهيد^(٢) الأمة، وأستاذ أهل الفِطْنَة، الذي لم يُرْ نظيره، ولا عُرف في الدنيا عديلُه، وهو الذي بسط النحو، ومدّ أطنابه، وسبّب عِلَّه، وفَتّق معانيه، وأوضح الحِجَاج فيه، حتى بلغ أقصى حدوده، وانتهى إلى أبعد غاياته؛ ثم لم يرض أن يؤلّف فيه حرفاً أو يَرَسُم منه رَسْماً؛ نَزَاهَةً بنفسه، وترَفُعاً بقدره، إذ كان قد تقدّم إلى القول عليه والتأليف فيه؛ فَكِرَهُ أن يكون لمن تقدّمه

(١) روى هذا البيت في عيون الأخبار صفحة ١٠ جزء رابع هكذا:

كل العداوة قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك من حسد

(٢) الجهيد: النقاد الخير.

تالياً، وعلى نظَرٍ من سَبْقُهُ مُحْتَدِيًا، واكتفى في ذلك بما أَوْحَى إلى سيبويه من عِلْمِه، ولَقَّنَه من دقائق نظره، ونتائج فكره، ولطائف حكمته؛ فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلّده، وألّف فيه الكتاب الذي أعجزَ من تقدّم قبله، كما امتنع على مَنْ تأخَّر بعده. ثم ألّف على مذهب الاختراع وسبيل الإبداع كتابي الفرش والمثال في العروض؛ فحصرَ بذلك جميع أوزان الشعر، وضَمَّ كلَّ شيءٍ منه إلى حيزه، وألحقه بشكّله، وأقام ذلك عن دوائر أعجزَت الأذهان، وبهرت الفطن، وغمرت الألباب؛ وكذلك ألّف كتاب الموسيقى، فزَمَّ فيه أصناف النغم، وحصر به أنواع اللحن، وحدّد ذلك كله، ولخصه، وذكر مبالغ أقسامه، ونهايات أعداده؛ فصار الكتابُ عبرة للمعتبرين وآيةً للمتوسمين.

ولما صنع إسحاق إبراهيم كتابه في النغم واللحن عَرَضَه على إبراهيم بن المهدي، فقال له: لقد أحسنت يا أبا محمد؛ وكثيراً ما تُحسِّن! فقال إسحاق: بل أحسن الخليل؛ لأنه جعل السبيل إلى الإحسان. فقال إبراهيم: ما أحسن هذا الكلام! فممن أخذته؟ قال: من ابن مُقْبِل، إذ سمع حمامة فاهتاج، فقال:

ولو قَبِلَ مَبْكَاهَا بَكِيْثُ صَبَابَةٍ إِذَا لَشَفِيَتِ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
ولكن بَكْتُ قَبْلِي فَهَاجَ لِي الْبُكَاءُ بُكَاهَا فَقُلْتُ: الْفَضْلُ لِلْمَتَقَدِّمِ

ثم ذهب بعد - في حَصْر جمع الكلام - مذهبه من الإحاطة التي لم يتعاطاها غيره ولا تعرّضها^(١) أحدٌ صواه؛ فثَقَّفَ^(٢) الكلام وزَمَّ جميعه، وبيّن قيام الأبنية من حروف المعجم، وتعاقب الحروف لها بنظر لم يتقدم فيه، وإبداع لم يُسَبَق إليه؛ ورَسَمَ في ذلك رُسوماً أكمل قياسها، وأعطى الفائدة بها؛ فكان هذا قدره في العلم، ومبلغه من النفاذ والفهم، حتى قال بعض أهل العلم: إنه لا يجوزُ على الصُّراط بعد الأنبياء عليهم السلام أحدٌ أدقُّ ذهنًا من الخليل؛ ولو أن الطاعنَ علينا يتصفّح صَدْرَ كتابنا "المختصر من كتاب العين" لَعَلِمَ أَنَّا نَزَّهْنَا الخليل عن نِسْبَةِ المُحال^(٣) إليه، ونَقَيْنَا عنه من القَوْل ما لا يليقُ به، ولم نَعُدْ في ذلك ما كان عليه أهل العلم وحدّاق أهل النظر.

وذلك أَنَّا قلنا في صَدْر الكتاب: ونحن نُرَبِّأُ بالخليل عن نِسْبَةِ الخَلَلِ إليه أو التعرّض للمقاومة له؛ بل نقول: إن الكتاب لا يصحّ له ولا يثبتُ عنه؛ وأكثرُ الظن فيه أن الخليل سَبَّبَ أصله، وثَقَّفَ كلام

(١) في القاموس: تعرض له: تصدى. وفي الأساس: تعرضت الإبل المدارج: أخذت فيها يميناً وشمالاً.

(٢) ثَقَّفَ: سَوَّى.

(٣) المُحال من الكلام: ما عدل عن وجهه كالمستحيل.

العرب، ثم هلك قبل كماله؛ فتعاطي إتمامه من لا يقوم في ذلك مقامه؛ فكان ذلك سبب الخلل الواقع فيه والخطأ الموجود فيه.

هذا لفظنا نصاً؛ وقد وافقنا بذلك مقالة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب قبل أن نطالعها أو نسمع بها، حتى ألفيناها بخط الصولي في ذكر فضائل الخليل.

قال الصولي: سمعت أبا العباس ثعلباً يقول: إنما وقع الغلط في كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يحشه؛ ولو أن الخليل هو حشاه ما بقي فيه شيئاً؛ لأن الخليل رجل لم يبر مثله.

قال: وقد حشا الكتاب قوم علماء، إلا أنه لم يؤخذ عنهم رواية، إنما وجد بنقل الوراقين؛ فلذلك اختل الكتاب.

ومن الدليل على ذكره أبو العباس من زيادات الناس فيه اختلاف نسخه، واضطراب رواياته؛ إلى ما وقع فيه من الحكايات عن المتأخرين، والاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين؛ فهذا كتاب ابن منذر^(١) ابن سعيد القاضي الذي كتبه بالقيروان، وقابله بمصر بكتاب ابن ولاد^(٢)، وكتاب ابن ثابت المنتسخ بمكة قد طالعناهما، فألفينا في كثير من أبوابهما: أخبرنا المسعري عن أبي عبيد، وفي بعضه: قال ابن الأعرابي^(٣)، وقال الأصمعي؛ هل يجوز أن يكون الخليل يروي عن الأصمعي، وابن الأعرابي، أو أبي عبيد^(٤)، فضلاً عن المسعري؟ وكيف يروي الخليل عن أبي عبيد وقد توفي الخليل سنة سبعين ومائة؟ وفي بعض الروايات سنة خمس وسبعين ومائة؟ وأبو عبيد يومئذ ابن ست عشرة سنة. وعلى الرواية الأخرى ابن إحدى وعشرين سنة؛ لأن مولد أبي عبيد سنة أربع وخمسين ومائة، ووفاته سنة أربع وعشرين ومائتين؛ ولا يجوز أن يُسمع عن المسعري علم أبي عبيد إلا بعد موته، وكذلك كان سماع الخشنى منه سنة سبع وأربعين ومائتين؛ فكيف يُسمع الموتى في حال موتهم، أو ينقلون عن من ولد من بعدهم؟

وحدثنا إسماعيل بن القاسم البغدادي - وهو أبو علي القالي - قال: لما ورد كتاب العين من بلد

(١) انظر ما سيجيء فيمن روى كتاب العين.

(٢) ابن ولاد: هو محمد بن الوليد التميمي، نحوي من أهل مصر مولداً ووفاته، توفي سنة ٢٩٨هـ.

(٣) ابن الأعرابي: هو أبو عبد الله محمد بن زياد الكوفي من أكابر أئمة اللغة، توفي سنة ٢٣١هـ.

(٤) أبو عبيد: هو القاسم بن سلام وتوفي بمكة سنة ٢٢٤هـ. وقيل إنه ولد سنة ١٦٠هـ، والخليل توفي سنة ١٧٠هـ والأصمعي توفي سنة ٢١٦هـ.

خُرَاسَان في زمن أبي حاتم أنكره أبو حاتم وأصحابه أشدَّ الإنكار، ودفعه بأبلغ الدفع، وكيف لا ينكره أبو حاتم على أن يكون بريئاً من الخلل سلباً من الزلل، وقد غرَّب^(١) أصحاب الخليل بعد مدة طويلة لا يعرفون هذا الكتاب ولا يسمعون به، منهم النضر^(٢) بن شميل، ومؤرِّج^(٣)، ونصر بن علي، وأبو الحسن الأخفش وأمثالهم؛ ولو أن الخليل ألَّف الكتاب لحمله هؤلاء عنه، وكانوا أولى بذلك من رجل مجهول الحال غير مشهور في العلم انفراد به، وتوحد بالنقل له؛ ثم درج أصحاب الخليل فتوفي النضر بن شميل سنة ثلاث ومائتين، والأخفش سنة خمس عشرة ومائتين، ومؤرِّج سنة خمس وتسعين ومائة^(٤)؛ ومضت بعد مدة طويلة، ثم ظهر الكتاب بأخرة^(٥) في زمان أبي حاتم وفي حال رياسته، وذلك فيما قارب الخمسين والمائتين؛ لأن أبا حاتم تُوفي سنة خمس وخمسين ومائتين، فلم يلتفت أحدٌ من العلماء إليه يومئذٍ، ولا استجازوا رواية حرفٍ منه؛ ولو صحَّ الكتاب عن الخليل لبدر الأصمعي واليزيدي^(٦) وابن الأعرابي وأشباههم إلى تزوين كُتبهم، وتحلية علمهم بالحكاية عن الخليل والنقل لِعَلِّمِهِ، وكذلك من بعدهم كأبي حاتم وأبي عبيد ويعقوب^(٧) وغيرهم من المصنفين؛ فما عَلِمْنَا أحداً منهم نَقَلَ في كتابه عن الخليل من اللغة حرفاً.

ومن الدليل على صحة ما ذكرناه أن جميع ما وَقَعَ فيه من معاني النحويِّ إنما هو على مذهب الكوفيين، وبخلاف مذهب البصريين؛ فمن ذلك ما بُدِئَ الكتاب به، وبُني عليه من ذكر تَخارج الحروف في تقديمها وتأخيرها؛ وهو على خلاف ما ذكره سيبويه عن الخليل في كتابه، وسيبويه حاملٌ علم الخليل، وأوثق الناس في الحكاية عنه؛ ولم يكن لِيُخْتَلَفَ قوله، ولا لِيَتَنَاقَضَ مذهبه؛ ولسنا نريدُ تقديم حرفِ العين خاصة للوجه الذي اعتلَّ به؛ ولكن تقديم غير ذلك من الحروف وتأخيرها. وكذلك ما مضى عليه الكتاب كُلُّهُ من إدخال الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف، وهو

(١) في كل النسخ عبر بالعين، وغبر: مكث.

(٢) النضر بن شميل: هو من أصحاب الخليل؛ عالم بفنون من العلم، توفي سنة ٢٠٣ هـ.

(٣) مؤرِّج: هو أبو فيد مؤرِّج بن عمرو السدوسي اللغوي البصري أخذ عن الخليل وأبي زيد الأنصاري توفي سنة ١٩٥ هـ.

(٤) زيادة عن فقه اللغة للثعالبي، والأعلام للزركلي.

(٥) يقال: جاء بأخرة: أي آخر كل شيء.

(٦) اليزيدي: هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، توفي سنة ٢٠٢ هـ.

(٧) يعقوب: هو يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت، إمام في اللغة والأدب، توفي سنة ٢٤٤ هـ.

مذهب الكوفيين خاصة. وعلى ذلك استمر الكتاب من أوله إلى آخره. إلى ما سنذكره من نحو هذا. ولو أن الكتاب للخليل لما أعجزه ولا أشكل عليه تثقيف الثنائي الخفيف من الصحيح والمعتل، والثنائي المضاعف من المعتل، والثلاثي المعتل بعينين؛ ولما جعل ذلك كله في باب سماء: "اللفيف" فأدخل بعضه في بعض، وخلط فيه خلطاً لا ينفصل منه شيء عما هو بخلافه، ولو وضع الثلاثي المعتل على أقسامه الثلاثة ليستبين معتل الياء من معتل الواو والهمزة، ولما خلط الرباعي والخماسي من أولهما إلى آخرهما.

ونحن على قدرنا قد هدبنا جميع ذلك في كتابنا المختصر منه، وجعلنا لكل شيء منه باباً يحضره، وعدداً يجمعه. وكان الخليل أولى بذلك وأجدر، ولم نحك فيه عن الخليل حرفاً، ولا نسبنا ما وقع في الكتاب عنه؛ توخياً للحق، وقصداً إلى الصدق، وأنا ذاكر الآن من الخطأ الواقع في كتاب العين ما لا يذهب على مَنْ شداً^(١) شيئاً م النحو، أو طالع باباً من الاشتقاق والتصريف؛ ليقوم لنا العذر فيما نرهنه الخليل عنه. انتهى كلام الزبيدي في صدر كتاب الاستدراك.

قلت: وقد طالعتُه إلى آخره، فرأيت وجه التخطئة فيما تُخطئ فيه غالبه من جهة التصريف والاشتقاق؛ كذكر حرفٍ مزيد في مادة أصلية، أو مادة ثلاثية في مادة رباعية ونحو ذلك، وبعضه ادعى فيه التصحيح، وأما أنه يُخطأ في لفظة من حيث اللغة بأن يقال: هذه اللفظة كذب، أو لا تُعرف، فمعاذ الله، لم يقع ذلك.

وحينئذ لا قدح في كتاب العين؛ لأن الأول الإنكار فيه راجع إلى الترتيب والوضع في التأليف، وهذا أمر هين، لأن حاصله أن يقال: الأولى نقل هذه اللفظة من هذا الباب وإيرادها في هذا الباب. وهذا أمر سهل، وإن كان مقام الخليل يُنزه عن ارتكاب مثل ذلك إلا أن الإمام فخر الدين في النوع الثالث.

فائدة - ممن ألف أيضاً الاستدراك^(٢) على العين أبو طالب المفضل بن سَكَمَة ابن عاصم^(٣) الكوفي من تلامذة ثعلب، قال أبو الطيب اللغوي: ردّ أشياء من كتاب العين للخليل^(٤) أكثرها غير

(١) شدا شيئاً من كذا: أي أخذ طرفاً منه.

(٢) ذكره في معجم الأدباء باسم: الرد على الخليل وإصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمحال.

(٣) المفضل بن سلمة: لغوي نحوي كوفي، توفي سنة ٢٥٠ هـ. وفي اللسان: التلاميذ مفرداً تلميذ.

(٤) الزيادة من معجم الأدباء.

مردود؛ وأبو طالب هذا متقدّم الوفاة على الزبيدي.^(١)

فائدة - قال أبو الحسن الشّاري في فهرسته: كان شيخنا أبو ذر يقول: المختصرات التي فضّلت على الأمّهات أربعة: مختصر العين للزبيدي، ومختصر الزّاهر^(٢) للزجاجي، ومختصر سيرة ابن إسحاق لابن هشام، ومختصر الواضحة للمفضل^(٣) بن سلمة.

قال الشاري: وقد لهج الناس كثيراً بمختصر العين للزبيدي فاستعملوه وفضّلوه على كتاب العين؛ لكونه حدّف ما أورده مؤلف كتاب العين من الشواهد المختلفة، والحروف المصحّفة، والأبنية المختلة، وفضّلوه أيضاً على سائر ما ألّف على حروف المعجم من كتب اللغة، مثل جمهرة ابن دريد، وكتب كراع، لأجل صغر حجمه؛ وألحق به بعضهم ما زاده أبو علي البغدادي في "البارع" على كتاب العين فكثرت الفائدة.

قال: ومذهبي، ومذهب شيخي أبي ذر الحُشني، وأبي الحسن بن خُروف أن الزبيدي أدخل بكتاب العين كثيراً لحذفه شواهد القرآن والحديث، وصحيح أشعار العرب منه.

ولما علّم ذلك من مختصر العين الإمام أبو غالب تمام^(٤) بن غالب المعروف بابن التّياني عمل كتابه العظيم الفائدة، الذي سمّاه بفتح^(٥) العين، وأتى فيه بما في العين من صحيح اللغة الذي لا اختلاف فيه على وجهه، دون إخلال بشيء من شواهد القرآن، والحديث، وصحيح أشعار العرب، وطرح ما فيه من الشواهد المختلفة، والحروف المصحّفة، والأبنية المختلة، ثم زاد فيه ما زاده ابنُ دريد في الجمهرة، فصار هذا الديوان محتوياً على الكتابين جميعاً، وكانت الفائدة فيه فضّل كتاب العين من الجمهرة، وسياقه بلفظه لينسب ما يحكى منه إلى الخليل، إلا أن هذا الديوان قليل الوجود، لم يعرج

(١) الزبيدي: محمد بن الحسن الأندلسي، صاحب مختصر العين، توفي سنة ٣٧٩هـ.

(٢) الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس: كتاب لأبي بكر محمد بن أبي محمد القاسم الأنباري النحوي المتوفى سنة ٣٢٨هـ، واختصره الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى سنة ٣٤٠هـ.

(٣) الواضحة في تجويد الفاتحة قصيدة دالية في اثنين وعشرين بيتاً، وهي للشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر المتوفى سنة ٧٣٢هـ، وقد اختصرها فضل بن سلمة، وفي كل النسخ المفضل بن سلمة. وهذه رواية كشف الظنون.

(٤) هو تمام بن غالب بن عمر المرسى الأندلسي، أديب لغوي، له كتاب الموعب في اللغة، ويعرف بابن التّيان، قال في معجم الأدباء: عند الحميدي والضبي ووفيات الأعيان التّياني، وقالوا: في التعليل لهذه النسبة: نظن أنه نسبة إلى بيع التين توفي ٤٣٦هـ.

(٥) اسم مؤلفه في معجم الأدباء: تلقيح العين.

الناس على نَسْخه؛ بل مالوا إلى جهمرة ابن دريد، ومُحْكَم ابن سيدة^(١)، وجامع ابن القَزَاز^(٢)، وصِاح الجوهري، ومُجْمَل ابن فارس، وأفعال ابن القُوطية^(٣) وابن طريف، ولم يعرجوا أيضاً على بارع أبي علي البغدادي، ومُوعَب أبي غالب بن التَّياني المذكور، وهما من أصَح ما أُلِّف في اللغة على حروف المعجم؛ والكتب التي مالوا إلى الاعتناء بها قد تكلَّم العلماء فيها؛ إلا أن الجمهرة لابن دُرَيْد أثنى عليه كثير من العلماء، ويوجد منه النُّسخُ الصحيحة المروية عن أكابر العلماء.

وقال بعضهم: إنه من أحسن الكتب المؤلفة على الحروف، وأصحتها لغة؛ وقد أخذه أبو علي الفارسي النحوي، وأبو علي البغدادي القالي، وأبو سعيد السيرافي النحوي وغيرهم من الأئمة.

وأما كتاب العين المنسوب إلى الخليل فهو أصل في معناه، وهو الذي نهج طريقة تأليف اللغة على الحروف؛ وقديماً اعتنى به العلماء، وقبَّله الجهابذة؛ فكان المبرِّد يرفع من قدره، ورواه أبو محمد دَرَسْتويه؛ وله كتاب في الردُّ على المفضَّل بن سلمة فيما نسبته من الخلل إليه، ويكاد لا يوجد لأبي إسحاق الزجاجي حكاية في اللغة إلا منه؛ وقد تكلَّم الناس فيه بما هو مشهور؛ وأصحُّ كتاب وُضع في اللغة على الحروف بارعُ أبي علي البغدادي ومُوعَب ابن التَّياني. انتهى.

فائدة - ترتيب كتاب العين ليس على الترتيب المعود الآن في الحروف، وقد أكثر الأدباء من نظم الأبيات في بيان ترتيبه؛ من ذلك قول أبي الفرج سلمة بن عبد الله (بن دنان)^(٤) المعافري الجزيري:

يا سائلي عن حروف العين دونكها في رتبة ضمها وزن وإحصاء
العين والحاء ثم الهاء والحاء والغين والقاف ثم الكاف أكنفاء
والجيم والشين ثم الضاد يتبعها صاد وسين وزاي بَعْدَها طاء
والدال والتاء^(٥) ثم الطاء متّصل بالظاء ذال وطاء بعددها راء
واللام والنون ثم ألفاء والباء والواو والمهموز والياء

(١) ابن سيدة: علي بن إسماعيل، إمام في اللغة والأدب، ولد بمرسية في شرق الأندلس، صنف المخصص والمحكم، توفي سنة ٤٥٨ هـ.

(٢) ابن القَزَاز: محمد بن العباس بن أحمد بن القَزَاز توفي سنة ٣٨٤ هـ.

(٣) ابن القوطية: محمد بن عمر بن عبد العزيز الأندلسي، من أعلم أهل زمانه باللغة، له كتاب الأفعال الثلاثية والرباعية، توفي سنة ٣٦٧ هـ.

(٤) زيادة ليست في كشف الظنون.

(٥) في كشف الظنون: والدال أيضاً لها كالطاء متصل... الخ.

قال أبو طالب المفضل بن سَلَمَة الكوفي: ذكر صاحبُ العين أنه بدأ كتابه بحرف العين؛ لأنها أَقْصَى الحروف مَخْرَجاً، قال: والذي ذكره سيبويه أن الهمزة أَقْصَى الحروف مَخْرَجاً. قال: ولو قال بدأتُ بالعين؛ لأنها أَكْثَرُ في الكلام، وأشدُّ اختلاطاً بالحروف، لكان أولى.

وقال ابنُ كَيْسَانَ^(١): سمعتُ مَنْ يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة؛ لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف، لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلى زائدة أو مُبَدَّلَة، ولا باهاء؛ لأنها مهموسة خفيفة لا صوت لها؛ فنزلتُ إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجدتُ العين أنصَحَ الحرفين؛ فابتدأتُ به ليكون أحسنَ في التآليف، وليس العلمُ بتقدّم شيء على شيء؛ لأنه كلّهُ مما يُحتاج إلى معرفته؛ فبأيّ بدأتُ كان حسناً، وأولاهُ بالتقديم أكثرُها تصرفاً. انتهى.

وقال أبو العباس أحمد^(٢) بن ولاد في كتاب الملقصور والممدود: لعلَّ بعضَ مَنْ يقرأ كتابنا يُنكِرُ ابتداءنا فيه بالألف على سائر حروف المعجم؛ لأنها حرفٌ معتلٌّ؛ ولأن الخليل تَرَكَ الابتداء به في كتاب العين، لأنَّ كتاب العين لا يمكن طالب الحرفِ منه أن يَعْلَمَ موضعه من الكتاب، من غير أن يقرأه، إلا أن يكونَ قد نظر في التصريف، وعرفَ الزائد والأصلي، والمعتلَّ والصحيح، والثلاثي والرباعي والخماسي، ومراتب الحروف من الحلق واللسان والشَّفة، وتصريفَ الكلمة على ما يمكنُ من وجوه تصريفها في اللفظ على وجوه الحركات وإلحاقها ما تحتل من الزائد، ومواضع الزوائد بعد تصريفها بلا زيادة. ويحتاجُ مع هذا إلى أن يعلمَ الطريقَ التي وصلَ الخليل منها إلى حَضَر كلام العرب؛ فإذا عرفَ هذه الأشياء عرفَ مَوْضِع ما يطلبُ من كتاب العين. قال: وكتابنا قَصَدْنَا فيه التقريب على طالب الحَرْف، وأن يستوي في العلم منه بموضعه العالم والمتعلّم. انتهى.

تذنيب - قال تاج الدين أحمد (بن عبد القادر^(٣) المعروف بان) مكتوم (القَيْسِي النحوي^(٤)) في تذكرته^(٥): سُئِلَ بعضهم لم سَمِّي كتاب الجيم - تصنيف أبي عمرو وإسحاق بن مرار الشيباني - بهذا الاسم؟ فقال: لأن أوله حرف الجيم، كما سَمِّي كتاب العين؛ لأن أوله حرفُ العين. قال: فاستحسننا ذلك؛ ثم وقفنا على نسخة من كتاب الجيم فلم نجدَه مبدوءاً بالجيم.

(١) ابن كيسان: هو محمد بن أحمد، نحوي أخذ عن المبرد وثلعب، توفي سنة ٢٩٩هـ.

(٢) أحمد بن ولاد: أحمد بن محمد بن الوليد من أهل بيت علم، توفي سنة ٣٠٢هـ.

(٣) زيادة عن كشف الظنون.

(٤) في ثلاثة مجلدات سماها "قيد الأوابد" وقد تُوفِّي سنة ٤٧٩هـ. كما في "كشف الظنون".

فائدة - روى أبو علي الغساني كتاب العين عن الحافظ أبي عمر بن عبد البر، عن عبد الوارث بن سفيان، عن القاضي منذر بن سعيد^(١) عن أبي العباس أحمد بن ولاد المصري، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن مهدي عن أبي معاذ عبد الجبارين يزيد عن الليث بن المظفر، بن نصر بن سيار عن الخليل.

(١) قال صاحب تحرير الصواب في الطبعة الأميرية: قال السيد مرتضى في شرحه: قلت هو صاحب النسخة المشهورة التي كتبها بالقيروان وقابلها بنسخة شيخه بمكة. وقد مر ذكر هذه النسخة، وقد نسبها المؤلف إلى ابن منذر بن سعي.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

خاتمة

وفيها عرض لما في " العين " الذي جاء فيه غيره مما أثبتته أصحاب الخليل وتلاميذه

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رأيت أن أشير في خاتمة هذا ما ناقض الخليل في مسائل كثيرة أثبتتها سيبويه في الكتاب ما جاء في " العين " ولم يكن سيبويه وحده في هذا الأمر فقد رأيت أبا عثمان المازني قد كان له في مروياته عن الخليل أشياء أخلت بها مادة " العين " ، بل إن الخليل أثبت ما يناقضها.

وليس لنا أن ننكر ما رواه سيبويه عن أبي عبد الرحمن الخليل ، وهو كثير ، وعلى هذا كان للمنكرين للعين حجتهم التي استندوا إليها . وسأتي إلى مواد كثيرة أستظهر بها على ما قدمته مما كان في " العين " من فساد الصنعة التي أدخلها فيه الليث وغيره .

لقد كان أبو عثمان المازني (المتوفى سنة ٢٤٧هـ) من أصحاب الخليل قد أثبت شيئاً من أقوال الخليل في كتابه " التصريف " وأن أبا الفتح بن جني قد أفاد منها في شرحه الذي وسمه بـ " المنصف " فكان في جملة المنكرين من اللغويين لكتاب العين . لقد جاء في " الخصائص " :

" أن في العين من التخليط والخلل والفساد ما لا يجوز على أصغر أتباع الخليل فضلاً عن نفسه " ^(١) وقد أشار ابن جني في كتابه هذا إلى إنكار أبي علي الفارسي نسبة الكتاب للخليل مادةً ومنهجاً ^(٢) . وأضيف إلى أولئك اللغويين أبا حاتم السجستاني والمبرد وغيرهما .

وأعود إلى ابن جني في كتابه " المنصف " الذي جعله شرحاً لتصريف المازني ، قال فيه :

قال أبو عثمان المازني : زعم الخليل أن " دُلامصاً " الميم فيه زائدة ، وهو " فُعَالل " . والدليل على ذلك قولهم : دُلاص ودليص في معنى دُلامص " ، بينما نجد في " العين " الدُّلامص في باب الرباعي دلمص " عادةً الميم غير زائدة .

وجاء في العين ^(٣) " في باب الهاء والكاف من الرباعي " هركل " : امرأة هركولة ، ذات فخذين وجسم وعجز ، ورجل هراكل : جسيم ضخم " . ^(٤)

وقال أبو عثمان المازني ^(٥) في هذا : " وقد حُكي عن الخليل أنه كان يقول : إن الهاء في " هرْكولة "

(١) الخصائص ٣/٣٨٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) العين ١٧٨/٧ .

(٤) المصدر السابق ١١٢/٤ .

(٥) المنصف ٢٥/١ .

زائدة لأنها تركل في مشيها، وهو "هفعولة".

وهذا يعني أن الاصل ثلاثي هو "ركل".

وقال المازني: "وزعم الخليل أنّ "فرسنا" النون فيه زائدة لأنها عنده من "فرس يفرس" ...^(١) وجاء غير هذا في "العين" وهو "الفرسن" من الرباعي، والنون فيه أصلية.

ولني لأجتزئ بهذين اللفظين عن كثير مما أثبتته ابن جنى في "المنصف" عن المازني.

وأتحوّل إلى مادة "خَنَفَقِيق" التي جاء فيها في "العين" أنها حكاية جري الخيل^(٢). ولكننا نجد في الكتاب مما أشار إليه سيبويه إلى أن النون زائدة في "خنفقيق" قال (أي الخليل): "وإنما جعلتها من "خَفَقَ... يَخْفُقُ" كما تخفُقُ الريح"^(٣).

ومن هذا مادة "عرضن" في "العين": قال الخليل: "العَرَضَنَة عدوٌّ في اشتقاق..."^(٤)

وقد أشار سيبويه إلى زيادة النون في "العرضنة"^(٥).

ومن هذا الاختلاف بين "العين" و"الكتاب" مما ذكره الخليل، مادة "جُنْدَب" جاء في "العين": "أنه الذكر من الجرّاد..."^(٦) وفي "الكتاب": "إن النون زائدة."^(٧)

وأتحوّل إلى مادة "هتي" وهي في "العين": "هاتِ اشتقاقه من هاتِي يهاتي، الهاء أصلية..."^(٨) وجاء في "الصحاح" للجوهري: "هيت" قال الخليل: أصل "هاتِ" من آتِي، يُؤَاتِي، فقلبت الألف هاء^(٩).

وقد بدا لي الاضطراب في وضع المادة في غير موضعها في كتاب العين، وأذكر من هذا: اللَّفِيف

(١) العين ٢٤٣/٧ وقال الخليل: أصل "الفرس" الدَّق، ومنه قيل للأسد "فرناس" كما في "المنصف".

(٢) العين ٣٢٢/٤.

(٣) الكتاب ٣٢٠/٤.

(٤) العين ٣٢٥/٢.

(٥) الكتاب ٣٢٠/٤.

(٦) العين ٢٠٦/٦.

(٧) الكتاب ٢٢١/٤.

(٨) العين ٨٠/٤.

(٩) الصحاح (هتي).

في مادة "حيو" من "العين": "كُلُّ ذي روح، الواحد والجميع سواء" ^(١)، وللخليل غير هذا في كتاب "المنصف" مما نقل ابن جنى من كلام الخليل فيما رواه المازني، قال: حيوان، قلبوا فيه الياء واواً، لثلاثاً تجتمع ياءان، استثقلاً للحرفين من جنس واحد يلتقيان ^(٢).

ولو كان لي أن أستوفي هذا في "خاتمتي" هذه لابتعدت في عدّة صفحاتها عن كونها خاتمة في كُتبي هذا.

وإني لأجد في "العين" شواهد للمحدثين المولدين من الشعراء نحو صالح بن عبد القدوس، وسابق البريري وبشار وغيرهم، وهذا يبتعد عن رأي الخليل وعلمه، وأني لأستظهر على هذا بشعراء الكتاب الذي استشهد بأشعارهم الخليل وسببويه.

وهل لنا أن نقبل شيئاً قاله الخليل في "العين" يرويه عن الأصمعي؟ وهذا مما نرفضه بحسب معرفتنا للرجال واللغويين الأوائل، ومثل هذا ظهور الكوفيين الذين لم يكن لهم لقاء بالخليل باستثناء الكسائي ومن هؤلاء: أبو عمرو الشيباني والفرّاء وابن الأعرابي.

وفي الكتاب روايات عن رجال كانوا طلاباً صغاراً في عصر الخليل مثل أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة، وأبو حاتم، وأبو سعيد الضير.

وأما حديث الأعراب الذين جاء ذكرهم في العين وهم ثلاثة عشر، ولم نعرف عن هؤلاء إلا القليل في كتب الأعراب ككتاب الشلقاني "الأعراب الرواة"، وكتاب خليل مردم "الأعرايات". وأختم خاتمتي هذه وما أراني قد أسرفت فيها لأنني لو فعلت ذلك لابتعدت عما أنا فيه من الإيجاز.

(١) العين ٣/٣١٧.

(٢) المنصف ٢/٢٨٥.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مصادر الكتاب

- ١ - أخبار النحويين البصريين للسيرافي، طبع الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٤ .
الأعراب الرواة للشلقاني، طبع في القاهرة.
الأعلام للزركلي، الطبعة الثانية، القاهرة.
الاقتراح للسيوطي، طبع في حيدر أباد - الركن.
إنباه الرواة للقفطي، دار الكتب المصرية.
البارع للقالبي، مكتبة النهضة ببغداد
بغية الوعاة للسيوطي، طبع السعادة ١٣٢٦ هـ، والطبعة الحديثة بتحقيق أبو الفضل إبراهيم.
تاج العروس للزبيدي، القاهرة ١٣٠٦ هـ.
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، القاهرة ١٣٤٩ هـ.
التصريف الملوكي لابن جني، طبع مصر.
التلخيص للعسكري، مجمع اللغة العربية بدمشق.
التهذيب للأزهري، طبع مصر.
الخصائص لابن جني، دار الكتب المصرية.
شرح اشتقاق أسماء الله للزجاجي، طبع ببغداد.
شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكري، طبع مصر.
شرح المفصل لابن يعيش، طبع المنيرية بالقاهرة.
الصاحبي لابن فارس، طبع السلفية بالقاهرة
الصحاح للجوهري، دار الكتاب العربي بمصر.
طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، مطبعة السعادة ١٩٥٤ .
فهرسة ابن خير الإشيلي، طبعة أوروبية.
الفهرست لابن النديم، طبع الرحمانية بمصر.
القاموس المحيط للفيروز آبادي، طبع مصر.
الكتاب لسيبويه، طبع بولاق، وطبعة حديثة أخرجها عبد السلام محمد هارون.
كتاب العين للخليل بن أحمد، طبع وزارة الإعلام ببغداد.

لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت.
المحيط للصاحب بن عباد بتحقيق محمد حسن آل ياسين ببغداد.
مدرسة الكوفة للمتخزمي، طبع ببغداد، وطبعة أخرى ببيروت.
مراتب النحويين للزبيدي، طبع مصر.
المزهر للسيوطي، طبع علي صبيح في القاهرة.
مجلد اللغة لابن فارس، طبع معهد المخطوطات في الكويت.
مختصر العين للزبيدي، طبع في المغرب.
معاني القرآن للقرآء، طبع دار الكتب المصرية.
معجم الأدباء لياقوت، طبع دار المأمون بمصر.
معجم مقاييس اللغة لابن فارس، طبع بمصر.
المقتضب للمبرد، طبع في القاهرة ١٣٨٨هـ.
المنصف لابن جني، طبع في القاهرة.
نزهة الألباء للأنباري، طبع في مدينة الزرقاء الأردنية، وطبعة أخرى ببغداد ١٩٥٨م.
نور القبس للمرزباني، طبع في القاهرة.
وفيات الأعيان لابن خلكان، القاهرة ١٩٤٨م.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أستاذ اللغة العربية
فهرس مواد الكتاب

٣ مقدمة وكلمة أولى
٥ الإبداع والمحاكاة في صناعة المعجم القديم
٩ في مدخل الكتاب
١١ الباب الأول
٤١ الباب الثاني
٦٧ الباب الثالث
٩١ الباب الرابع
١٢١ الباب الخامس
١٣٧ الباب السادس
١٧٣ ملحق في جملة ما جمعه السيوطي في "المزهر" مما يتصل بـ "كتاب العين"
١٨٧ الخاتمة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

د. إبراهيم السامرائي

الحمد لله
والصلاة على
الأنبياء

في حكاية كتاب "العين"

دار الكرمل للنشر والتوزيع

صايرة

هاتف: ٥٦٨٩٦٨٤ فاكس: ٥٦٨٩٦٨٥

ص.ب: ١٧٠٦٧ الرمز البريدي: ١١١٩٥

عمّان / الأردن